التزكية

على منهاج النبوة

المرحلة الأولى

مرحلة الطالبين

الباب الثالث

التزكية العملية

بإقامة الجسد والجوارح للعبادات وتركه للمعاصي

الدكتور معاذ سعيد حوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾
[الشمس: ٩-١٠]

«اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها
أنت وليها ومولاها»
أخرجه مسلم

المرحلة الأولى
مرحلة الطالبين

الباب الثالث التزكية العملية
بإقامة الجسد والجوارح للعبادات وتركه للمعاصي

تمهيد

نبين في هذه الرسالة المنهج العملي الجسدي، من **العبادات** التي يعملها المسلم بجوارحه، ويتقرب بها إلى الله، ومن **المعاصي** التي يمكن أن يعملها الإنسان بجوارحه، وبتركها يتقرب المسلم إلى الله.

وهذه العبادات والمعاصي لا يمكن أن توجَد وتقوم إلا بعمل الجسد والجوارح، لذلك جعلتها تحت هذا العنوان تنبيهاً إلى أهمية الناحية العملية والجسدية فيها.

وبهذا تختلف هذه الأمور العملية عن الأمور العقلية والقلبية، في أن العقلية والقلبية يمكن قيامها بغير مشاركة من الجوارح وأعضاء الجسد.

ولا ينبغي أن يُفهَم من العنوان أن العقل والقلب لا يشتركان في إقامة هذه الأعمال الجسدية.

ومع تنبيهنا إلى أهمية إقامة العبادات بالجوارح؛ فسوف ننبه إلى ما يشاركها من عمل عقلي أو قلبي حتى تكون مقبولة ومزكية للنفس، ولا يخلو عمل من اشتراك العقل والقلب فيه، فإنه يُشترَط لصحةِ الأعمال أو كمالِها وعيُ العقل معها، ونيةُ القلب السليمة فيها.

والمعاصي التي يقوم بها الجسد أيضاً يشترك معها العقل والقلب، ويكون لمشاركة العقل والقلب أثر في حصول الإثم أو زيادته.

والأخلاق والآداب والمعاملات كثير منها ظاهر عملي، لكنها ليست مطلوبة ابتداءاً كالعبادات، وليست مما يُجعل له برنامج عملي محدد، وإنما هي مرتبطة بالمواقف والعلاقات والتصرفات، فقد تُوجَدُ وقد لا توجَد، وقد تَظهَرُ

وقد لا تظهر؛ بحسب علاقات الإنسان ومعاملاته وظروفه ومواقفه التي يتعرض لها، لذلك لم ندخلها في المنهج العملي الجسدي، على الرغم من أنها ذات ارتباط بالجسد، وعلى الرغم من أنها تدخل تحت معنى العبادة بشكل عام، وقد أفردتها بباب منفرد.

مقدمة

في تعريف الجسد وأهم تكاليفه تعريف الجسد والجسم

الجسد: هو الشيء المحسوس من الإنسان، الذي يتوقف عليه صدور الأعمال الحسية، ويسمى الجسم، أو البدن أو الأعضاء أو الجوارح، ويسمى الجثة والجثمان[1].

---

(١) أخذت هذا التعريف من مجموعة من أقوال العلماء في الجسد والجسم، وهذه بعض أقوالهم: فمما قاله ابن منظور في لسان العرب ٣/ ١٢٠: الجسد: جسم الإِنسان، والجاسد من كل شيءٍ: ما اشتدّ ويبس، وقال أَبو إِسحاق: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إِنما معنى الجسد معنى الجثة فقط. وقال أيضاً في لسان العرب ١٢/ ٩٩: الجِسْمُ: جماعة البَدَنِ أَو الأَعضاء من الناس والإِبل والدواب وغيرهم من الأَنواع العظيمة الخَلْق... والجُسْمانُ: جِسْمُ الرجل، وجُسْمانُ الرجلِ وجُثْمانهُ واحد، وقال أَبو زيد: الجِسْمُ الجَسَدُ. ومما قاله الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن ١/ ٩٧: البَدَن: الجسد، لكن البدن يقال اعتباراً بعظم الجثة، والجسد يقال اعتباراً باللون. وقال أيضاً في ١/ ٢٥٢: الجسد كالجسم لكنه أخص، الجسد ما له لون، والجسم يقال لما لا يبين له لون، كالماء والهواء.

علاقة الجسد بالعقل والقلب

الوضع النفسي الطبيعي للإنسان هو أن يبدأ من الفكر والعقل فيقرر ما هو الحق ثم يرغب به في قلبه ثم يعمل بجوارحه عملاً صالحاً بناءً على ما قرره العقل ورغب به القلب، وإذا لم يستعمل الإنسانُ الفكرَ ولم يصل إلى الحق أعطى الفكر أوهاماً، أوجدت في القلب رغبات باطلة، فاندفع الجسد يعمل بناءاً عليها عملاً باطلاً.

فالتسلسل الطبيعي أن هو أن نتكلم عن العقل ثم عن القلب ثم عن الجسد، ولكني آثرت في هذا الكتاب أن أقدم الحديث عن الجسد وأعماله على الحديث عن القلب وأحواله؛ لما يأتي:

١. الأحوال القلبية والانتباه إلى الخواطر القلبية عادة ما يكون ضعيفاً جداً عند المبتدئ، فالغالب عليه الحس وأعمال الجسد، فالحديث عن القلب وأحواله وخواطره مع ضعفها سيكون قليل الأثر والفائدة، وإنما يقوى انتباه الإنسان إلى خواطره، وتقوى أحواله؛ نتيجة اشتغاله بأعمال الطاعات، ولذلك جاء العتاب لأصحاب رسول الله ﷺ في شأن قلوبهم بعد مهلة أربع سنوات.

عن عبد الله بن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين»(١).

(١) أخرجه مسلم رقم ٣٠٢٧.

٢. الخواطر الصالحة وما ينتج عنها من أحوال؛ تنشأ وتقوى إذا أشغل الإنسان جوارحه بالطاعات، فيكون القلب وخواطره منسجماً مع طاعاته وما فيها من ذِكْرٍ لله وتعلقٍ به وما فيها من معاني إيمانية، أما إذا كان الإنسان في غفلة وبُعدٍ عن العمل الصالح فستكون خواطر القلب مع ما انشغل به الجسد من معصية أو شهوة أو لغو أو غفلة أو دُنيا، ومن هاهنا فإن السير القلبي للإنسان لا يكون منفرداً عن سير الجسد وأعماله، بل هما يكبُران ويتعاظمان معاً.

٣. نماء أحوالِ القلب وصفاتِه يتوقف على تَذَكُّرِ الحق[1]، والله تعالى قد بين لنا أن التذكر يحصل بالذكر والقرآن والفكر ومجالسة الصالحين وبسائر العبادات، فانشغال المسلم بهذه العبادات يرتقي بحاله القلبي ويحققه بالصفات القلبية المطلوبة.

٤. والمعلومات الأهم التي يجب أن يتذكرها القلب هي تلك المعلومات التي ذكرناها في المنهج الفكري والعقلي، فما يولد في القلب الرغبة والإرادة للقيام بالأعمال الصالحة قد بيناه، وهو حد كاف ليدفع المسلم إلى القيام بالطاعات والأعمال الصالحة، ويكفيه ليردعه عن المعاصي والسيئات، إن كان عقله سليماً، فهي تصنع الرغبة والإرادة السليمة والوجهة الصحيحة تلقائياً، حتى لو لم يشعر الإنسان بتأثُّر قلبه وتفاعُلِه.

٥. والأعمال الصالحة الظاهرة لا بد أن تكون على وجه يزكي النفس، ولا تكون كذلك إلا إذا كان هناك تفاعل بين العمل الظاهر وحال القلب الباطن، لذلك لن يخلو حديثنا عن الأعمال الصالحة من التنبيه إلى الحال

(١) وسنبين ذلك وأدلته في الباب الذي نتحدث فيه عن تزكية القلب.

القلبي الذي يرافقها، كالإخلاص والخشوع والتدبر، حتى تؤدي الأعمال إلى تزكية النفس وتطهيرها ونمائها وتقريبها إلى الله، ونَظَرُ الله ومحاسبتُه تجمع هذين الأمرين: «ولكن الله ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»(١).

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٥٦٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذكر أهم أحكام الله المرتبطة بالجوارح [1]

التي يجب أن نعرفها، من الفرائض والمندوبات، والمحرمات والمكروهات

لا بد أن يعرف الطالب المبتدئ في التزكية الأحكام التي أُمِرَ بها، ليحرص على العمل بها، والأحكام التي نُهِيَ عنها، ليحرص على تركها، فإن إقامة الأعمال وترك المناهي مِن التزكية، وها نحن نذكر أهمها تعدداً[2]، مرتبة بحسب الجوارح والأعضاء التي تقوم بها:

تكاليف اللسان والكلام

ما أمر الله التكلمَ به وقولَه: التلفظ بكلمتي الشهادة، الصدق، حفظ اللسان، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، النصيحة، طيب الكلام، زجر المضلين والمفسدين، الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان، أداء الشهادة، الإصلاح بين الناس، تعليم الجاهل، التذكير، الدلالة على الخير، إرشاد الضال، التحدث بالنعم، الذكر، تلاوة القرآن، الصلاة على النبي ﷺ، قول المعروف، الاستغفار، الدعاء لنفسه وللمؤمنين، الدعاء للأخ بظهر الغيب، الدعاء للمريض، دعاء القنوت، الدعوة إلى سبيل رب العالمين، الأذان والإقامة، إجابة المؤذن، التسمية عند الطعام، إفشاء السلام، رد السلام، الشفاعة الحسنة، تأديب الأولاد،

---

(١) وإنما قلت مرتبطة بالجوارح تنبيهاً إلى أنها لا تقوم بالجوارح والجسد منفرداً، بل يشارك العقل والقلب فيها.

(٢) من كتاب فصول في الإمرة والأمير، للوالد سعيد حوى، نقلًا عن كتاب بدائع السلك وطبائع الملك، لابن الأزرق، بتصرف يسير، وزيادة يسيرة.

الحكم بالقسط، التصديق بالقول لِمَن يجب تصديقه، أمر الأئمة بما يأمرون به الأمة، تعليم العلوم الشرعية، حمد الله، أقوال الصلاة، أقوال الحج، التهنئة، المشورة، تبيين الكلام للمخاطَب، التبري من أهل الشرك والمعاصي والبدع، الأذكار المشروعة في العبادات والعادات.

ما نهى الله عن قوله: كلمة الكفر، سب الرب، سب النبي ﷺ، سب الدين، الكذب على النبي ﷺ، ونسبة قول غيره إليه عمداً، سب الصحابة رضي الله عنهم، الكذب، البهتان، الغيبة، النميمة، اليمين الغموس، القذف، الحكم بغير ما أنزل الله، شهادة الزور، سب الوالدين، وانتهارهما، قول: أُفٍّ لهما، الانتساب إلى غير الأب، النياحة على الميت، الظلم في الوصية، التألي على الله، فضيحة المسلم، تحريف كتاب الله وتحريف معانيه وأحكامِه، التحدث بما يظن أنه كذب، الفتوى بغير علم، الهجاء، إفشاء السر، الوعد الكاذب، كلام ذي الوجهين، الدعاء إلى بدعة، المنّ بالعطية، تنفيق السلعة باليمين الكاذبة، جحد الحق، الغناء المحظور، انتهار الفقير، اللعن، اللمز، التنابز بالألقاب، الخصومة، الفجور في الخصومة، الخصومة في المسجد، الافتخار، الطعن، الفحش، السِّعاية إلى الحكام بالباطل، أن يقول: هلك الناس، أن يقول: مُطرنا بِنَوْءِ كذا، قول: إن فعل كذا فهو يهودي أو نصراني، أن يقول لمسلم: يا كافر، سبّ المسلم، سب الحمّى، سب الدهر، سب الديك، سب الريح، دعوى الجاهلية، الحَلِف بمخلوق أو بغير الله وأسمائه، الإخبار بالمعصية، المجاهرة بها، إفساد المرأة على زوجها، الشفاعة والتوسط في باطل، المراء، الجدال، التقعّر والتشدق في الكلام، الكلام فيما لا يعني، الإكثار من الشِّعر، المزاح المحظور، السخرية، القدح في العلماء، المدح في وجه الممدوح، كلمة الكبر، سب الموتى، الكلام في خطبة الجمعة، لَبْس الحقِّ بالباطل، رمي البريء بالذنب، سؤال المرأة طلاق نفسها أو أختها بغير عذر، الجهر بالسوء من القول، الأمر بالمنكر، النهي عن المعروف،

التشدق بتكلف السجع، قول: ما شاء الله وما شئت، إضافة الشر إلى الله تعالى، قول: شاهنشاه: أي ملك الملوك، سؤال المغفرة للكافر، أن يقال للمسلم: يا كلب ونحوه، تناجي اثنين معهما ثالث وحده بغير إذنه، وصف المرأة حسن أخرى لزوجها دون حاجة شرعية، سؤال الرجل فيما ضرب امرأته، التحدث بكل ما سمع، التحدث مع الناس بما لا يفهمون، رفع الصوت أكثر من حاجة السامع، نقل الحديث إلى ولاة الأمور دون مبرر شرعي، كثرة الحلف في البيع وإن كان صادقاً، الحديث بعد صلاة العشاء إلا لمسوغ شرعي، جحد الوديعة، كتم العلم، كتم الحق، إطلاق الكرم على العنب، الكلام في الخلاء، الدعاء على النفس والولد، مسألة الناس، إفشاء السر بين الزوجين، مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد، اللغو.

تكاليف العينين والبصر

ما طُلِب النظر إليه: ما يعتبر به من ملكوت السموات والأرض، المصحف، كتب العلم، الحراسة في سبيل الله، الكعبة، الرسائل، ما يجب النظر إليه لإثبات حق أو إسقاطه حكماً أو شهادة، الهلال، دلائل القبلة، علامات أوقات العبادات، البكاء من خشية الله.

ما نُهي عن النظر إليه أو استعمال العين فيه: عورات الناس، النظر إلى الأجنبية بشهوة، والأمرد ـ الذي لم ينبت شعر وجهه ـ بشهوة، وإلى كل ما يثير الشهوة، زهرة الحياة الدنيا، ما يُبصَر من الحرام عند الجلوس على الطريق، ما يرى من الحرام عند التطلع على مستتر، الغمز، رفع البصر في الصلاة إلى السماء.

تكاليف الأذنين والسمع

ما طلب الله الاستماع إليه: الاستماع إلى كلمة الحق، وقراءة القرآن، والخطب، والمواعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والأذان، والشفاعة، والشكر، والوصية، والتعليم، والدعاوى، والبينات، والأقارير، الشهادات، وإنشاء التصرفات.

ما نهى الله عن الاستماع إليه: الاستماع إلى كلمة الكفر، استماع الخوضِ في الباطل، القذف، الهجاء، حديث قوم وهم له كارهون، الملاهي الممنوعة، الغناء المحظور، كلام المرأة المتلذّذ بها، الكذب، الغيبة، النميمة، الأمر بالمنكر، اللغو، البدعة، القصص المذموم، الباطل من القول، الكلام في الفتنة، إلقاء السمع إلى حكاية ما شجر بين السلف على سبيل التنقيص وإثارة الفتنة، وكل ما نُهِيَ عن قوله فقد نُهِيَ عن سماعه.

تكاليف اليدين

ما طُلب فعله باليدين: أداء الزكاة، إقامة الحدود، جهاد العدو، الرمي في سبيل الله، تغيير المنكر بهما إن أمكن، إنقاذ الهلكى، كَتْب ما يجب كتبه، الرفع في التكبير، وضعهما على الركب في الركوع، مباشرة الأرض بهما في السجود، استلام الحجر الأسود، التعزير، بسطهما لكل ما فيه مصلحة، البداية بغسل يمناهما في الطهارتين، المصافحة لجنسه، الرفع في الدعاء، الإشارة بسبابة يمناهما في التشهد، تقديم يمناهما في مباشرة ما هو شريف، قتل الوزغ.

ما نُهي عن فعله باليدين: القتل، لمس الأجنبيات، الغلول، السرقة، الغصب، الهدية للأمراء والقضاة رشوةً، قتل نفسه، قتل ولده، منع الزكاة، الهمز، استعمال أواني الذهب والفضة، الضرب بالسياط ظلماً، منع وهات، وأد البنات، منع المرافق، لطم الوجوه، شق الجيوب، الوشم، وصل الشعر، التنمص، التفلج، تغيير خلق الله، قطع الأعضاء، الحرابة، تعذيب الناس، الإشارة إلى مسلم بالسلاح وترويعه به، ضرب المملوك، القمار والميسر، النهبة، نتف الشيب، وسم الدواب بالنار، المثلة بالعبد والحيوان والأحياء والأموات، كتب ما لا يجوز كتبه، نقص المكيال والميزان، الصيد في الحرم، مَدُّهما إلى كل باطل، الاحتباء يوم الجمعة، منع فضل الماء بالفلاة، الاستنجاء باليمين.

تكاليف الرجلين

ما طُلب فعله بالرجلين: القيام في الصلاة، السعي إلى الجماعة والجمعة، الخروج إلى العيد، الذهاب إلى الحج والعمرة، زيارة مسجد النبي ﷺ، الخروج إلى الجهاد والرباط، الهجرة الواجبة، عيادة المريض، تشييع الجنائز، زيارة الإخوان، زيارة القبور، إجابة الدعوة، الرحلة في طلب العلم، تقديم يمناهما في السعي لما هو شريف، المشي بهما إلى كل ما هو مطلوب شرعاً.

ما نُهي عن فعله بالرجلين: الفرار من الزحف، إسبال الإزار كبراً، ترك الهجرة الواجبة، ترك الخروج إلى الجهاد الواجب، الفرار من أرض الطاعون، إتيان الكهان، الدخول على الظالم، المشي إلى المبتدع، إباق العبد، تلقي الركبان، المشي في الأرض مرحاً، التخطي يوم الجمعة، السفر إلى معصية، التبختر في المشي، خروج المرأة متعطرة أو كاسية عارية، إتيان المسجد وقد أكل ثوماً أو بصلاً، الخروج من المسجد بعد الأذان بغير عذر، المشي إلى الجليس السوء، دخول المواضع المحجورة بغير إذن، الجلوس على القبر، دخول الحمام العام بغير مئزر، المرور بين يدي المصلي.

تكاليف الفرج

ما طلب فعله: الستر له، العفة، حفظ الفرج عن الحرام، الاستبراء من البول، الختان للذكور، تعاهد الزوجة لتحصينها، الولادة من نكاح.

ما نهي عن فعله: الزنا، اللواط، السحاق، نكاح القرابة المحرمة، وطء البهيمة، الوطء في الدبر، الوطء في المحيض، تكشف العورة، الاستمناء، ترك التنزه عن البول، البول في المسجد، البول في الماء الراكد، التخلي في الموضع المنهي عنه، كمواضع جلوس الناس وفي الظل وفي الجحور.

تكاليف البطن

ما طلب فعله: أكل الحلال، أكل ما يقيم البنية، أكل ما يستحب أكله، شرب ما يستحب شربه.

ما نهي عن فعله: أكل الحرام، أكل الربا، أكل مال اليتيم، أكل المال بالباطل، أكل الدَّيْن ومطل الغني، أكل الخنزير، شرب الخمر، شرب كل مسكر، شرب الدم، شرب السم، أكل الرشوة، أكل الحشيشة والمخدِّرات، أكل ما أُهِلَّ به لغير الله، أكل ما يضر، أكل ما حرم شرعاً، أكل ما يجب التورع عنه من المشتبهات، ويلتحق به: شرب الدخان والنرجيلة وتخزين القات.

الأوامر

الطهارة، الصلاة، الصيام، الحج، الزكاة، إطعام الطعام، سقي الماء، طلب الحلال، طلب العلم، الصحبة في الله، العزلة عن الفتنة، عمل الصالحات، السماحة في البيع، النكاح، العدل بين الزوجات، الضيافة، طلاقة الوجه، حفظ الأمانة، شكر المعروف، مواساة ذي القربى، إقالة النادم، الورع، الاقتصاد في الإنفاق، قيام الليل، الإقراض، سد الدين، قضاء الحوائج، إدخال السرور على المؤمنين، بناء المساجد، الاقتصاد في طلب الرزق، العتق، الصدقة، الهبة، الإعارة، كفالة اليتيم، السواك، الاستحداد، نتف الإبط، النظافة، الاقتصاد في اللباس، الحجاب للنساء.

النواهي

تـرك الصلاة بلا عذر، إخراجها عـن وقتها اختياراً، الصلاة إلى القبور، رفـع المأموم رأسـه من الركوع والسـجود قبـل الإمام، العبـث والالتفات في الصـلاة وكثرة الحركة، التغـوط بالفضاء مسـتقبل القبلة ومسـتدبرها، الفطر في رمضـان بـلا عذر، قبلة الصائم بشـهوة، وصـال الصائم، منع الـزكاة عند وجوبهـا، تـرك الحج مـع القـدرة، الدياثة على الأهـل، القيادة عـلى الأجنبية، السـحر، الكهانـة، التنجيـم، ترك الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكـر، كثرة الضحـك بـلا سـبب، الضحك لخـروج الريح، الهجـر فوق ثـلاث بلا عذر، الخلـوة بالأجنبيـة، تمنـع الزوجـة عـن زوجها بلا سـبب، البيع عـلى بيع أخيه والسـوم والخطبـة، ما لم يأذن فيـه، بيع حاضر لباد، الاحتكار، كشـف العورة بـلا حاجـة، الغـش، الخديعـة، الخلابـة، بيـع المسـلم المصحف لكافر، سـوء العـشرة مع الوالدين والزوجـة والصاحب، إذاية الجيران، إتْباع الصدقة بالمن والأذى، الخيانـة والتجسـس، تتبـع عورات المسـلمين، تشـبه الرجـل بالمرأة والعكس، الإلحاد في الحرم، ترك قراءة القرآن، نسيانه بلا عذر، سفر المرأة بلا زوج أو محرَم، التطاول في البنيان، التدابر، التباغض، فسـاد ذات البين، اقتناء الكلـب بلا مسـوغ شرعـي، إخافة أهـل المدينة المنـورة، البصاق في المسـجد، إضاعـة الأهل، إضاعة المال، لبـاس الرجل للحرير، النوم على البطن، وصال السـكوت، الحداد على ميت فوق ثلاثة أيام إلا للزوجة، تفضيل الوالد بعض أولاده عـلى بعـض في الهبة، تخصيص يوم الجمعة بصيـام أو ليلته بصلاة، ترك النار في البيت عند النوم، تعذيب الحيوان.

ـ وبعـدُ فقد ذكرنا أهـم الأحكام المتعلقة بجوارحنا، ذكرناها على سـبيل

التنبيه والتذكير، لا على سبيل الإحصاء لأحكام الله، وتفصيلاتُها وأدلتُها نجدها في كتب الفقه، وسنتكلم عن بعضها من جهة علاقتها بتزكية النفس، لا من جهة أحكامها الفقهية.

أهم ما يبدأ به من الأمور العملية الجسدية

من أراد أن يزكي نفسه

إذا عرف الإنسان حاله ومقامه وأراد تزكية نفسه؛ فيبدأ بنية صادقة عازمة مخلصة لله، ينوي فيها أن يسير في طريق تزكية نفسه وتطهيرها وترقيتها وتقريبها من الله.

ولا يمكن أن يأخذ الإنسان كل شيء دفعة واحدة، فيجتهد أن يَزِيْدَ في الخير ويُنْقِصَ من الشر بقدر طاقته، وأول ما ينصح به الطالب إذا خرج من غفلته وجاء يريد أن يزكي نفسه؛ ينصح بما يأتي:

- طلب العلم الذي يعرفك بأعمال الجوارح وأحكامها، وما يجب عليك وما يحرم.

فلا بد أن يتعلم الحد الأدنى من العلم في عقيدته وفقهه وتزكيته، وإلا فكيف يعرف ما ينبغي عليه أن يطهِّر نفسه منه، وما ينبغي أن يرقيها به، وإن لم يكن عنده هذا الحد من العلم اشتغل في طلبه مع قيامه بما يأتي ذكره، مما تعلّمه وأدركه، أو مما يستطيعه، أو مما يوجهه إليه شيخه ومربيه ومعلمه.

- أن يحذر من الشرك والكفر، ويترك ما يناقض الإيمان، إذا كان واقعاً بشيء من ذلك، كمسبة الربِّ سبحانه، أو السخرية من الدين، أو مناصرة الكافرين ومحبتهم، وليحذر من المظاهر الشركية، وتكفير الغير بغير ما يقتضي ذلك شرعاً.
- أن يحرص على فعل ما يقوم به الإيمان، كقول الشهادتين، إن لم يكن قد أسلم.

- أن يحذر من المعصية والبدعة إن كان عنده شيء منها، ويحذر خاصة من ذنوب اللسان ونظر العين إلى المحرمات.

ويبدأ تطهير نفسه من معاصيه وذنوبه وشهواته وانحرافاته بالاستغفار والتوبة والندم من المعاصي والكبائر إن كان اقترف شيئاً منها، ويرد المظالم، إذ لا بد للعبد إذا أراد أن يُقبِلَ على مولاه ويطلبَ منه رحمته وهدايته؛ لا بد أن يقدِّم اعتذاره ابتداءً مما فَرَطَ منه من مخالفة أحكام الله وعصيانه، وذلك بالتوبة والاستغفار.

- الاهتمام بإتيان الفرائض ومتابعة النبي ﷺ.
- المحافظة على الصلاة في أول وقتها، والمحافظة على صلاة الجماعة.
- اتخاذ أوراد من القرآن والذكر والدعاء وقيام الليل، مع الحرص على الدوام على الذكر.
- اتخاذ صحبة من الصالحين إخواناً وشيوخاً، والحرص على مجالسهم ومجالستهم، وترك الصحبة الفاسدة إن كان له صحبة سيئة.
- يَحْذَر من طاعة الشيطان وهوى النفس، ويهتم بمجاهدة نفسه في ترك المعاصي، وإتيان الطاعات، وما يعين على التزكية، من اعتدال في طعام ونوم، وحفظ اللسان من الكلام الباطل واللغو.
- الحرص على ترك الأخلاق السيئة والعادات القبيحة، ويحرص على التخلق بالأخلاق الصالحة والآداب الكريمة، فالأخلاق الحسنة هي زينة النفوس، وعنها تنشأ المعاملة الحسنة مع الآخرين.
- أن يتعرف على حقيقة الدنيا، ليُخرج من قلبه التعلق بها، فيأخذ منها حاجته وفق أمر الله، ولا يجعلها هدفاً ومقصداً، ويستعمل ما زاد عن

حاجته في طاعةٍ تنفعه في آخرته، ويتعلم ما يعرّفه على ربه وآخرته، ليتعلق قلبه بهما.

- أن يتأكد من أن عمله الدنيوي مباح وأن أمواله تعمل في حلال، وعليه حتى يطمئن في ذلك أن يدرس ما يتعلق بأعماله من أحكام فقهية، أو يسأل أهل العلم عنها.
- ثم إذا وجد شيخاً عالماً مربياً مستقيماً يصاحبه، ليتولى تربيته ودلالته وتعليمه من خلال دروسه ومجالسه، ولا تخلو الأرض والبلاد من صالحين، فمن صدق في البحث عنهم؛ دلَّه الله على أوليائه العالِمين العاملين، ومن لم يجد شيخاً يرتاح إليه ويثق بدينه وتربيته ولم يجد صحبة صالحة؛ فليجعل من كتب التزكية المحررة وفق العلم الشرعي والتي تنهج منهجاً سليماً؛ ليجعل من تلك الكتب مُعَلِّماً له ومُذَكِّراً ودليلاً.

البيئة المناسبة التي تهيئ للجسم الظرف الأنسب لتزكية النفس

تزكية الجسد من خلال قيامه بتكاليفه، يحتاج إلى بيئة مناسبة مساعدة معينة على التحقق بتزكية نفسه وجسده، كما يحتاج إلى تجنب العوائق التي تعيق سيره وتفسد أعماله وقلبه، وهذه المعينات هي من أوامر الشرع، وتلك العوائق هي مما نهى عنه الشرع، فمطلوب أن يلتزم المسلم بأحكامها لذاتها، ولكنها أيضاً مهمة من جهة أخرى في طريق التزكية، من كونها تعين على إقامة العمل الصالح والتخلص من المعاصي، ومن هاهنا أفردتها بالبحث تنبيهاً على أهميتها وأثرها في التقرب إلى الله.

١. إن الاختلاط بالبيئة الفاسدة يشغل قلب الإنسان ويفتنه عن الحق، ويفتح له باب التقليد فيما لا ينفعه في حياته، فلا بد لمن يريد إصلاح نفسه وتزكيتها؛ أن يبحث عن البيئة السليمة الصالحة المعينة، فيرافق الصالحين والعلماء ويصحبهم في مجالس العلم والقرآن والذكر، ويتخذ منهم شيخاً مربياً مستقيماً، ويرتاد المساجد ويصلي فرائضه فيها، ويكثر من المكث فيها، يغتنم عمره ووقته ولا يترك وقتاً بغير نفع وفائدة وتقرب إلى الله، يرتب أوقات نومه حتى لا يفوِّت الأوقات المباركة، ويكون حريصاً على إقامة الطاعات فيها، ويحافظ على أوراده من الطاعات ويثبت عليها، يبحث عن عمل مناسب وسكن مناسب حتى لا يكون اختلاطه لأجل دنياه سبباً في انحراف قلبه وسلوكه ونقص إيمانه وعبادته، ولو أدّاه ذلك إلى تغيير عمله أو إلى هجرة بلده.

ويستعين بما يذكر قلبه بالآخرة والحساب: فيزور المقابر، ويزور المرضى والمستشفيات، ويتذكر الملكين اللذين يُحصِيان عليه، ويتخيل لو أنه مع النبي ﷺ كيف تكون تصرفاته ومعاملاته وعباداته.

٢. وعلى المسلم أن يتجنب كل ما يعيق تزكيته وتقربه إلى الله، فيحذر من فتنة النساء، ويغض بصره، ويحرص على العفة والزواج المبكر إن كان مستطيعاً، يترك أصحاب السوء ولا يخالطهم حتى لا يتأثر بهم، ويجتنب مجالس الباطل والفساد واللهو والكلام اللغو الفارغ الذي لا ينفع، ويقلل من خلطته بعامة الناس ما دام ذلك يؤثر على قلبه وإقامة عباداته، يحذر من تضييع أوقاته بالتلفاز والصحف والانترنت والأفلام والمسلسلات والبرامج الملهية والزيارات غير الضرورية، يقلل من كلامه ما لم يكن خيراً أو ذكراً حتى لا يشغله لسانه عن الطاعة والذكر، يحذر من أكل الحرام، ويقلل من طعامه حتى لا يثقله جسده عن العبادة، يحذر من خواطره أن تكون من الشيطان، فلا يستجيب لخاطر إلا إذا علمه موافقاً لأمر الله، يأخذ حاجاته من دنياه ويحذر من التعلق بالدنيا وشهواتها وأموالها وجاهها، ويحذر الغفلة بها عن مقصد حياته وآخرته، لا يلتفت إلى الناقدين والمعترضين ما دام يعلم أنه على الحق، يحذر من الكسل والفتور ويعالجه.

ـ إن واحدة من هذه العوائق قد تفسد سير الإنسان وتقطعه وتشغله وتردُّه إلى الوراء، وواحدة من تلك المعينات قد تنهض به وتكون سبباً في صلاح أمره وسرعة سيره، لذلك ينبغي أن يجعلها المسلم السائر في تزكية نفسه محلَّ اهتمامه، حتى لا تكون إقامته للطاعات وتركه للمعاصي عملاً شاقاً وقليل النتيجة[1].

(١) وسيأتي تفصيل هذه المعينات والعوائق في الباب السادس، لكن لأهميتها الكبيرة نبهت إليها هنا.

وبعد هذه المقدمات ننتقل إلى بيان ما به تتم تزكية الجوارح والجسد من القيام بأعمال الطاعة وترك أعمال المعصية، والكلام عن ترك المعصية قد يكون أولى بالتقديم، لأن وجود الذنب يُقلل فائدة الطاعات ويُضعف أثرها في تزكية النفس، ولكن من الناحية الدراسية والعملية إذا بقي الطالب يتعلم ما يجب أن يتركه لفترة طويلة من غير أن يعرف ما يعمل؛ فإنه يكون قد فوت خيراً كثيراً، فالأحسن أن يتعلم ما يجب فِعلُه وما يُندب، فيبدأ بالعمل به ويحرص عليه، وسيكون ذلك معيناً له على ترك المعاصي بإذن الله.

لذلك كان الفصل الأول هو التزكية بالأعمال الصالحة، والفصل الثاني هو التزكية من المعاصي.

الفصل الأول
التزكية بالأعمال الصالحة الفرائض والنوافل

وفيه مقدمة وأحد عشر مبحثاً:

- **المبحث الأول**: طلب العلم.
- **المبحث الثاني**: كلمة الإيمان: الشهادتان.
- **المبحث الثالث**: الوضوء.
- **المبحث الرابع**: الصلاة.
- **المبحث الخامس**: الزكاة والصدقة.
- **المبحث السادس**: الصيام.
- **المبحث السابع**: الحج والعمرة.
- **المبحث الثامن**: قراءة القرآن.
- **المبحث التاسع**: الذكر.
- **المبحث العاشر**: الدعاء.
- **المبحث الحادي عشر**: التفكر.

مقدمة الفصل

١. الأعمال الصالحة هي أهم وسائل التزكية العملية التي يعيش المسلم حياته معها، وبقدر ما يكثر منها بقدر ما يكون مزكياً لنفسه، بشرط أن يأتي بها على وجهها الذي شرعه الله ويخلص فيها لله.

كثيراً ما نلتفت إلى الوجه الظاهر الذي شرع الله العبادة عليه، وننسى الوجه الباطن الذي شرع الله العبادة عليه، والوجه الظاهر هو ما يتحدث عنه الفقهاء من أحكام فقهية، فيبينون مثلاً أن أركان الصلاة كذا وشروطها كذا وسننها وهيئاتها كذا، والوجه الباطن هو ما يتحدث عنه علماء التزكية من أحكام قلبية، فيبينون أن الخشوع هو روح الصلاة، وأن الصلاةَ تذللٌ لله وعبوديةٌ، وأن فيها مناجاةً لله، وأن الصيام تجرد عن شهوات النفس.

وفي هذا الفصل نشير إلى أهم المسائل التي ينبغي أن يهتم بها الإنسان في عبادته لتكون على الوجه الذي تحصل به التزكية إن شاء الله، بعد أن يكون أحدنا قد أخذ حظه من التفقه في أحكام هذه العبادات.

٢. لكل عمل صالح أَمَرَنا الله به أو نَدَبَنا إليه أثر في تزكية النفس وتصفيتها، فكل العبادات والطاعات تؤدي إلى الصلاح والتقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فهذه الآية تدل على أن العبادات جميعاً لها أثرها في إيجاد التقوى في النفوس، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تؤكد هذا المعنى، تذكر لكل عمل صالح آثاره في تزكية النفس، سنذكر بعضها في هذا الفصل عند الكلام عن كل عمل صالح من الطاعات.

٣. كما أن كل عمل صالح يطهر الإنسان من ذنوبه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ

ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴾ [هود: ١١٤]، كما يفهم من الآية أن وجود الحسنات سبب في طرد السيئات، ذلك أن الإنسان حينما يحرص على الخير وينشغل به لا يبقى في قلبه وعمله مكان للشر، لذلك قيل: من لم تشغله الطاعة شغلته المعصية، فالنيّات الحسنة تطرد النيات السيئة، والعمل الصالح يطرد العمل الطالح، والخُلق الممدوح يطرد الخُلق المذموم، فإذا أردت أيها المسلم أن تزكي نفسك وتتخلص من شهوة وسيئة؛ فعليك أن تكثر من العمل الصالح حتى يقتلع أثر السيئة من قلبك ونفسك.

وكل عمل صالح يزيد الإنسان إقبالاً إلى العمل الصالح، كما أن كل معصية تزيد توجه الإنسان نحو المعاصي، فهذه سنة الله في عباده، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد: ١٧]، وقال: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾[الصف: ٥].

٤ . الله تعالى هو الحاكم علينا، وقد حكم علينا أن نعمل أشياء وفرضها علينا، فلا بد لأحدنا أن يأتيها، ولا يجوز لنا أن نتأخر عنها، إلا حيث أجاز لنا تركها في عذر أو ضرورة أو نحوهما.

وجعل الله تعالى أعمالاً أخرى نوافل وزيادات على الفريضة، لا يسألنا عن تقصيرنا فيها، ولكنه يسألنا عن الفرائض التي أوجبها علينا، فمن واجب المسلم أن يهتم بالفرائض ويحافظ عليها ويعتني بها أكثر من النوافل، ويَحذرَ من تركها أو التقصير فيها أو نسيانها.

وقد حذَّرنا النبي ﷺ من تضييع الفرائض، قال ﷺ: «إن الله حد حدوداً فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيِّعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء غير نسيان من ربكم، ولكن رحمة منه لكم، فاقبلوها ولا تبحثوا فيها»(١).

---

(١) حديث حسن، أخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٧١١٤ عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ، =

وقد بيَّن الله لنا أن الفرائض مقدمة على غيرها وأحب إلى الله من النوافل، فالفرائض هي من أعظم ما نتقرب به إلى الله بعد الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، **وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه**، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»(١)، بين هذا الحديث أن الفرائض والنوافل تورث محبة الله وولايته وإكرامه، والله لا يحب إلا من زكت نفسه وطهرت.

كما بين الحديث أن أثر الفرائض في التزكية أكبر فهي الأحب إلى الله، ولا معنى للإتيان بالنوافل دون الإتيان بالفرائض، كمن يقوم الليل ولا يصلي الفجر أصلاً فماذا ينفعه ذلك؟ ومن يفطر في رمضان بغير عذر ولا مرض لم يعوض أجر هذا اليوم ولو صام الدهر كله(٢).

ولما كانت الفريضة أهم وأعظم كان أجرها أعظم، فهي تتضمن أجر

= وقد ضعفه بعض العلماء.

(١) أخرجه البخاري رقم ٦١٣٧ عن أبي هريرة ﵁، وتتمة الحديث: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مَساءَتَه»، وقد ضعف بعض العلماء هذا الحديث على الرغم من أن البخاري أخرجه، كما استشكل كثير من العلماء معناه، انظر: ابن حجر، فتح الباري: ١١/ ٣٤١.

(٢) وقد روي في هذا المعنى حديث ضعفه بعض العلماء، أخرجه البخاري تعليقاً، قال ابن حجر في فتح الباري ج: ٤ ص: ١٦١: «قوله: ويذكر عن أبي هريرة رَفَعَه: مَن أفطر يوماً من رمضان بغير عذر ولا مرض؛ لم يَقْضِه صيامُ الدهر وإن صامه، وصله أصحاب السنن الأربعة وصححه ابن خزيمة...» أقول: وليس معنى الحديث أنه لا يجب عليه قضاؤه، وإنما معناه أنه لو صام الدهر كله لم يحصِّل مِثْلَ أجر الفريضة حين أدائها في وقتها.

النافلة وزيادة قال النبي ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة؛ كان كقيام نصف ليلة، ومن صلى الفجر في جماعة؛ كان كقيام ليلة»(١).

فمن واجب المسلم طالب التزكية أن ينظم أعماله وعباداته بحيث يجعل اهتمامه بالنوافل من وراء الفرائض، ولا يغتر بكثرة النوافل وهو يقصِّر في الفرائض.

ومن مظاهر اهتمامنا بالفريضة:

١. أن نتعلم أحكامها.

٢. وأن نحافظ عليها.

٣. وأن نُتقنها، بحيث نؤديها على وجهها الأحسن.

٥. لما كانت الفرائض مقدمة على النوافل عند الله فليس من الصدق ولا من التزكية أن يقدم الإنسان نافلة على فريضة، بل ليس من الصدق ولا من التزكية أن يقدم فرض الكفاية على فرض العين أيضاً.

أ. فلو أن مسلماً يجهل بعض أحكام الفقه التي تلزمه في عباداته والتي يجب عليه تعلُّمها؛ لو أنه اشتغل بتعلُّم القراءات العشر، لم يكن صادقاً، وواجبه أن يبدأ بفرض العين وهو تعلم تلك الأحكام، وعلم القراءات من الفروض الكفائية، فإذا وجد من يتقنه من المسلمين فقد سقط الفرض عن الباقين، فيكون تعلمه من باب المندوب، وسواء كان فَرْضَ كفايةٍ أو مندوباً فلا يجوز أن يقدَّم على فرض العين.

ب. ولو أن مسلماً اشتغل بالعلم الذي لا يجب عليه تعلمه، فتوسع في

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه عن عثمان بن عفان ﷺ رقم ١٤٧٣.

العلم ليكون عالماً، وهو يعلم أن قلبَه غيرُ سليمٍ ونفسَه تحتاج إلى تزكية، فإنه يكون بذلك غير صادق، ومن واجبه أن يبدأ بتزكية نفسه ويجتهد بالأعمال التي تطهِّر قلبَه ونفسَه، حتى لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٤]، ثم بعد أن يأخذ الحد الأدنى من التزكية والصلاح؛ إن شاء أن يزداد في العلم الذي ينفع به غيره فذلك واجب أو مندوب.

ج. ولو أن امرأة اشتغلت بحفظ القرآن أو بطلب العلم المندوب مما لا يجب عليها تعلمه وجوباً، وقدمت ذلك على طاعة زوجها وإعفافه؛ كانت مسيئة غير صادقة مع الله، أما إذا لم يكن متعارضاً مع طاعة الزوج وإعفافه فذلك طيب مندوب.

د. ولو أن ولداً كان يقرأ القرآن فطلبَه أحدُ والديه لقضاء حاجة لهما، وجب عليه أن يترك قراءة القرآن لأن بر الوالدين فرض، وقراءة القرآن إما أن تكون واجبة أو مندوبة، ويمكنه أن يعوِّضها في وقت آخر، فليس من التزكية أن يرفض طاعتهما بحجة أنه يقرأ القرآن.

هـ. ولو أن رجلاً حج حجة الفريضة، وكان غنياً فحدثته نفسه أن يحج حجاً مرفهاً بمبلغ كبير، وكان من حوله طالب علم شرعي لا يجد من ينفق عليه، أو فقير محتاج، أو مريض لا يملك علاجاً ودواءاً، أو داعية إلى الله يحتاج إلى مال ليخرج به للدعوة، أو مجاهد يحتاج إلى مال يستعين به على الجهاد، فليس من التزكية أن يحج وينفق المال الكثير، بل الواجب عليه أن يقدم تلك الأمور على حجة النافلة والإنفاق فيها.

٦. يمكن للإنسان أن يقتصر على الفرائض ويكون ناجياً عند الله بشرط أن يأتي بها على وجهها الكامل، عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يُفْقَهُ ما

يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال رسول الله ﷺ: «وصيام رمضان» قال: هل علي غيره؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: «لا إلا أن تطوع» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**»(١).

ولا يفهم من هذا الحديث أنه يحث على الاقتصار على الفرائض، وإنما يبين أنها كافية وحدها للنجاة.

ولما كان الإنسان يُفَرِّطُ ويُقَصِّرُ في فرائضه ويأتي بها على وجه دون الكمال المطلوب؛ كان لا بد من مكملات لنواقصها فشرع الله لنا السنن والنوافل لتكمِّلها، قال ﷺ: «أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز وجل للملائكة وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئاً قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين رقم ٩٦٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم، وروى نحوه أحمد في المسند رقم ٩٤٩٠، والترمذي في جامعه رقم ٤١٣ وقال: حسن غريب، وأبو داود في السنن رقم ٨٦٤، والنسائي في السنن الكبرى رقم ٣٢٥، قال ابن عبد البر في التمهيد ج ٢٤ ص ٨١: «أما إكمال الفريضة من التطوع فإنما يكون ذلك والله أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها، أو لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك، وأما من تعمد تركها أو نسي ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم».

ولما كان الإنسان لا يضمن لنفسه قبول الأعمال فرائضها ونوافلها؛ كان لا بد أن يجتهد أقصى جهده ليحاول الوصول إلى رضا الله وجنته، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون؛ وهم يخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات(١).

ثم إن أحدنا لا ينبغي أن يركن إلى الاقتصار على الفرائض وترك المحرمات، فإنه ولو ترك المحرمات وأتى بالفرائض على وجهها الأكمل، أفلا يحب أن يكون عبداً شكوراً؟ ألا يحب أن يكون متقرباً إلى الله؟ ألا يحب أن يكون من أحباب الله وخاصة أوليائه؟ والنوافل بعد الفرائض هي سبب في محبة الله للعبد، كما بين الله تعالى في الحديث القدسي السابق.

فلا ينبغي لطالب التزكية أن يكتفي بالقليل في هدفه وعمله، ولا يسعى في تزكية نفسه ليحصِّل الزحزحةَ عن النار فحسب، بل يرغب أن يكون من أهل المقامات العالية والدرجات الأقرب ويرغب بالمعالي والأهداف السامية.

٧. لما كانت الطاعات من الفرائض والنوافل تحتاج إلى علم صار طلب علم الفقه الذي تُعرَف به الفرائض والنوافل؛ صار من الطاعات، وما كان من الطاعات فرضاً فتعلمه فرض، وما كان نفلاً فتعلمه نفل مندوب، لذلك سنذكر من ضمن وسائل التزكية في هذا الفصل: طلب العلم ونبين وجهه الذي يكون تزكية.

---

(١) أخرجه الترمذي ٣١٧٥ وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجة والحاكم.

٨. جمعت الكلام في هذا الفصل عن الفرائض والنوافل، لأن أكثر الطاعات فيها فرائض وفيها نوافل، فالصلاة منها ما هو فرض ومنها ما هو نفل، وكذلك الصدقة والصيام والجهاد وقراءة القرآن والتفكر... وغير ذلك.

وها نحن نستعرض أهم العبادات التي نتقرب بها إلى الله فتحصل بها التزكية، منبهين كيف تكون هذه العبادات مُزَكِّيَةً للمسلم، فنلفت النظر إلى بعض الأمور المهمة في ذلك:

العبادات
وكيف تؤدى على وجه يزكي النفس

المبحث الأول

طلب العلم

١. طلب العلم عبادة سابقة على الصلاة والصيام وسائر العبادات، لأنه لا يمكن للمسلم أن يصلي ويصوم ويعبد حتى يتعلم هذه العبادات، لذلك بعث الله رسله لتعليم الناس: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

والجاهل بأحكام عبادته لن يؤديها على الوجه الذي شرعها الله عليه، فلن تكون سبيل قرب وتزكية له، فكانت فريضة طلب العلم مقدمةً على باقي الفرائض من هذا الوجه.

٢. بين الله تعالى ورسوله ﷺ رِفعة أهل العلم، قال سبحانه ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر»(١)، وقال النبي ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»(٢)، وإنما فُضِّلَ

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٢٦٨٢ والدارمي نحوه رقم ٣٤٢ عن أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٢) حديث حسن، أخرجه الترمذي ٢٦٨٥، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وغيره.

العالمُ بعمَله، ولأنه يعمل ويعبد على علم، ولأنه ينفع نفسه وغيره فلا يقتصر نفعه على نفسه.

٣. تفضيل العالم على غيره ليس لمجرد علمه، فإن العلم لا يُنجي وحده، لذلك بيّن لنا النبي ﷺ أن مِن الثلاثة الذين تُسَعَّرُ بهم النار وتحمى: «رجل تعلم العلم ليقال عالم»(١)، فلا ينبغي لمسلم أن يجعل العلم هدفاً وحده، بل لا بد أن يتعلم، ثم يعمل بعلمه، ثم يعلِّمه إن كان أهلاً لتعليمه، ويكون في ذلك كله مخلصاً لله تعالى.

٤. بعض المعلومات يُطلب تعلُّمها لذات العلم، ويكون مجردُ تعلُّمِها عبادةً لله، كتعلم العقائد، كمعرفة صفات الله ومعرفة أحوال اليوم الآخر ومعرفة شؤون الملائكة.

وبعض المعلومات ليست مطلوبة لذاتها، وإنما هي مطلوبة للعمل بها، فمن تعلَّم أحكام الصلاة ثم لم يصلِّ لم ينتفع من علمه ذلك، وإنما يكون حجة عليه.

وبعض المعلومات يتعلمها الإنسان لينفع نفسه ويعمل بها، وبعض المعلومات يتعلمها الإنسان وهو غير محتاج إليها في حياته العملية، لكنه يتعلمها ليعلِّم غيره وينفع غيره، وهذه وظيفة العلماء.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، رقم ١٩٠٥، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد... ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأُتي به، فَعَرَّفَه نِعَمَه، فعرَفَها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله...».

وكل هذه المعلومات تعلُّمُها من العبادات، إذا أخلص فيها طالبها لله، وكانت على وجهها الصحيح، بحيث لا يقدمها على ما هو أهم منها في دين الله كما سنبين.

٥. ينبغي لطالب العلم أن يعلم أن طلب العلم منه ما هو فريضة، ومنه ما هو نفل، وأداء العبادات منه ما هو فرض، ومنه ما هو نفل، وأن تزكية النفس منها ما هو فرض ومنها ما هو نفل[١]، ويجب على المسلم أن يقدم الفرض من كل ذلك على النفل، فيُقدِّم طلبَ العلمِ المفروضَ عليه على نوافل العبادات كقيام الليل والذكر ونحوه، ويقدم تزكية النفس المفروضة على طلب العلم النفل، وهكذا.

ومن انشغل بطلب العلم حيث يكون نافلة وقَدَّمه على تزكية نفسه المفروضة، فقد ضل طريقه، ودسى نفسه، فمن كان في قلبه مرض، وفي نفسه ميل إلى المعاصي والشهوات، يجب عليه أن يشتغل بتزكية نفسه حتى يصير قلبُه سليماً خالياً من المرض، وعملُه طاهراً خالياً من المعاصي، ثم بعد ذلك إن شاء أن يستزيد من العلم أو يعلِّم غيره فلا بأس.

لذلك فقد بين الله تعالى أن الذي يشتغل بالعلم وقلبه ليس فيه خشيةٌ لله ليس بعالم، والخشية من التزكية، وإنما يكون عالماً إذا قدَّم صلاح نفسه وطهارتها وخشيته لله، فهو عالم حقاً عندئذ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فعالم من غير خشية؛ ليس بعالمٍ عند الله.

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، أشار بقوله:

(١) وقد بينا في الرسالة الأولى حكم التزكية وما هو واجب منها وما هو دون ذلك.

﴿ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ ﴾ إلى أولئك الذين ذكرهم في أول الآية ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ﴾ فأشار إلى الطائعين الخاشعين القائمين الليل الساجدين القائمين الخائفين من الآخرة بحذرهم من المعاصي ظاهرها وباطنها، الراجين لفضل الله ورحمته فيقدمون عملاً صالحاً رجاء قبولهم، هداهم علمهم إلى طاعة الله، فهؤلاء هم الذين يعلمون، فهل يستوي هؤلاء مع الجاهلين الذي لا يتصفون بهذه الصفات.

فكم من جاهل في أعين الناس هو عالم عند الله ورسوله ﷺ، وكم من عالم في أعين الناس هو جاهل عند الله لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به، يصدق عليه قول النبي ﷺ:

«حتى يقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»(١).

٦. من اشتغل بطلب العلم الذي لا يحتاجه هو لنفسه، وإنما ليُعَلِّمه للناس؛ يجب عليه أن يكون قد استفاد هو من علمه أولاً بأن أدى فرائض الله عليه وترك ما حرم، وإلا كان ممن ذمهم الله تعالى وعاتبهم بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

وقال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه؛ كمثل المصباح يضيء للناس ويحرق نفسه»(٢).

---

(١) جزء من حديث، أخرجه البخاري رقم ٦١٣٢ و ٦٦٧٥ ومسلم نحوه رقم ١٤٣ عن حذيفة رضي الله عنه.

(٢) حديث حسن، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم ١٦٨٥ عن أبي ذر رضي الله عنه، وقد روي الحديث بلفظ «السراج» وبلفظ «الشمعة» بدل «المصباح».

وهذا إنما يكون إذا أفاد العالِمُ الناسَ بعلمه، ولم ينتبه لخراب قلبه وأمراض نفسه، أو انشغل بتعليم الناس عن إصلاح نفسه، فيستنيرون بعلمه، وهو يخفت نوره ويزداد فساده أو يدخل عليه الغرور بتعليمه.

وما فائدة أن أكون عالماً يسألني الناس فيستفيدون، ثم لا أستفيد أنا ولا أعمل بما أعلّم.

ومن الواجب على الأمة الإسلامية أن يكون فيهم عددٌ كافٍ من العلماء يعلمون الناس ويفتونهم في مسائلهم، وهذا الأمر من فروض الكفاية، ومن يقوم لذلك لا بد أيضاً أن يكون قد حقق فرض العين في تزكية نفسه، ليكون ناجياً عند الله، وليكون محل ثقة الأمة فتنتفع من علمه.

فإذا تحقق بتزكية نفسه؛ فليجتهد في تحصيل العلم الذي ينفع به الأمّة.

٧. نبهنا النبي ﷺ إلى أن من العلم ما ينفع ومنه ما لا ينفع، نبه إلى ذلك بدعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ»(١).

كثيرٌ منّا يقرأ مجلدات، ويحفظ معلومات كثيرة، لكن ما ينفعه منها عند الله أو في دنياه قليلٌ جداً، فلا يجوز لمن يريد تزكية نفسه أن يشتغل بما لا ينتفع به، فيضيع من عمره وقتاً كثيراً، بدل أن يستغله في الأنفع وفي الطاعات والعمل.

والاشتغالُ عن العمل الصالح بمزيد من العلم الذي لا يحتاجه الإنسان ولا الأمة؛ هو نوع من الاشتغال بما لا ينفع، فلو كنتُ حافظاً لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وفاهماً لهما حافظاً لكتب الفقه، ثم لم أكن أصلي، أو لم أكن تاركاً لمعصية الله، أو لم أكن مجتهداً في طاعة الله وإرضائه؛ ماذا ينفعني هذا العلم؟

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٢، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وصِفَة النفع في العلم نسبية، فما يكون نافعاً لأحدنا قد لا ينتفع منه غيره، وإن كانت بعض العلوم ينتفع منها الجميع.

٨. الحد الأدنى من طلب العلم النافع، الذي يُفتَرَض على كل مسلم أن يتعلمه؛ ليس بالحد الكبير، وقد مر معنا في المنهج الفكري، والفقه هو العلم الشرعي الذي يعطي أحكام أعمال الجسد، وأول ما يجب على طالب التزكية أن يعرفه من الفقه في هذه المرحلة ما يأتي:

١. أن يعرف العبادات المفروضة، وأن يعرف كيف يؤديها، كالطهارة والصلاة، والصيام إذا كان شهره، والحج إذا كان وقته، والزكاة إذا وجبت في ماله، وعليه وأن يتوجه إلى أدائها فوراً.

٢. أن يعرف أهم المنكرات والكبائر والمعاصي، ويتوجه إلى التوبة منها، ويبذل جهداً في تركها.

٣. أن يسأل عن أحكام الله في أعماله الدنيوية، فيترك ما كان منها مخالفاً كالربا والبيوع الفاسدة والرشوة، ويعمل أعماله الدنيوية وفق أمر الله وأحكامه.

المبحث الثاني

كلمة الإيمان: الشهادتان

مع إيمان القلب أمرنا الله تعالى بعمل للجوارح يرافق هذا الإيمان؛ وهو قول الشهادتين؛ «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ»، فجعلهما تعبيراً عن هذا الإيمان، وإظهاراً للإقرار به، وجعل قولهما ركناً من أركان الدين الخمسة، قال ﷺ: «بني الإسلام على خمس: **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»[١].

وهاتان الكلمتان لهما أعظم الثقل في التزكية إذا قالهما الإنسان عن إيمان واعتقاد بهما، فهي تمنع عنه الخلود في النار، وتوجب له الجنة، وتعصم دمه في الدنيا إلا بحق الله، وقال ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؛ لا يلقى الله بهما غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»[٢].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيته وقد استيقظ فقال: «**ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة**» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٨ ومسلم رقم ١٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتمام الحديث: قال: كنا مع النبي ﷺ في مسير، قال: فنفدت أزواد القوم، قال: حتى همَّ بنحر بعض حمائلهم، قال: فقال عمر: يا رسول الله؛ لو جمعت ما بقي من أزواد القوم، فدعوت الله عليها، قال: ففعل، قال: فجاء ذو البُرِّ ببُرِّه، وذو التمر بتمره، قال: وقال مجاهد وذو النواة بنواه، قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى، قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء، قال: فدعا عليها، قال: حتى ملأ القوم أزودتهم، قال: فقال عند ذلك: أشهد...

زنى وإن سرق على رُغم أنف أبي ذر»، وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: وإن رغم أنف أبي ذر(١).

وقال ﷺ: «إن الله سَيُخَلِّصُ رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فيَنشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمَك كتبتي الحافظون، فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»(٢).

وقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى **يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك **عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام**، وحسابهم على الله»(٣).

فاحرص على كلمة التوحيد واحرص على الشهادتين، فهي أعظم ما تزكي به نفسك، وإن فَاتَتْك فاتَتْك كل التزكية، فاحذر أن تنقضها بشيء من نواقض التوحيد.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٤٨٩ ومسلم رقم ٩٤، وقال البخاري بعد الحديث: هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله غفر له.

(٢) أخرجه أحمد رقم ٦٩٩٤ والترمذي ٢٦٣٩ وهذا لفظه، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان رقم ٢٢٥ والحاكم رقم ٩، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٢٥ ومسلم رقم ٢٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الثالث

الوضوء

جعل الله تعالى الوضوء عبادة، وندبنا إلى المحافظة عليه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»(١)، وقال ﷺ: «ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»(٢)، والمؤمن يكون أجره مستمراً بسبب وضوئه ما دام متوضئاً من غير عمل زائد.

وقد أعلمنا النبي ﷺ أن الوضوء سببٌ في التزكية والتطهير، فأعلمنا أن الله تعالى يكفر به الذنوب فتتساقط مع الماء المتساقط من الوضوء، قال ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب»(٣).

كما عد النبي ﷺ إسباغ الوضوء من الأمور التي يمحو الله بها الخطايا ويرفع بها الدرجات، قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٢٣ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٢٢٤٣٢ وابن حبان ١٠٣٧ والحاكم رقم ٤٤٨ عن ثوبان رضي الله عنه، وأخرجه مالك بلاغاً رقم ٦٦، وأخرجه ابن ماجه ٢٧٧-٢٧٩ عن ثوبان وابن عمر وأبي أمامة رضي الله عنهم، وتتمة الحديث كما رواه ابن حبان: «سددوا وقاربوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن» ورواه الباقون بألفاظ مقاربة.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٤٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويرفع به الدرجات، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فذلكم الرباط»[1].

وحثنا النبي ﷺ أن نصلي بعد كل وضوء فقال: «لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء، فيصلي صلاة؛ إلا غفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها»[2].

وحثنا أن لا ينام أحدنا إلا وهو متوضئ، قال: «مَنْ باتَ طَاهِرًا بَاتَ فِي شِعَارِهِ[3] مَلَكٌ، فلَمْ يستيقظْ إلا قال المَلَكُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فلان، فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»[4].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٥١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٢٧ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) شعاره: أي في غطائه الذي يتغطى به، والمعنى: أنه قريب منه.

(٤) حديث حسن، أخرجه ابن حبان رقم ١٠٥١ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٥٠٨٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد في أوله: «طَهِّرُوا هَذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللهُ». وقال بدل «فلم يستيقظ»: «لا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إلا...».

المبحث الرابع

الصلاة

١. فرض الله علينا الصلاة وجعلها أعظم فريضة، فهي العماد والركن الأول من أركان الإسلام بعد الشهادتين: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، **وإقام الصلاة** وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان»(١)، فلا بد أن يقيم أحدنا هذه الفريضة على وجهها الذي يزكي النفس.

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حينما بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تأْتي قَوْمًا منْ أَهْلِ الكتاب، فَادْعُهُمْ إِلى شَهَادةِ أَنْ لا إِله إِلاَّ الله، وأَنِّي رسولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطاعُوا لِذلكَ، فَأَعْلِمهُم أَنَّ الله افْتَرَض عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلواتٍ في كلِّ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلكَ، فأَعْلِمهُم أَنَّ الله تَعَالى افْتَرَض علَيْهِمْ صَدقة تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهم فَتُردُّ في فُقَرائِهم، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلَكَ، فَإِيَّاكَ وكَرائِم أَمْواِلهِم وَاتَّقِ دَعْوةَ المظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبيْنَ الله حِجَابٌ»(٢).

٢. جعل الله للصلاة أثراً في تزكية النفس وتطهيرها من الذنوب والسمو بها عن الوقوع في المعاصي والمنكرات، قال الله تعالى مبيناً أن الصلاة تطهر النفس من الباطل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ذلك أن الغاية من الصلاة أن يتذكر الإنسان فيها ربه، ويرجع بها إليه في اليوم مرات، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، فإذ يتذكر المصلي

(١) أخرجه البخاري رقم ٨ ومسلم رقم ١٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٣٣١ ورقم ٦٩٣٩ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم رقم ١٩ عن معاذ وابن عباس رضي الله عنهم، واللفظ لمسلم.

ربَّه وأنه الإله المعبود الحاكم، ويتذكر حقيقة نفسه أنه عبد لله؛ يدفعه ذلك إلى الالتزام بأحكام الله والخضوع له في كل أوقاته وأحواله، فإن الله الذي يصلي له يراه أيضاً بعد صلاته، ويطلب منه أن يعبده بالرجوع إلى أحكامه في حياته كلها.

كما بين النبي ﷺ أثر الصلاة في تزكية النفس وإصلاحها، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوَضوئه(١) وحاجته، فقال لي: سل(٢)، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أوَ غيرَ ذلك؟ قلت: هو ذاك، قال: فأَعِنِّي على **نفسك** بكثرة السجود»(٣)، قوله: «أَعِنِّي على نفسك» يشير إلى أن الصلاة والسجود تهذِّب النفس وتعين على إصلاحها.

وقال ﷺ مبيناً أثر الصلاة في تطهير الإنسان من الذنوب: «أَرأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْراً بِباب أَحَدِكم يغْتَسِلُ مِنْه كُلَّ يَوْمٍ خَمْس مرَّاتٍ، هلْ يبْقى مِنْ دَرَنِهِ شَيءٌ؟» قالُوا: لا يبْقَى مِنْ درنِهِ شَيْء، قَال: «فذلكَ مَثَلُ الصَّلَواتِ الخَمْسِ، يمْحُو الله بِهِنَّ الخطَايا»(٤).

٣. وكما للصلاة أثر في تطهير النفس؛ فإن لها الأثر الأكبر في تنمية الإيمان وترقية النفس، فهي أعظم ما يزيد الإيمان، فقد سماها الله تعالى لأجل ذلك إيماناً بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي صلاتكم(٥).

---

(١) الوَضوء: الماء الذي يُتَوَضَّأُ به.

(٢) أي اطلب مني ما تشاء.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٤٨٩، وفي رواية أخرى له: «أعني على ذلك».

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٠٥، ومسلم رقم ٦٦٧، واللفظ لمسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢/ ١٦ وما بعدها، وصحيح البخاري، قال البخاري: «باب الصلاة من الإيمان وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم عند البيت» =

والصلاة من أخص صفات المؤمن ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ *.... وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٩]، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج: ٣٤].

٤. وقد بين النبي ﷺ أن تارك الصلاة كافرٌ أو قريب من الكفر(١)، فقال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(٢).

وتارك الصلاة يستحق القتل لتركه الصلاة كما بين الفقهاء، وإن تاب وجب عليه القضاء(٣).

ولا يكاد ينتفع الإنسان بشيء ولا يزكيه شيء مع تركه للصلاة، فمن عصى الله بترك الصلاة التي هي أعظم فرض وهي الأعظم أجراً بين الأعمال؛ سيكون أكثر تهاوناً بما دونها من الفرائض والنوافل والقربات، ولن يكون مبالياً

= ثم ذكر الحديث رقم ٣٩ في سبب نزول الآية والذي يدل على هذا المعنى. وقد روى الترمذي رقم ٢٩٦٤ عن ابن عباس قال: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود رقم ٤٦٨٠ وابن حبان رقم ١٧١٧.

(١) وقد ذهب أكثر العلماء إلى أنه يكون كافراً إذا أنكر فرض الصلاة، أما إذا اعترف بأنها فرض لكنه تهاون في أدائها وتكاسل عنها فإنه يكون فاسقاً، ويسمى الفسق كفراً عملياً، ويمكن أن يفهم الحديث على ظاهره؛ بأنه إذا ترك الصلاة صار قريباً من الكفر، فمن ترك الصلاة يخشى عليه أن يصير كافراً، وذهب بعض العلماء إلى فهم الحديث على أنه بتركه للصلاة يصير كافراً، سواءً تركها جحوداً أم تهاوناً أم عصياناً أم كسلاً.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٨٢ عن جابر رضي الله عنه.

(٣) وهو قول جمهور العلماء، فيجب عليه أن يقضي كل ما فاته ولو كان عدة سنوات، قدر استطاعته، وفي أقرب فرصة، وبعض الفقهاء أفتى بعدم وجوب القضاء، وبعضهم يرى تارك الصلاة كافراً، فإذا تاب دخل في الإيمان فلا يجب عليه القضاء.

بزكاة أو صيام أو قيام، وإن صام أو حج فلأعين الناس وخجلاً منهم، لا لله.

وكيف يطمع تارك الصلاة أن يزكيه الله وقد وعده الله بالنار، وأشار إلى أنه ترافقه صفاتٌ من صفات أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٦].

٥. لما كانت الصلاة هي أعظم الفرائض والأعظم أجراً، كانت ميزاناً ومقياساً لأعمال الإنسان وصحته أو مرضه، فمن وجدت عنده الصلاة وأقامها بحقها، فلا بد أن يقوم بحق غيرها من الأعمال، ومن فرَّط فيها فرَّط في غيرها، فكانت الميزانَ الذي يُعرَف به حال الإنسان، فعن عبد الله بن قرط ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاةُ، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله»(١)، فالصلاة مرآة لحالتك خارج صلاتك، وهي الميزان لتزكية نفسك، فاجعلها محل اهتمامك الأعظم.

٦. من أعظم أهداف التزكية تحقيق العبودية لله تعالى، والصلاة هي أهم العبادات التي تحقق معنى العبودية وتغرسه في نفس المسلم، بما فيها من أركان وسنن وهيئات وأقوال.

ومع حرص المؤمن على أحكام الصلاة الظاهرة؛ ينبغي أن يهتم بالحضور والخشوع فهو أهم ما يعطي التزكية والعبودية والفلاح، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وإنما يؤجر المصلي على قدر حضوره، فعن عمار بن ياسر ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرجل ليصلي الصلاة ولعله لا

---

(١) حديث حسن، أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ١٨٥٩ عن أنس بن مالك ﵁.

يكون له من صلاته إلا عُشْرها أو تُسعها أو ثُمنها أو سبعها أو سدسها ...»[(١)].

وقد عدَّ بعض السلف وبعض الفقهاء الخشوع ركناً من أركان الصلاة، ولا شك أن الخشوع هو الذي يعطي الصلاة قيمتها ويحقق المقصد منها.

والصلوات المفروضة إذا كانت خاشعة فهي سبب في مغفرة الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «ما مِن امْرِيءٍ مُسْلِم تحضُرُهُ صلاةٌ مَكتُوبةٌ فَيُحْسِنُ وُضوءَهَا، وَخُشوعَهَا، وَرُكُوعَها، إِلاَّ كانت كَفَّارةً لما قَبْلَهَا مِنْ الذنُوبِ ما لم تُؤْتَ كَبِيرةٌ، وَذلكَ الدَّهْرَ كلَّهُ»[(٢)].

والصلاة الخاشعة هي من أعظم أسباب دخول الجنة: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ؛ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[(٣)].

والحضور والخشوع يكونان في ثلاثة جوانب في الصلاة:

الأول: أن تتذكر أنك مع الله مقبل عليه ومتوجهٌ إليه:

لا بد من الحضور مع الله سبحانه خلال الصلاة، فإنك إنما تصلي إليه، فكيف تنسى من تقف بين يديه وتتوجه إليه بصلاتك، وتقابله بها، قال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقال رسول الله ﷺ: «فإن الله قِبَل وجهه إذا صلى»[(٤)].

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٤/ ٣١٩ وأبو داود رقم ٧٩٦ والنسائي رقم ٦١١ وابن حبان ١٨٨٩، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٢٨، عن عثمانَ بنِ عفان رضي الله عنه.

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٣٤ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٣٩٨، عن ابن عمر رضي الله عنه.

لو أنك كنت في زيارة ملك من ملوك الدنيا أتنسى وأنت واقف بين يديه أنك أمامه؟ فكيف تتجاهل ملك الملوك في صلاتك، وتنسى أنك تعبده وتكلمه وتتقرب إليه وتتذلل بين يديه.

والذي يكون حاضراً منتبهاً مع من يجالسه، قد يكون معظماً له متواضعاً له، وقد لا يكون، ومن كان حاضراً مع الله ينبغي أن يجمع إلى حضوره معنى الخشوع، بتعظيمه لقدر الله وهيبته من الله وتواضعه له وحبه له.

فالخشوع معنى يزيد فوق الحضور، إذ لا يمكن للإنسان أن يخشع إذا لم يكن حاضراً، فلابد أن يستحضر الإنسانُ وجود الله ومعيته ابتداءاً ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ثم يبني عليه الخشوع ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢].

ولا يتم الخشوعُ والحضورُ مع الله إلا بتفريغ القلب مما سوى الله، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله: «فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»(١).

ومن يزور الملوك فإنه يَلبَس أحسن الثياب ويجمِّل مظهرَه، لذلك أمرنا الله بهذا في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، فليس من أدب المؤمن أن يدخل في الصلاة في ثيابِ نومه أو في ثيابٍ وسخة، فالأدب مع الله أولى من الأدب مع كل من سواه.

الثاني: تدبر ما تقول في الصلاة:

فلا بد من الانتباه في الصلاة إلى معاني التكبير والقرآن الذي

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٨٣٢، عن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ عن عَمْرو بن عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ ﷺ، وقد ذكر النبي ﷺ قبل الصلاة إحسان الوضوء.

نقرؤه والتسبيح والتشهد وغير ذلك، وهذا من أعظم ما يعطي الحضور والخشوع.

فالصلاة مناجاة بين العبد وربه، فما نقرؤه وما نسبحه وتكبيرنا خطاب ومناجاة مع الله، قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه»(١).

وقد علمنا النبي ﷺ نموذجاً من هذه المناجاة فقال: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين، قال: مجدَّني عبدي، وقال مرة: فوَّض إلي عبدي، فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين، قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، قال: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»(٢).

وإذا استعجل المسلم في صلاته فإنه لا يُحسِن الخشوع والتدبر، لذلك نهينا عن العجلة في الصلاة، وأُمِرْنا بإطالةُ القيام في الصلاة، قال النبي ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٩٧، وهذا نص الحديث كاملًا: عن أنس أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة، فشق ذلك عليه، حتى رؤي في وجهه، فقام فحكه بيده، فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة، فلا يبزقن أحدكم قِبَل قِبْلَتِه، ولكن عن يساره أو تحت قدميه، ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه، ثم رد بعضه على بعض، فقال: أو يفعل هكذا»، وأخرج أحمد رقم ٥٣٤٩ «إن المصلي يناجي ربه عز وجل **فلينظر أحدكم بما يناجي ربه**» وبمعناه عند ابن خزيمة ٤٧٤.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٣٩٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٧٥٦ عن جابر رضي الله عنه.

الثالث: استحضار معاني هيئات الصلاة:

وذلك بتذكر معنى القيام بين يدي الله والركوع والسجود له والجلوس، فهذه الهيئات والأعمال لم يشرعها الله لنا عبثاً، وإنما لتذكرنا بخضوعنا لله وتذللنا بين يديه.

٧. من مظاهر الحرص على الصلاة التي تزيد المسلم تزكية وتطهيراً وأجراً وقرباً من الله:

- الحرص على **الوضوء** وإتقانه وإسباغه، فإنه «لا تقبل صلاة بغير طهور»(١)، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط»(٢).

وحسنُ الوضوء والحرصُ على السنن والذهابُ إلى المسجد وانتظارُ الصلاة؛ كلها أمور تمهد للخشوع في صلاة الفريضة، فيسكُنُ من خلالها الفكر والقلب، وينقطع ما كان يفكر به من أمر دنياه.

- الحرص على **صلاة الفريضة على أول وقتها**، فذلك دليل حب الصلاة، ودليل المسارعة إلى طاعة لله، فإن الصلاة على وقتها من أحب الأعمال إلى الله كما أخبر النبي ﷺ(٣) ومن معناه أن يحرص الإنسان على أن يصلي كل

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٢٤، عن ابن عمر رضي الله عنه، ونحوه عند أحمد في المسند ٢/ ١٩ رقم ٤٧٠٠ وابن حبان رقم ١٧٠٥.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٥١.

(٣) ونص الحديث كما أخرجه البخاري رقم ٥٠٤ ومسلم ٨٥ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها»، قال: ثم أي؟ =

صلاة في أول وقتها(١)، وقد كان النبي ﷺ إذا حضرت الصلاة كأنه لا يعرف أحداً، من اهتمامه بالصلاة وتقديمها على كل شيء.

وليس من أهل التزكية من ينام وهو لا يبالي بصلاة الفجر، ولا يحرص على الاستيقاظ إليها في وقتها، يضع أحدنا عمله الدنيوي في باله، ويخاف أن يتأخر عن عمله، حتى لا يعاقبه المسؤول عنه أو حتى لا يفوته متاع من الدنيا، ولا نخاف من الله؟ أنجعل الله أهونَ من خلقه؟ أيجعل أحدنا فريضة الله أهون من لعاعة الدنيا؟ كيف نؤثر ساعة نسهرها ـ وربما كانت في غير طاعة ولا ضرورة ـ على فريضة ربنا وفضيلة صلاتنا وبيوت ربنا.

- الحرص على **صلاة الجماعة**، فإنها أجمع للقلب وأخشع، وأبعد عن السرعة في أداء الصلاة، وأعظم أجراً، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال رسولنا ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ(٢) بسبع وعشرين درجة»(٣).

= قال: «ثم بر الوالدين» قال: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني.

(١) فقد روى ابن خزيمة رقم ٣٢٧ الحديث السابق بلفظ: أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة في أول وقتها»، وأخرج الترمذي رقم ١٧٠ وأبو داود رقم ٤٢٦ عن أم فروة وكانت ممن بايعت النبي ﷺ قالت: سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لأول وقتها».

(٢) أي الواحد منفرداً.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦١٩ ومسلم رقم ٦٥٠ عن ابن عمر رضي الله عنهما، ورواه البخاري رقم ٦١٩ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ: بخمس وعشرين درجة. وتتمة الحديث في بعض روايات الحديث عند البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «وذلكَ أَنَّهُ إذا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ خَرَجَ إِلى المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُه إِلاَّ الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَتْ لَه بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْه بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذا صَلى لَمْ تَزَلِ المَلائِكَة تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلاَّه، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارحَمْهُ. وَلا يَزَالُ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ».

ولم يكن يتخلف من أصحاب رسول الله ﷺ أحد عن صلاة الجماعة، وكانوا يعرفون المنافق بتخلفه عن الجماعة في صلاة الفجر والعشاء، فكيف لو جاء أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن منا من لا يصلي الصلوات الخمس في المسجد.

وقال رسولُ الله ﷺ: «لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ صلاة الفَجْرِ وَالعِشاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِيهما لأَتَوْهُما وَلَوْ حبْوًا»(١).

فليكن أعظم الحرص على **جماعة الفجر والعشاء**، فقد بين النبي ﷺ أن «مَنْ صَلَّى العِشَاءَ في جَـماعَةٍ؛ فَكَأَنَّما قامَ نِصْف اللَّيْل، وَمَنْ صَلَّى الصبْح في جَماعَةٍ؛ فَكَأَنَّما صَلَّى اللَّيْل كُلَّهُ»(٢).

وبين النبي ﷺ أن من يصلي الفجر فهو رعاية الله وضمانه فقال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم»(٣).

والملائكة تستغفر وتترحم على المصلي ما دام في مسجده، قال ﷺ: «الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه»(٤).

وكل وقت يمضيه المسلم في صلاة الجماعة وطريقها وانتظارها؛ يعطى فيه أجر الصلاة، فلا ينبغي لمسلم أن يظن أن أوقاته تضيع في ذهابه إلى المسجد

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٢٦ ومسلم رقم ٦٥١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرجه مسلم رقم ٦٥٦ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأخرجه الترمذي رقم ٢٢١، وفي روايته يبين أن الذي يكون كالذي قام الليل كله هو الذي صلى العشاء والفجر في جماعة، قال: «وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ والْفَجْر في جَماعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَة».
(٣) أخرجه مسلم رقم ٦٥٧ عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري رقم ٦٢٨ ومسلم نحوه رقم ٦٤٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والجماعة، بل هو يحصِّل بذلك أعظمَ أجر، ولو تخلف عن الجماعة فلن يعمل عملاً أعظم أجراً من الصلاة، قال ﷺ: «لا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلاةٍ مَا دَامتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلى أَهْلِهِ إِلاَّ الصَّلاةُ»[1].

وقد بين النبي ﷺ أن الذي يتخلف عن الجماعة بغير عذر يستحق أن يحرق بيته، فقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَقَدْ هَمَمْت أَن آمُرَ بحَطَبٍ فَيُحْتَطَب، ثُمَّ آمُرَ بالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُؤَمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلى رِجَالٍ فأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين[2] لشهد العشاء»[3].

والحديث يبين أن العاقل الصادق لا يتخلف عن صلاة الجماعة، فإن الإنسان لو دعي إلى وليمة متواضعة يجد فيها شيئاً قليلاً من اللحم لاستجاب، فكيف بمن يدعوه الله إلى بيته وجعل له في ذلك جنة وأجراً عظيماً، فالذي لا يستجيب إما ناقص العقل، وإما كاذب غير صادق في طلبه الثواب ومرضاة الله.

ولم يرض النبي ﷺ للأعمى أن يتخلف عن الجماعة فكيف بغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: أَتَى النبيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعمى فقال: يا رسولَ الله، لَيْس لي قَائِدٌ يقُودُني إِلي المَسْجِدِ، فَسأَلَ رسولَ الله ﷺ أَن يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَليِّ في بَيْتِهِ، فَرَخَّص لَهُ، فَلَمَّا وَلَّ دَعَاهُ فقال له: هلْ تَسْمَعُ النِّداءَ بِالصَّلاةِ؟» قال: نَعَمْ، قال: «فَأَجِبْ»[4].

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٢٨ ومسلم رقم ٦٤٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه،

(٢) عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين: أي عظمًا عليه لحم، أو أقدام شاة فيها لحمها القليل.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦١٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه ومسلم نحوه رقم ٦٥١، وفي رواية لمسلم رقم ٦٥٢ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن التحريق لمن يتخلف عن صلاة الجمعة.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٦٥٣.

ولا بأس أن تصلي المرأة في المسجد، قال ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»(١)، وهذا محمول على المرأة التي تحافظ على حجابها وسترها وعفتها، ولا تكون سبباً في فتنة، أما إذا كان خروجها يؤدي إلى فتنة أو فيه تقصير في حجابها وعفتها فصلاتها في بيتها خير لها وأزكى لها، وعلى هذا يحمل حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها، وصلاتها في مَخدعها(٢) أفضل من صلاتها في بيتها»(٣).

- **صلاة الجمعة وخُطبتها،** فقد أمر الله بها في كتابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة: ٩]، وقد حذرنا النبي ﷺ من التخلف عن الجمعة من غير عذر، فقال: «لينتهين أقوام عن وَدْعِهِم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونُنَّ من الغافلين»(٤)، ومن ختم على قلبه كيف يطمع أن يتزكى أو أن يفهم التزكية من التدسية وقلبه أعمى مطموس.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٨٥٨ ومسلم رقم ٤٤٢ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) المَخْدَع والمُخْدَع: هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير. انظر: النهاية في غريب الحديث: ٢ / ١٤.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٥٧٠ والحاكم في المستدرك رقم ٧٥٧ وصححه على شرط الشيخين، وروى أحمد وابن خزيمة وابن حبان رقم ٢٢١٧ عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي»، وقد حسن بعض العلماء هذا الحديث، وضعفه آخرون.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٨٦٥ عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم.

كما بين النبي ﷺ أن من يتأخر عن بداية الخطبة فإنه لا تكتبه الملائكة فيمن حضرها، أي فكأنما فاته أجرها، قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد الملائكة، يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاؤوا يستمعون الذكر»(١).

وحثنا النبي ﷺ على التبكير إلى الصلاة يوم الجمعة، فقال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المُهَجِّرِ(٢) كمثل الذي يهْدِي بَدَنَةً، ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشاً ثم دجاجة ثم بَيْضة، فإذا خرج الإمام طَوَوا صُحفَهم ويستمعون الذكر»(٣).

وقال ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قَرَّبَ بدَنَةً، ومن راح في الساعة الثانية(٤) فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»(٥).

ومن السنة أن يغتسل المسلم ويتجمل ويتطيب للجمعة ويكثر من الصلاة قبل الخطبة، قال ﷺ: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين،

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٠٣٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أي المبكر إلى الصلاة.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٨٨٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) الساعة: وقت ما، يقدر بنحو ثلث ساعة، وقد كان لفظ «الساعة» يستعمل أحياناً لهذا القدر، وأحياناً يستعمل لما يساوي الساعة في زماننا.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٨٤١ ومسلم رقم ٨٥٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»(١).

وخطبة الجمعة لا شك أن لها أثراً عظيماً في تزكية الإنسان، إذ تذكر الإنسان بكثير من المعاني التي قد يغفل عنها، وتحثه على الإقبال على الله، مرة بعد مرة في كل أسبوع.

- **صلاة ركعتين إذا دخل المسجد،** قال ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»(٢).
- الحرص على **السنن الرواتب،** فإنها تكمّل الفريضة، وتساعد على الخشوع فيها، ولها أجرها العظيم، قال ﷺ: «من صلى في يوم ثنتي عشرة سجدة تطوعاً بني له بيت في الجنة»(٣).

وعَنِ ابنِ عُمَر رَضيَ الله عنْهُما، قالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رسُول الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، ورَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعةِ، ورَكْعتيْنِ بَعْد المغرِبِ، ورَكْعتيْنِ بعْد العِشَاءِ»(٤).

وقد ورد مزيد من التأكيد على ركعتين سنةً قبل الفجر، فعن عائشة أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح(٥)، وقال ﷺ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٨٤٣، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري رقم ١١١٠ عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه.
(٣) أخرجه مسلم رقم ٧٢٨، عنْ أُمِّ المؤمِنِيَن أُمِّ حبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنتِ أَبِي سُفيانَ رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.
(٤) أخرجه البخاري رقم ١١١٢ ومسلم نحوه رقم ٧٢٩.
(٥) أخرجه مسلم رقم ٧٢٤.
(٦) أخرجه مسلم رقم ٧٢٥، عن عائشة رضي الله عنها. والمقصود بركعتي الفجر: ركعتا السنة.

وندبنا النبي ﷺ إلى صلاة ركعتين بعد كل أذان وقبل الإقامة، فقال ﷺ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بيْنَ كلِّ أَذَانيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ» وقالَ في الثَّالثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ»(١)، والمُرَادُ بالأَذَانَيْنْ: الأَذَانُ وَالإِقَامةُ.

- **صـلاة الوتـر**، وقد عدَّهـا بعض العلماء واجبـةً لكثرة ما شـدد فيها النبي ﷺ ولحرصـه عليهـا، وقـد أمـر بهـا النبـي ﷺ، فقـال: «أوتـروا قبـل أن تصبحوا»(٢)، وقال رسـول الله ﷺ: «من خـاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتـر أوله، ومـن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل، فإن صلاة آخر الليل مشهودة، وذلك أفضل»(٣).
- **صلاة الضحى**، وقد ندب إليه النبي ﷺ فأوصى بها بعض أصحابه(٤)، وقال ﷺ: «يُصْبِحُ عَلى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحدِكُمْ صَدَقَةٌ: فكُلُّ تَسْبِيحةٍ صدقَةٌ، وكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَكْبِيرةٍ صدقةٌ، وَأَمْرٌ بِالمعْرُوفِ صَدقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنكَرِ صدقةٌ، وَيُجْزِيءُ مِنْ ذلكَ ركْعتَانِ يَرْكَعُهُما منَ الضُّحَى»(٥).

وقد سمى النبي ﷺ صلاة الضحى بصلاة الأوابين، وحث على أن تكون عند ابتداء شدة حر النهار، أي في نصف الوقت بين طلوع الشمس والظهر،

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٨ ومسلم رقم ٨٣٨، عنْ عبدِ الله بن مُغَفَّلٍ المزني رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٧٥٤ عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٧٥٥ عن جابر رضي الله عنه.

(٤) روى البخاري رقم ١١٢٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أوصاني خليلي بثلاث، لا أدعهن حتى أموت؛ صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر»، ونحوه في مسلم رقم ٧٢١.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٧٢٠ عن أبي ذر رضي الله عنه.

فعن زيد بن أرقم رأى قوماً يصلون من الضحى، فقال: أما لقد علموا أن الصلاة هذه الساعة أفضل، إن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الأوابين حين تَرْمِضُ الفِصال»(١).

وقد كان النبي ﷺ يصليها أربعاً ويزيد ما شاء(٢)، وصلاها يوم الفتح ثمانياً(٣).

- **قيام الليل**، وذلك يبدأ من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر الثاني، وتصلى ركعتين ركعتين، قال ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى»(٤).

وقد لازم النبي ﷺ القيام ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠].

وحث النبي ﷺ كثيراً على قيام الليل، فقال: «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»(٥).

وقال ﷺ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأْب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٧٤٨، ومعنى ترمض الفصال: أي تستريح الجمال لابتداء اشتداد الحر، وتقدير هذا الوقت: في نصف الوقت ما بين طلوع الشمس والظهر.
(٢) أخرجه مسلم رقم ٧١٩ عن عائشة رضي الله عنها.
(٣) أخرجه مسلم رقم ٣٣٦، عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها.
(٤) أخرجه البخاري رقم ٩٤٦ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ونحوه مسلم رقم ٧٤٩.
(٥) أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه رقم ١١٦٣.
(٦) حديث صحيح، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، أخرجه الترمذي رقم ٣٥٤٩ وابن خزيمة رقم ١١٣٥ والحاكم رقم ١١٥٦ وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. وزاد الترمذي في رواية ضعيفة عن بلال رضي الله عنه: «ومطردة للداء عن الجسد».

وإنما كان لقيام الليل أهميته العظمى، لأن الإنسان يخلو فيه ـ في الغالب ـ عن الأعمال التي تشغله وتشغل فكره، كما يكون بعيداً عن الناس والخلطة بهم، وجَوُّ الليل والظلمة يساعد بطبيعته على الخشوع، لذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، فما تُنْشِئُه في الليل من العبادة هو أعظم أثراً وأجمل قولاً.

وقد تجد كثيراً منا يخشع في قيام الليل، ولا يخشع في صلاة الفريضة، وخشوعنا في صلاة الفريضة هو الأولى بالاهتمام، لأن الفريضة أعظم عند الله من النافلة، ولكن حرص الإنسان على قيام الليل والخشوع فيه مما يعلّم الإنسان الخشوع، فيساعده على الخشوع في الفريضة وغيرها.

فليكن لك شيء من القيام، ولو أن تصلي ركعتين قبل أن تنام، أو ركعتين قبل أذان الفجر، ثم حاول أن تنمي ذلك وتزيده، وتطيل الصلاة والقراءة، وتطيل السجود، وتكثر فيه من الدعاء مع التسبيح، وتعظّم الله في الركوع.

ومن صَعُب عليه إطالة القيام والركوع، كما كان يفعل النبي ﷺ، فليكثر من الركعات، قال ﷺ: «اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة، وحط عنك بها خطيئة»(١).

وخير القيام ما كان في آخر الليل «يتنزَّل(٢) ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(٣)، فاحرص على القيام في آخر

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده رقم ٢٢١٩٤، والنسائي في السنن الكبرى نحوه رقم ٨٦٩٨.

(٢) وفي رواية «ينزل».

(٣) أخرجه البخاري رقم ٧٠٥٦ ومسلم رقم ٧٥٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الليل بالصلاة والدعاء والاستغفار والذكر، ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وينبغي على طالب التزكية أن يحرص على قيام الليل، فلا يفوِّته مهما كان الأمر، فإن فاته لعذر حرص على تعويضه، فقد كان رسول الله ﷺ «إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره؛ صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة»(١).

فقد عامل النافلة معاملة الواجب، فكان يقضيها إذا فاتت، وهذا أمر مهم لأهل التزكية، لأن الإنسان ما لم يعامل نوافله معاملة الواجب؛ فإنه يتكاسل ويسوِّف، أما إذا حرص عليها كحرصه على الواجبات فإن النفس لا تحدثه بالتهاون فيها، ولا يجد الشيطان إليه سبيلاً، لما يعلم من حرصه عليها، فإنها لو فاتته فإنه يعوِّضها.

- **قيام ليلة القدر**، وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان من كل سنة، على قول جمهور العلماء، وقد بينت الأحاديث الصحيحة أنها في الوتر من الأيام العشرة الأخيرة من رمضان.

وقد حث الله تعالى عليها ببيان فضل العبادة فيها، إذ قال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ [القدر: ٣] قال العلماء: أي العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر، وقال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وأهل التزكية يحرصون على مثل هذه الساعات المباركة، فإن آثارها كبيرة في تزكية النفس ومغفرة الذنوب وإقبال القلب على الله.

- **قيام ليلة النصف من شعبان**، وقد اختلف العلماء في تخصيصها بالقيام هل هو سنة مندوب إليها أم لا، ومن قال بأنها سنة فقد استدل بحديث معاذ

(١) أخرجه مسلم رقم ٧٤٦ عن عائشة رضي الله عنها.

ابن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يطلع الله إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»(١)، والحديث لم يحث على قيام الليلة، لكنه بين فضلها، فكأنه أشار إلى استحباب قيامها، كما في قول الله تعالى في ليلة القدر، فإنه بين فضلها ولم يأمر بقيامها فيكون مقتضى بيانِ فضلِها أنه يحث على قيامها، وهذا استنباط مقبول عند علماء أصول الفقه.

والقضية اجتهادية خلافية، فلا ننكر على من اعتبر قيام هذه الليلة سنة، كما لا ننكر على من قال إنها ليلة كسائر الليالي يُشرَع فيها القيام ولا تخصص بذاتها.

على أنه لا يصح ما ورد في صلاة الرغائب التي خصها الناس بليلة النصف من شعبان، والأحاديث الواردة فيها كلها موضوعة، وما يقال من دعاء خاص في هذه الليلة فإنما هو من كلام الصالحين، ولا يجوز نسبته إلى السنة، فيجوز أن يدعو الله بأي دعاء معانيه صحيحة وشرعية، أما اجتماع الناس على هذه الليلة واحتفالهم بها فليس هو من السنة، فإن كان على سبيل التعاون على البر وللتشجيعِ على القيام، كما يفعل الناس في ليلة القدر فلا بأس، مع وجوب التنبه إلى خلو هذه المجالس من البدع والتجاوزات الشرعية.

---

(١) حديث صحيح، أخرجه ابن حبان رقم ٥٦٦٥.

من الأذكار والأدعية المسنونة المتعلقة بالأذان والمسجد والوضوء والصلاة وما بعدها

أذكار الأذان: يقول مثل ما يقول المؤذن[١] إلا في «حي على الصلاة، وحي على الفلاح» فيقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

ثم يصلي على النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن[٣].

ثم يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته»[٤]، «إنك لا تخلف الميعاد»[٥].

عَن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَال حِينَ يسْمعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَد أَنْ لا إِله إِلاَّ الله وحْدهُ لا شَريك لهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عبْدُهُ وَرسُولُهُ، رضِيتُ بِالله ربًّا، وبمُحَمَّدٍ رَسُولاً، وبالإِسْلامِ دِينًا، غُفِر لَهُ ذَنْبُهُ»[٦].

الذكر قبل الوضوء: «بسم الله»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٨٦ ومسلم رقم ٣٨٣عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٣٨٥ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونحوه البخاري ٥٨٨ عن غير عمر.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٣٧٤ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٨٩ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ويقول النبي ﷺ في نهايته: أن من قال ذلك حلت له شفاعتي يوم القيامة.

(٥) حديث حسن، رَوَى الدعاءَ السابقَ مع هذه الزيادةِ البيهقيُّ في سننه الكبرى رقم ١٧٩٠.

(٦) أخرجه مسلم رقم ٣٨٦، عنْ سَعْدِ بْن أَبِي وقَّاصٍ رضي الله عنه.

(٧) وردت عدة أحاديث تدل على سنية التسمية قبل الوضوء تصل في مجموعها إلى الصحة، منها حديث أحمد رقم ١٤١٤٧ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه =

الذكر بعد الفراغ من الوضوء: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»(١)، ثم يقول: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»(٢).

دعـاء الذهـاب إلى المسـجد: «اللهم اجعـل في قلبي نوراً، وفي لسـاني نـوراً، واجعل في سـمعي نـوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعـل من خلفي نـوراً، ومـن أمامي نـوراً، واجعل مـن فوقي نوراً، ومـن تحتي نـوراً، اللهم أعطني نوراً»(٣).

دعاء دخول المسجد: «بسم الله»(٤)، ثم يصلي على النبي ﷺ(٥)، .....

= وحديث ابن خزيمة رقم ١٤٤ عن أنس ﷺ وحديث النسائي رقم ٧٨ في المجتبى عن أنس.

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٣٤ عن عقبة بن عامر ﷺ، وفي الحديث أن من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ذلك؛ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء.

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٥٥ عن عمر بن الخطاب ﷺ، والبيهقي رقم ١١٢ في السنن الصغرى عن ابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٧٦٣ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو جزء من حديث وفيه: فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول... وذكر الدعاء، وقد روي نحو هذا الدعاء مع اختلاف ألفاظ وزيادات منها: **وعن يميني نوراً، وعن شمالي نوراً، واجعل في نفسي نوراً، وأعظم لي نوراً، وعظم نوراً، واجعل لي نوراً، واجعلني نوراً، واجعل في عصبي نوراً، وفي لحمي نوراً، وفي دمي نوراً، وفي شعري نوراً، وفي بشري نوراً**، أخرج هذه الزيادات البخاري ٥٩٥٧ ومسلم ٧٦٣.

(٤) وقد ورد قولها عند دخول المسجد في روايات لا بأس بها.

(٥) ورد ذلك في أحاديث يشهد بعضها لبعض وتبلغ الحسن أو الصحة؛ روى أبو داود رقم ٤٦٥ أن أبا حميد أو أبا أسيد الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك فإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك»، وروى أحمد رقم ٢٦٤٦٠ والترمذي رقم ٣١٤ عن فاطمة الكبرى قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد **صلى على محمد وسلم**، وقال: =

«اللهم افتح لي أبواب رحمتك»(١).

دعاء الخروج من المسجد: بسم الله، ويصلي على محمد ويسلم(٢)، «اللهم إني أسألك من فضلك»(٣)، «اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم»(٤).

دعـاء الاسـتفتاح في أول الصلاة بعد التكبير: «اللهـم باعد بيني وبين خطايـاي كـما باعـدت بين المـشرق والمغرب، اللهـم نقني مـن خطاياي كما ينقـى الثـوب الأبيـض مـن الدنـس، اللهم اغسـل خطايـاي بالمـاء والثلج والبرد»(٥).

أو يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك، ولا إله غيرك»(٦).

= رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم، وقال: رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك».

(١) أخرجه مسلم رقم ٧١٣ عن أبي حميد أو عن أبي أسيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

(٢) كما سبق في أحاديث الدخول إلى المسجد.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٧١٣.

(٤) حديث صحيح، أخرجه ابن ماجه رقم ٧٧٣ عن أبي هريرة ﷺ، نحو حديث أبي داود إلى أنه قال: «وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم اعصمني...».

(٥) أخرجه البخاري رقم ٧١١ ومسلم رقم ٥٩٨، عن أبي هريرة ﷺ.

(٦) حديث صحيح، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يستفتح بهذه الكلمات، أخرجه الترمذي رقم ٢٤٣ وأبو داود رقم ٧٧٦ وابن خزيمة رقم ٤٧٠ والحاكم رقم ٨٥٩، وأخرجه أبو داود رقم ٧٧٥ وابن ماجه رقم ٨٠٤ والنسائي رقم ٩٧٣ عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وزاد النسائي أنه كان يستفتح به في صلاة الليل، وروى مسلم رقم ٣٩٩ عن عبدة أن عمرة كان يجهر بهذه الكلمات أي بعد التكبير.

من دعاء النبي ﷺ في السجود: كان رسُول الله ﷺ يقُولُ في سُجُودِهِ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي ذَنبي كُلَّهُ؛ دِقَّه وجِلَّهُ، وأَوَّله وَآخِرَهُ، وعلانيته وَسِرَّه»(١).

عنْ عائشةَ رضي الله عنْها قالَتْ: افتَقدْتُ النبي ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه، فَتَحَسَّسْتُ، فَإِذَا هُو راكعٌ أَوْ سَاجدٌ يقولُ: «سُبْحَانكَ وبحمدِكَ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ»(٢) وعنها: فَقَدْتُ النبي ﷺ ليلة، فالْتَمَسْتُه، فَوقَعَتْ يَدِي على بَطْنِ قَدميهِ، وهُوَ في المَسْجِدِ، وهما منْصُوبتانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وبمُعافاتِكَ مِنْ عُقوبتِكَ، وَأَعُوذُ بِك مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عليكَ أَنْتَ كما أثنيتَ على نَفْسِكَ»(٣).

التشهد: «التحيات لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»(٤).

الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٤٨٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٤٨٥.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٤٨٦ عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٧٩٧ ومسلم ٤٠٢ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وقال فيه قبل أن يذكر الشهادتين: «فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض».

(٥) أخرجه البخاري بهذا اللفظ رقم ٣١٩٠ عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ يعلمهم كيف يصلون عليه، وقد وردت صيغ أخرى في الصحيحين قريبة من هذه أو مختصرة منها، ومنها يقول: «**صل على محمد عبدك ورسولك**»، ومنها يقول: «**صل على محمد وأزواجه وذريته**» ومنها يقول: «**في العالمين إنك حميد مجيد**»، انظر: البخاري رقم ٣١٨٩ =

من دعاء النبي ﷺ بعد التشهد: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عذَابِ جهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المحْيَا والمَماتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيح الدَّجَّالِ»(١).

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ أنْ أُرَدَّ إلى أرْذَل العُمُرِ وَأعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا، وأَعوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبر»(٢).

عنْ معاذٍ ﷺ أَنَّ رسُول الله ﷺ أَخَذَ بيَدِهِ وقال: «يَا مُعَاذُ، وَالله إِنِّي لأُحِبُّكَ» فقال: «أُوصِيكَ يَا معاذُ لا تَدعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وَحُسنِ عِبادتِكَ»(٣).

من دعاء النبي ﷺ في قيام الليل في الاستفتاح والركوع والرفع والسجود وبعد التشهد: عنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ

= ومسلم رقم ٤٠٧ عن أبي حميد الساعدي ﷺ، والبخاري ٤٥٢٠ عن أبي سعيد الخدري ﷺ، ومسلم رقم ٤٠٥ عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ، ومسلم ٤٠٦ عن كعب بن عجرة ﷺ.

(١) أخرجه مسلم رقم ٥٨٨ عنْ أبي هُرَيْرة ﷺ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إذا تَشَهَّد أَحدُكُمْ فَليسْتَعِذ بِاللهَّ مِنْ أرْبَع، يقولُ:...» وروى نحوه البخاري رقم ٧٩٨ ومسلم رقم ٥٨٩ عن عائشة رضي الله عنها أنه كان يدعو بها في الصلاة ولم تحدد أنها بعد التشهد.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٦٦٧، عنْ سعدِ بن أبي وقاص ﷺ أنَّ رَسُول اللهَّ ﷺ كانَ يَتَعوَّذُ منهن دُبُر الصَّلاة.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ١٥٢٢ ونحوه ابن حبان رقم ٢٠٢٠.

يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»، وَإِذَا **رَكَعَ** قَالَ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي»، وَإِذَا **رَفَعَ** قَالَ «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ»، وَإِذَا **سَجَدَ** قَالَ «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ **بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ**: «اللَّهمَّ اغفِرْ لي ما قَدَّمتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ ومَا أَعْلَنْتُ، وما أَسرفْتُ، وما أَنت أَعْلمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لا إله إلاَّ أَنْتَ»(١).

من ذكر النبي ﷺ بعد صلاة الصبح والمغرب: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، عشر مرات»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٧٧١ عنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٧٤ عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في **دبر صلاة الفجر** وهو ثاني رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، **عشر مرات**؛ كتب له عشر حسنات، ومحيت عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله» قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح، وأخرجه أحمد نحوه رقم ٨٧٠٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه أحمد رقم ٢٣٥٦٥ بإسناد صحيح عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال إذا صلى الصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير؛ عشر مرات، كُنَّ كعدل أربع رقاب، وكتب له بهن عشر حسنات =

الأذكار بعد السلام من الصلاة(١): كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام»(٢).

وقراءة آية الكرسي(٣)، بعد كل صلاة(٤).

= ومحي عنه بهن عشر سيئات ورفع له بهن عشر درجات وكن له حرساً من الشيطان حتى يمسي، **وإذا قالها بعد المغرب** فمثل ذلك»، وأخرجه أحمد أيضاً رقم ١٨٠١٩ عن عبد الرحمن بن غنم نحوه وفيه: «من صلاة **المغرب والصبح**»، وروى نحوه البخاري رقم ٦٠٤١ ومسلم رقم ٢٦٩٣، عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، وفيهما أن أجر قولها عشراً كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل، من غير أن يذكرا أنها تقال بعد الصبح والمغرب.

(١) أذكار ما بعد الصلاة؛ لم يرد نص يحدد أيها قبل الأخرى، فلا حرج في تقديم بعض وتأخير بعض.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٥٩١ والنسائي رقم ١٢٦٠ عن ثوبان ﷺ، ونحوه عن عائشة رضي الله عنها، قال مسلم بعد حديث ثوبان: قال الوليد فقلت للأوزاعي: كيف الاستغفار؟ قال: تقول: أستغفر الله، أستغفر الله.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهي أفضل آية في القرآن، روى مسلم رقم ٨١٠ «عن أُبَيِّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: يا أبا المُنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري، وقال: والله لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر» وأخرجه أبو داود رقم ١٤٦٠، وقوله «ليهنك»: أي هنيئاً لك.

(٤) دل عليه حديث حسن، أخرجه النسائي رقم ٩٩٢٨ عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»، وقال الهيثمي: أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بأسانيد أحدها جيد، مجمع الزوائد ١٠/١٠٢.

وسورة الإخلاص(١) والفلق(٢) والناس(٣)، بعد كل صلاة(٤).

«سبحان الله» ثلاثاً وثلاثين، و «الحمد لله» ثلاثاً وثلاثين، و «الله أكبر» ثلاثاً وثلاثين.

ويقول تمام المائة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»(٥).

وكان رَسُول الله ﷺ إذا فَرغَ مِنَ الصَّلاة وسلَّم قالَ: «لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ.

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وهي تعدل ثلث القرآن، روى مسلم رقم ٨١١ عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن».

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق: ١-٥].

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ [الناس: ١-٦].

(٤) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ١٥٢٣ والنسائي رقم ١٢٥٩ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن اقرأ بالمعوِّذات دبر كل صلاة، وأخرجه عنه الترمذي رقم ٢٩٠٣ بلفظ: «بالمعوذتين»، والترمذي: «هذا حديث حسن غريب». والمعوذتان: هما الفلق والناس، والمعوذات: هي الإخلاص معهما.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٥٩٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وفيه أن من قال ذلك دبر كل صلاة غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر، وروى مسلم ٥٩٦ عن كعب بن عجرة عن رسول الله ﷺ قال: «معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة». وروى البخاري ما يدل على سنية ذلك: رقم ٨٠٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً.

اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينْفَعُ ذا الجَدِّ[1] مِنْكَ الجَدُّ»[2].

وكان يقُول دُبُرَ كَلِّ صلاةٍ، حينَ يُسَلِّمُ: «لا إلَه إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ. لا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِالله، لا إله إلاَّ الله، وَلا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لهُ النعمةُ، ولَهُ الفضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسنُ، لا إله إلاَّ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولوْ كَرِه الكَافرُون»[3].

من دعاء النبي ﷺ في قيام الليل: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق، وقولك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والساعة حق، والنبيون حق، ومحمد حق، اللهم لك أسلمت، وعليك توكلت، وبك آمنت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، أو لا إله غيرك»[4].

دعاء قنوت الوتر: «اللهم اهدني فيمن هَدَيْتَ، وعافِني فيمن عافَيْت، وتَوَلَّنِي فيمن تولَّيت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تَقضِي ولا يُقضَى عليك، إنه لا يَذِلُّ مَن وَالَيْتَ[5]، ....

(١) الجَدّ: الغنى.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٨٠٨ ومسلم رقم ٥٩٣، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٥٩٤، عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٩٥٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما، وبعضه عند مسلم رقم ٢٧١٩.

(٥) وفي رواية البيهقي في سننه الكبرى رقم ٢٩٥٧ والطبراني في المعجم الكبير رقم ٢٧٠١ زادا: «ولا يَعِزُّ مَن عادَيْت».

تباركت ربَّنا وتعاليت»(١).

أو يقول: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»(٢).

أو يقول(٣): «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونثني عليك الخير، ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد، ولك نُصلي ونسجد، وإليك نسعى ونَحْفِدُ(٤)، نرجُو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجِدَّ بالكفار ملحِق»(٥).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٧١٨ والترمذي رقم ٤٦٤ وحسنه وأبو داود رقم ١٤٢٥ والنسائي رقم ١٤٤٢، عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٧٥١، وأبو داود رقم ١٤٢٧ والنسائي رقم ٧٧٥٣ والحاكم رقم ١١٥٠ وصحح إسناده، كلهم عن علي بن أبي طالب ﵁ أن النبي ﷺ كان يقول في آخر وتره...، وأخرجه الترمذي رقم ٣٥٦٦ وقال: حسن غريب ولفظه: كان يقول في وتره.

(٣) ولم يرد ذلك عن النبي ﷺ بإسناد صحيح، إلا أنه صح عن عدد من الصحابة أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء في القنوت، ويعلمونه، فهو في حكم المرفوع.

(٤) «ونحفد»: أي نخدم، والمعنى نتوجه إلى الله ونقبل عليه ونجتهد في طاعته وعبادته.

(٥) حديث صحيح موقوف، أخرجه باللفظ المذكور ابن أبي شيبة في مصنفه رقم ٦٨٩٣ عن أبي عبد الرحمن قال: علمنا ابن مسعود أن نقرأ في القنوت...، وروي نحوه عن عمر بن الخطاب ﵁ عند ابن أبي شيبة رقم ٧٠٢٧، وعبد الرزاق في مصنفه رقم ٤٩٦٨، وابن خزيمة في صحيحه رقم ١١٠٠، والبيهقي في السنن الكبرى رقم ٢٩٦١ وصححه، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم ٤٩٧٠ عن أبيّ بن كعب ﵁، ورقم ٤٩٧٨ عن علي بن أبي طالب ﵁، ورقم ٤٩٨٢ عن الحسن.

الذكر عقب السلام من الوتر: يقول: «سبحان الملك القدوس»، يقولها ثلاث مرات، والثالثة يجهر بها ويمد بها صوته[1].

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٢١١٨٠، والنسائي رقم ١٤٢٩، والبيهقي في سننه الكبرى رقم ٤٦٣٩، والدارقطني ٢/ ٣١ وزاد أنه يقول في الآخرة: **رب الملائكة والروح**، وأخرجه أبو داود ١٤٣٠ من غير أن يذكر تكراره ثلاثاً، كلهم أخرجه عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه، وأخرجه أحمد رقم ١٥٣٩٠ عن عبد الرحمن بن أَبْزَى رضي الله عنه.

المبحث الخامس

الزكاة والصدقة

خلق الله تعالى الإنسان بحيث يكون محتاجاً إلى الطعام والشراب والمسكن والملبس والمركب وغيرها، ليبتليه بذلك، هل يقضي هذه الحوائج ثم يلتفت إلى ما خُلِق له من عبادة الله، أم يميل إلى الدنيا ويغرق في حب المال والتَّرَفُّه، وينشغل بذلك عن الله وعبادته، فشرع الله تعالى الزكاة والصدقة لمن فاض ماله وملكه عن حاجته، ليذَكِّره أن المال أيضاً ينبغي أن يستعمل في عبادة الله، والتقرب إليه بإنفاقه في أوجه الخير، من إنفاق على الأهل والقرابة، أو في صدقة على فقير أو يتيم أو مريض، ممن لا يملكون قضاء حوائجهم، أو لينفقه في العلم أو الدعوة في سبيل الله، أو في الجهاد في سبيل الله...

فجعل الله الإنفاق في مثل هذه الأمور واجباً لمن ملك مالاً فائضاً عن حاجته، حتى لو كان قلبه متعلقاً بالمال محباً له لاحتياجه إليه، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

ثم ندبنا الله تعالى أن نعطي بعد الحد الواجب من الإنفاق والزكاة والجهاد بالمال وغيرها؛ ندبنا أن نعطي ونُنفقَ المزيدَ في أوجه الخير والبر، لنثبت بذلك أننا نريد وجه الله، لا نريد الدنيا ومتاعها وزخارفها وشهواتها وأموالها، فكانت الصدقة هي البرهان والدليل على قوة الإيمان وعلى إرادة وجه الله دون سواه، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «والصدقة برهان»،(١) ومن لم يقدر على إخراج شيء من ماله لله فهو ضعيف الإيمان يحتاج إلى تزكية نفسه.

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٢٣ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

فكانت الزكاة والصدقة تزكي الإنسان وتطهره من تعلق قلبه بالدنيا والمال، وتذكره بحقيقة الدنيا وهوانها، وتذكره بأنه عبد الله الذي أعطاه المال، وليس عبداً للمال، وتنفي الشحَّ والبخل والحرص، وتحل مشكلة الفقر في المجتمع، فتكون سبباً في ألفة المجتمع وتعاونه، وتعلِّم الإحسان إلى الآخرين ممن يحتاج إلى إحسان، وتطهر المال مما يدخله من الشبهات والحرام من غير قصد.

وكل ذلك من مظاهر التزكية التي تصنعها الزكاة والصدقة، قال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ (١) فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨].

كما أن الزكاة والصدقة سبب في تطهير النفس من الذنوب وسبب في مغفرتها، قال ﷺ: «الصدقة تطفئ غضب الرب»(٢) وفي رواية «صدقة السر تطفئ غضب الرب»(٣).

وينبغي لمن وجبت عليه الزكاة أن يتحرى في مستحقيها فيعطيها لمن هو أولى وأشد حاجة، فذلك أعظم أجراً له وأزكى.

ولا ينبغي لمسلم أن يتهاون في زكاته، فإن ذلك من أوصاف الكافرين

---

(١) يجوز أن يكون المقصود بقوله تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ التزكية ويجوز أن يكون المقصود: الزكاة، وكلاهما قاله المفسرون، وكلاهما نفعه وتزكيته عائدة على فاعله.

(٢) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٦٦٤ عن أنس بن مالك ﷺ وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه، وابن حبان رقم ٣٣٠٩، وتمامه عندهما: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء».

(٣) حديث صحيح، وتمامه: «وصلة الرحم تزيد في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء» أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٣٤٤٢.

بالآخرة والمشركين الذين جعلوا المال إلهاً معبوداً، قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

لأجل ذلك استحق مانع الزكاة أن يقاتل، كما قاتل أبو بكر ﷺ من منعها، فإنه إن كان منكراً أنها فرض فقد كفر بما هو ثابت واضح في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأجمع عليه المسلمون، وإن كان معترفاً بفرضها، ومع ذلك منعها؛ فذلك يدل على الاستخفاف بأمر الله، وإنما عصم رسول الله ﷺ دم من تشهد بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة، فقال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»(١).

ومن ترك الزكاة فإنه يعاقب في الآخرة بأمواله التي منعها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «تأتي الإبل على صاحبها على خير ما كانت إذا هو لم يعط فيها حقها تطؤه بأخفافها، وتأتي الغنم على صاحبها على خير ما كانت إذا لم يعط فيها حقها تطؤه بأظلافها وتنطحه بقرونها، وقال: ومن حقها أن تحلب على الماء، قال: ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يُعَارٌ(٢) فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد بلغت، ولا يأتي

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٥ ومسلم رقم ٢٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) «يعار»: صوت الغنم.

ببعير يحمله على رقبته له رغاء، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلغت»[1].

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً أقرعَ له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ يعني شِدْقَيْه ثم يقول أنا مالك، أنا كنزك»، ثم قرأ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية[2].

فلا يجوز للإنسان الذي وسع الله عليه وأغناه أن يمنع الصدقة ويبخل بالمال عمن يستحقه ويحتاجه، ولا أن يمنعه عن الخير الذي أمر الله إنفاق المال فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

وعلى المسلم أن يكون معتدلاً متوسطاً في إنفاقه، فلا يمنع مالاً يقدر على أن ينفقه، فيكون بخيلاً فيأثم ويخسر الأجر والثواب من الله، و ولا ينفق مالاً يحتاجه لنفسه أو لأهله، ثم لا يستطيع أن يقضي حوائجه، فيضطر أن يسأل الناس، أو يقعد منزعجاً متحيراً مكروباً متضايقاً من فقره وعَوَزِه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٣٣٧.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٣٣٨.

وقال النبي ﷺ للرجل الذي أراد أن يعتق عبده عن دُبُر[1] وليس له مال غيره: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فَضُلَ شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا» يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك[2]، يعني في أبواب الخير الأخرى.

(١) أي قال لعبده: أنت حر دبر حياتي، أي بعد وفاتي.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٩٩٧ عن جابر رضي الله عنه.

المبحث السادس

الصيام

جميع العبادات ترتقي بالإنسان وتعطيه التقوى، كما سبق، وكذلك الصيام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

لكن لكل عبادة وفريضة أثرها المختلف عن الأخرى في تزكية النفس، وتعطي جانباً من التقوى يختلف عن الأخرى، فلا تغني عبادة عن عبادة، ولا تصنع مثل أثرها في تطهير النفس وترقيتها.

وقد بين النبي ﷺ أن في الصيام خصوصية حين قال: «عليك بالصوم فإنه لا عدل له»(١)، أي لا مثيل له، والصيام في حقيقته ترك لشهوات مباحة، فالطعام والشراب وجماع الزوجة أمور مباحة في الأصل، حرمها الله في ساعات الصيام، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»(٢).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده رقم ٢٢١٩٤، والنسائي في السنن الكبرى رقم ٨٦٩٨، وابن حبان رقم ٣٤٢٦، والحاكم وصححه رقم ١٥٣٣. وروي بلفظ: «لا مثل له».

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٧٩٥ وتمامه: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، مرتين، والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها». وعند ابن خزيمة رقم ١٨٩٧ قال: «يدع الطعام من أجلي، ويدع الشراب من أجلي، ويدع لذته من أجلي، ويدع زوجته من أجلي».

فالله تعالى يعلمنا في الصيام أن نصبر على ترك المباحات، فالمفترض في المسلم أن يكون قد تجاوز المحرمات وتركها وجاهد نفسه في التخلص منها، فيأتي الصيام ليعلمه أن يجاهد نفسه في ترك المباح، حتى لا يكون شيء من الشهوات جاذباً له ومؤثراً عليه، بل يكون أقوى من شهواته وأهوائه، وقادراً على تركها متى شاء، فيكون أميرَ نفسه، حاكماً على نفسه، لا تكون شهواته هي الحاكمة عليه المستعبدة له، حتى في المباح، ومن هاهنا كان الصيام يرتقي بالمؤمن ليصير متجرداً عن كل شهوة مهما كانت، فيتحقق بالعبودية لله، لا لشهواته، فحيثما أمر الله بترك الشهوة المباحة؛ تركها لأن الله هو الإله عنده، لا شهوته ولا هواه.

هذا في فرض الصيام، فإذا أصر العبد على أن يكثر من صيام النافلة؛ فذلك دليل منه على تجردِه عن شهواته، وحبِّه لمولاه وتقربه إليه، إذ يُصِرُّ على مجاهدة شهواته والصبر حتى فيما لم يفترض عليه، ويفعل ذلك كله لوجه الله تعالى ورغبة في قربه ورضوانه وجنته.

وإذا صبر الإنسان عن شهوات نفسه؛ فصبره على غيرها يكون أسهل وأقرب، فهذا الصبر الذي في الصيام يعوِّد على شيء كبير من الصبر، قال النبي ﷺ: «الصيام نصف الصبر»[(١)].

ولما كان الصوم مدرسة للصبر، فقد نبه النبي ﷺ أن الذي يصبر على ترك الطعام المباح، ولا يصبر على ترك الباطل والمحرمات؛ فإنه لم يفهم الصيام، لأن الصيام يجعله يترك المباح، فالحرام ينبغي أن يكون قد تخلص منه قبل ذلك، فإن لم يكن قد تخلص منه من قبل، فعليه أن يتعلم التخلص منه ويمتنع عنه

(١) أخرجه أحمد رقم ٢٣١٤٨ والترمذي رقم ٣٥١٩ وحسَّنَه.

في الصيام من باب أولى إذ يمتنع عن المباح، فقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(١).

كما علمنا النبي ﷺ أن الصوم ينبغي أن يكون سبباً في تحمل أذى الناس والصبر عليه، فقال: «وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم»(٢)، فالذين يغضبون حين الصيام بحجة الصيام؛ أولئك لم يفهموا معنى الصيام، كما أنهم إنما يتضجرون من حكم الله بفرض الصيام، فيحتاجون إلى تصحيح اعتقادهم بالله، بالرضا عنه وعن أحكامه، لأنهم عبيدُه وليس لهم أن يعترضوا على أحكامه، ولا أن يجدوا في أنفسهم حرجاً ولا ضيقاً منها، بل يجب علينا التسليم لله فيما حَكَمَ وأَمَرَ.

وقد بين النبي ﷺ جانباً من جوانب تزكية النفس بالصيام والجوع حينما قال: «من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»(٣)، فبين أن الصيامَ معيٌن على غض البصر، وحافظٌ من فوران شهوة الفرج، وتزكية الإنسان من هذه الشهوة من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المسلم، وخاصة في زماننا الذي كثرت فيه الشهوات والمثيرات، فكانت أكثر الذنوب اليوم من هذا الباب، لذلك كان الإكثار من الصيام محموداً مرغوباً عند الطالبين للتزكية.

وإذا كان يجوز للصائم المتنفل أن يفطر، كما قال النبي ﷺ: «الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء صام وإن شاء أفطر»(٤)، لكن لا بد من التنبيه إلى

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٠٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٨٠٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٨٠٦ عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد رقم ٢٦٩٣٧ والترمذي رقم ٧٣٢ والنسائي رقم ٣٣٠٢ والحاكم رقم ١٥٩٩ عن أم هانئ رضي الله عنها.

أنه لا ينبغي له أن يتهاون في صيامه، فكلما حضرت شهوة أمامه أو طعام لذيذ قدمه على عبادة الصيام، فإن ذلك يجعله ضعيفاً أمام نفسه وشهواته، ويتنافى مع مدرسة الصيام، وإنما يحاول أبناء التزكية أن لا يفطروا في نافلة إلا لأمر خارج عن شهواتهم، كأن يُفطِر طاعةً لوالديه، أو إكراماً للضيف.

وقد حثنا النبي ﷺ على الصيام وبين لنا أن «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً»(١) أي سبعين سنة، فكيف يعلم أحدنا هذا الخير في الصيام ثم لا يطمع فيه.

وحثنا النبي ﷺ على صيام أيام معلومة، كصيام يوم الإثنين والخميس من كل أسبوع، وصيام ثلاثة أيام في الشهر، أو صيام الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري، وصيام يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوماً قبله أو بعده، والأيام التسعة الأولى من شهر ذي الحجة(٢)، وحث على صيام نبي الله داود عليه الصلاة والسلام، وهو أن يصوم يوماً ويفطر يوماً.

كما حث النبي ﷺ على صيام شهر محرم فقال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم»(٣).

وقد فهم بعض العلماء من هذا الحديث أنه حثٌّ على صيام الأشهر الحرم كلها، وأنه ليس المقصود شهر محرم وحده، وعلى هذا القول يكون من السُّنَّة صيام شهر محرَّم ورجب وذي القعدة وذي الحجة.

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١١٥٣ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) فقد ورد فيها نصوص تحث على صيامها، لكن اختلف العلماء في قوتها وتصحيحها، لكن ثبت عن النبي ﷺ أن قال: «ما من أيام العمل الصالح خير وأحب إلى الله من هذه الأيام» أخرجه البخاري، والصيام من العمل الصالح، فكان مندوباً إليه من جملتها.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١١٦٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كما كان مِنْ فِعل النبي ﷺ أنه كان «يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم»(١)، وعليه فمن وجد هِمَّة للصيام فليكثر منه.

وكان النبي ﷺ يكثر الصيام في شهر شعبان كما روى البخاري(٢)، وقد سئل النبي ﷺ عن سبب صيامه شهر شعبان فقال: ذاك شهر بين رجب ورمضان يغفل عنه الناس(٣)، وقد فهم كثير من الصالحين والعلماء من هذا الحديث سنية صيام رجب وشعبان، فإن النبي ﷺ إنما صام شعبان لأجل رجب ورمضان، فدل ذلك على أن رجب من الأشهر التي يسن صيامها، وإذا جمعنا إلى ذلك الحديث السابق الذي يفضِّل صيام شهر الله المحرم، إذا فهمناه على أنه عامٌّ في الأشهر الحرم؛ نعلم أن من اعتبر صيام شهر رجب وشعبان سنة قد اجتهد اجتهاداً صحيحاً، ولم يكن ذلك من البدعة(٤).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٦٨ ومسلم رقم ١١٥٦ عن عائشة رضي الله عنها، ورويا نحوه عن أنس وابن عباس رضي الله عنهم، وتتمة حديث عائشة قالت: «فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان».

(٢) فقد روى البخاري في ذلك حديثين عن عائشة رضي الله عنها، الأول: رقم ١٨٦٨ «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر إلا رمضان، **وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان**» والثاني: رقم ١٨٦٩ «لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً أكثر من شعبان، فإنه **كان يصوم شعبان كله**، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملُّ حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دُوْوِمَ عليه، وإنْ قَلَّتْ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها»، وروى مسلم نحو الأول رقم ١١٥٦.

(٣) حديث حسن، أخرجه أحمد ٢١٨٠١ والنسائي رقم ٢٦٦٦ ونصه عند النسائي: عن أسامة بن زيد قال «قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان! قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم».

(٤) وصيام النبي ﷺ لشعبان كله يدل على **جواز صيام يوم السبت** إذا كان ضمن =

ومنعنا النبي ﷺ من مواصلة الصيام حتى لا يضعف الإنسان عن أداء واجباته فقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل؟ فقلت: نعم، قال: إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين، ونفهت له النفس[(١)]، لا صام من صام الدهر، صوم ثلاثة أيام صوم الدهر كله، قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: فصم صوم داود عليه السلام، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى»[(٢)].

وقد كان يكثر بعض الصحابة رضي الله عنهم الصيام بعد وفاة النبي ﷺ بما لا يضعفهم ولا يعيقهم عن الجهاد في سبيل الله، فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان أبو طلحة رضي الله عنه لا يصوم على عهد النبي ﷺ من أجل الغزو، فلما قبض النبي ﷺ لم أره مفطراً إلا يوم فطر أو أضحى»[(٣)].

= صيام الإنسان، بأن يصوم قبله أو بعده، كما أن حث النبي ﷺ على صيام داود ﷺ يدل على جواز صيام السبت دون يوم قبله أو بعده ضمن هذا الصيام، لأنه يوافق سبتاً في كل أسبوعين، وكذلك الشأن في صيام عرفة أو عاشوراء أو الأيام البيض إذا وافقت يوم السبت؛ فلا حرج في صيامه، لأنه لم يقصد صيام السبت وإنما قصد كونه عرفة أو عاشوراء أو نحوه، أما الحديث الذي نهى عن صيام السبت، فهو مخصوص بما ذكرنا من أدلة، ومحمول على منع صيامه منفرداً وعلى منع صيامه لغير سبب آخر، بالإضافة إلى أن بعض العلماء قد ناقشوا في صحة الحديث، وقد نص بعض العلماء على أنه منسوخ، واستدلوا بالحديث الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يمت حتى كان أكثر صيامه السبت والأحد. انظر: فتح الباري ١٠/ ٣٦٢، لابن حجر، وعلى هذا فمن صام السبت لسبب من الأسباب المذكورة لا يعد مبتدعاً.

(١) هجمت له العين: أي غارت، وذلك بسبب شدة النحافة والجوع، ونفهت له النفس: أي تعبت وكَلَّت، من الإعياء.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٨٧٨.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٢٦٧٣.

ـ وكما جعل الله تعالى الصيام سبباً في التقوى، فقد جعل من أسباب تقوية التقوى: **شهرَ رمضان** الذي افترض فيه الصيام، فهيأ للعبد فيه أسباب القرب والتوجه إلى الطاعة، وأسباب البعد عن المعصية والشهوات، وهو شهر تحبس فيه الشياطين وتقيَّد، فما عليك إلا أن تجاهد نفسك وشهواتها، فقد كُفِيت من تأثير الشيطان عليك في هذا الشهر، قال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة»(١).

وصيام رمضان والاجتهاد في الطاعة فيه سبب في مغفرة الذنوب والطهارة منها، قال ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً(٢) غفر له ما تقدم من ذنبه»(٣)، وقال ﷺ: «من يقم ليلة القدر(٤) إيماناً(٥) واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(٦).

وندبنا الله ورسوله إلى الإكثار من الطاعات في رمضان، فندبنا إلى الإكثار من القرآن حينما أخبرنا أن رمضان هو شهر القرآن ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ﴾[البقرة:١٨٥]، وحثنا

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي في جامعه رقم ٦٨٢، وابن خزيمة في صحيحه ١٨٨٣، وابن حبان في صحيحه رقم ٣٤٣٥، والحاكم في مستدركه رقم ١٥٣٢ وصححه على شرط الشيخين، عن أبي هريرة ﷺ، وروى بعضه بنحوه البخاري رقم ١٨٠٠ ومسلم رقم ١٠٧٩.

(٢) طالباً الأجر والثواب من الله وحده.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٣٨ ومسلم رقم ٧٥٩ عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) أي يحييها تقرباً إلى الله بالصلاة وغيرها من العبادات.

(٥) أي مصدقاً ومؤمناً بأنها حق.

(٦) أخرجه البخاري رقم ٣٥ ومسلم رقم ٧٦٠ عن أبي هريرة ﷺ.

النبـي ﷺ بقوله وفعله على الإكثار من قيام الليل والصدقات والإطعام والذكر والدعـاء، وندبنـا ﷺ إلى العمرة في رمضان فقـال ﷺ: «عمرة في رمضان تقضي حجـة معي»[1]، وندبنـا ﷺ إلى الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، فقد «كان رسـول الله ﷺ يعتكـف العـشر الأواخر من رمضـان»[2]، وجعل من أدب ذلك البعد عن الشـهوات حتى الشهوات المباحة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وندبنا الله إلى الاجتهاد في ليلة القدر بالطاعة فقال تعالى: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ٣].

وكل هذه الطاعات لها أثرها الكبير في زيادة الإيمان والتزكية والتقوى في رمضان، فإذا ازداد المسلم من التقوى في رمضان، ثم انتهى رمضان؛ بقيت عند هذا التقي تقواه فتحمله على مزيد من الطاعات والقربات والخوفِ من المعاصي والشهوات والغفلات.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٧٦٤ ومسلم رقم ١٢٥٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما وتمام الحديث أنه قال: لما رجع النبي ﷺ من حجته قال لأم سنان الأنصارية: ما منعك من الحج؟ قالت: أبو فلان، تعني زوجها، كان له ناضحان، حج على أحدهما، والآخر يسقي أرضاً لنا، قال: «فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي»، أقول: وليس معنى الحديث أن العمرة في رمضان تسقط فريضة الحج، وإنما يبين الحديث عظيم أجر العمرة في رمضان، والناضح هو الجمل التي يحمل عليها الماء.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٩٢١ ومسلم رقم ١١٧١ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وروي نحوه عن عدد من الصحابة.

المبحث السابع

الحج والعمرة

جعـل الله تعـالى الحج ذكراً لله، وشـكراً على نعمة الأنعـام(١)، ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٧-٢٨]، ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

وقـد اختـار الله مكـة والبيـت الحـرام ليجعلـه موضعـاً لهـذا الذكـر والشـكر، قال الله عـز وجل: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، وقال سـبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُواْ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

وإذا كانت الصلاة والزكاة والصيام مفهومة غاياتها، فإن اختيار مكان للحج والعمرة هو أمر تعبدنا الله به، ليختبر به جنديتنا وطاعتنا، فإن الذي يحج يطوف بالكعبة، ويسعى بين الصفا والمروة، ويخرج إلى عرفات ومزدلفة ومنى، فكأنما يقال لنا في الحج: دُر هنا، وامش هنا، وقِفْ هنا إلى وقت كذا، ثم امش إلى هنا، ثم بِتْ هنا، وارم هنا، واحلق، واذبح هنا في وقت كذا، وكن في ذلك كله ذاكراً لله.

---

(١) الأنعام هي: الإبل والبقر والغنم والمعز.

فحتى لو لم تكن تعلم ما المصلحة في هذا كله فعليك أن تفعل، كالجندي المخلص المستسلم لقائده يقول له: افعل كذا، فيفعل، وافعل كذا، فيفعل، ولا يَسأل لماذا، ولا يناقش، ولا يتأخر، والمسلم جندي وعبد لله، لا يتأخر عن أمره، مستسلم لاختيار الله، قائم بأمره، معظم لما عظم الله.

فالحج يُظهر معنى الجندية الخالصة لله، والانضباط الكامل بأمره، وهذا من أرقى صور تزكية النفس، بأن يصل العبد في عبوديته إلى أن يكون مستسلماً لأحكام الله حتى لو لم يفهم معناها وسبب اختيارها.

كما يعلمنا الحج قيمة الصالحين عند الله، فإن الله شرع لنا الصلاة عند مقام إبراهيم تذكيراً بمقامه وعبوديته وحبه، لنسلك طريقته ومِلَّته الحنيفية، حيث استسلم لله حينما أمره ببناء البيت، وحينما أمره بذبح ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وحينما أمره بترك زوجته وولده في موضع لا زرع فيه ولا ناس، فاستجاب لكل ذلك، فجعل الله منها شعائر دالة على عظيم شأن الطاعة والتسليم لله.

وكما على الحاج والمعتمر أن يغتنم وقته بالتلبية والذكر والشكر، فعليه أن يعود بالذكر والإقبال على الله، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة: ٢٠٠]، فإذا كان الحاج يشتاق إلى أهله فيتذكرهم، فمطلوب منه أن يتذكر ربه أكثر من ذلك.

وقد جعل الله تعالى الحج فترة تدريبية على حسن الخلق وترك الجدال والسيئات، فشدد في تركها ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولا ينبغي لمسلم أن يتأخر عن فريضة الحج إذا استطاع أداءها.

كما ينبغي أن ينتبه بعد أداء فريضة الحج أن النفس قد تدفعه إلى الحج مرة ثانية رغبة في مدحة الناس، أو رغبة في السياحة والسفر، أو نحو ذلك، فينبغي أن ينتبه جيداً إلى الإخلاص إذا خرج إلى الحج أكثر من مرة، كما ينبغي أن يقدم إنفاق المال في ما هو أنفع وأكثرُ ضرورة على حجة النافلة.

فضل الحج والعمرة

وردت أحاديث كثيرة صحيحة في فضل الحج والعمرة، منها:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور (1).

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»(2).

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه»(3).

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(4).

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»(5).

---

(1) أخرجه البخاري رقم ٢٦ ومسلم رقم ٨٣.

(2) أخرجه البخاري رقم ١٤٤٨، وأخرجه أحمد رقم ٢٥٣٦١ وابن خزيمة في صحيحه ٣٠٧٤ بلفظ: قلت: يا رسول الله، هل على النساء من جهاد؟ قال: « عليهن جهاد لا قتال فيه؛ الحج والعمرة».

(3) أخرجه البخاري رقم ١٤٤٩ ومسلم رقم ١٣٥٠.

(4) أخرجه البخاري رقم ١٦٨٣ ومسلم رقم ١٣٤٩.

(5) أخرجه الترمذي رقم ٨١٠ وقال: حسن صحيح غريب، =

عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار يقال لها: أم سنان: ما منعك أن تكوني حججت معنا؟ قالت: ناضحان، كانا لأبي فلان ـ زوجها ـ حج هو وابنه على أحدهما، وكان الآخر يسقي عليه غلامنا، قال: فعمرة في رمضان تقضي حجة، أو حجة معي [1].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم»[2].

عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، قيل: وما بره؟ قال: «إطعام الطعام وطيب الكلام» [3].

= وابن حبان رقم ٣٦٩٣ وابن خزيمة رقم ٢٥١٢.

(١) أخرجه البخاري رقم ١٧٦٤ مسلم رقم ١٢٥٦، واللفظ له، ولفظ البخاري: «حجة معي»، دون الشك.

(٢) حديث حسن، أخرجه ابن ماجة ٢٨٩٢، وقد ورد أن الحاج والمعتمر والغازي وفد الله، أخرجه النسائي رقم ٣٦٠٤ وابن خزيمة رقم ٢٥١١ وابن حبان رقم ٣٦٩٢ عن أبي هريرة ﷺ، وأخرجه ابن حبان رقم ٤٦١٣ عن ابن عمر ﷺ.

(٣) حديث حسن، أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٦٦١٨، وأخرج بمعناه: البيهقي رقم ١٠١٧٠ والحاكم رقم ١٧٧٨ وقال: صحيح الإسناد، وأحمد رقم ١٤٥٢٢ ولفظ أحمد: «وإفشاء السلام» بدل «طيب الكلام».

من أذكار الحج

كيف يُلَبِّي المُحْرِمُ في الحج أو العمرة:

«لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[1].

التكبيرة إذا أتى ركن الحجر الأسود:

«طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير كلما أتى الركن أشار إليه بشيء عنده[2] وكبر»[3].

الدعاء بين الركن اليماني والحجر الأسود:

«﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]»[4].

دعاء الوقوف على الصفا والمروة:

«لما دنا ﷺ من الصفا قرأ: (﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، أبدأ بما بدأ الله به)، فبدأ بالصَّفا فَرَقِيَ عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة،

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٤٧٤ عن عبد الله بن عمر، ومسلم رقم ١٢١٨، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديث طويل.

(٢) كان يشير بالمِحْجَن أي بالعصا المعكوفة في رأسها وهي العكاز.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٥٣٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٣/ ٤١١ وأبو داود رقم ١٨٩٢ والنسائي رقم ٣٩٣٤ عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه.

فوحَّد الله وكبره وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ، لهُ الملك ولهُ الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذا ثلاث مرات» وفعل على المروة كما فعل على الصفا[1].

الدعاء يوم عرفة:

«خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخيرُ ما قلت أنا والنبيُّون من قبلي: لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحمدُ، وهو على كل شيء قدير»[2].

الذكر في مزدلفة عند المشعر الحرام:

«ركب ﷺ القصواء[3] حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة (فدعاهُ، وكبرهُ، وهللهُ، ووحدهُ)، فلم يزل واقفاً حتى أسفر[4] جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس»[5].

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٢١٨ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه من حديث طويل.

(٢) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٥٨٥ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وأخرجه مرسلاً مالك في موطئه رقم ٥٠٠ والبيهقي في سننه الكبرى رقم ٨١٧٤. وأخرج ابن أبي شيبة أحاديث تشهد لذلك لكنها ضعيفة الإسناد، منها ما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم ١٥١٣٣ أن ابن عمر كان بعرفة لا يزيد على هؤلاء الكلمات: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير حتى أفاض من عرفة إلى جُمَع، وما أخرجه برقم ١٥١٣٥ عن علي رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: أكبر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير...».

(٣) القصواء: ناقة النبي ﷺ.

(٤) أسفر: أي ظهر ضوء النهار واضحاً قبل طلوع الشمس.

(٥) أخرجه مسلم رقم ١٢١٨ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه الطويل في وصف حجة النبي ﷺ.

التكبيرة في منى عند رمي الجمار مع كل حصاة:

«كَانَ ﷺ إِذَا رَمَى الْجَمْرَةَ الَّتِى تَلِي مَسْجِدَ مِنًى يَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَى بِحَصَاةٍ، ثُمَّ تَقَدَّمَ أَمَامَهَا فَوَقَفَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو، وَكَانَ يُطِيلُ الْوُقُوفَ، ثُمَّ يَأْتِي الْجَمْرَةَ الثَّانِيَةَ، فَيَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ كُلَّمَا رَمَى بِحَصَاةٍ، ثُمَّ يَنْحَدِرُ ذَاتَ الْيَسَارِ مِمَّا يَلِي الْوَادِيَ، فَيَقِفُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ رَافِعًا يَدَيْهِ يَدْعُو، ثُمَّ يَأْتِي الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الْعَقَبَةِ فَيَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ عِنْدَ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا»(١).

الجمع بين التكبير والتلبية:

عن محمد بن أبي بكر الثقفي قال: سألت أنساً ونحن غاديان من منى إلى عرفات عن التلبية، كيف كنتم تصنعون مع النبي ﷺ؟ قال: كان يلبي الملبي لا ينكر عليه، ويكبر المكبر فلا ينكر عليه»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٦٦٦.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٩٢٧، ومسلم رقم ١٢٨٥، ونحوه عن عبد الله بن عمر عند مسلم رقم ١٢٨٤.

المبحث الثامن

قراءة القرآن

أَمَرنا الله تعالى بقراءة القرآن ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وذكر لنا الله تعالى شكوى النبي ﷺ يوم القيامة: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: اختمه في شهر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في عشرين، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في خمسة عشر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال اختمه في عشر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في خمس، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فما رخص لي»[١]، وفي رواية للترمذي أيضاً قال له: «اقرأ القرآن في أربعين» أي بدأ بذلك بدل قوله في شهر، كما روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[٢].

وقد أخذ بعض السلف من هذا الحديث أنه لا ينبغي للمسلم أن يمر عليه أربعون يوماً على الأقل إلا وقد قرأ القرآن[٣]، وقال بعض العلماء: أقل ما يقرأ المسلم من القرآن حتى لا يعد هاجراً له أن يقرأه مرتين في السنة[٤]، وقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ يدل على أنه ينبغي أن لا يمر يوم إلا ويكون

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٩٤٦ وأبو داود رقم ١٣٨٨، وروى البخاري بمعناه رقم ٤٧٦٥.
(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٩٤٦ وأبو داود رقم١٣٩٠.
(٣) ذكر الترمذي هذا القول عن إسحاق بن إبراهيم أي ابن راهويه بعد الحديث السابق.
(٤) وهو قول للإمام أحمد.

للمسلم فيه قراءة من القرآن ولو قليلاً، فهذا حدٌّ واجب على كل مسلم أن يحرص عليه.

وفي نهي النبي ﷺ عن قراءة القرآن بأقل من ثلاثة أيام تأكيد على أنه لا ينبغي أن يكون المقصود هو مجرد القراءة، بل المقصود ما يكون مع القراءة من تدبر وفهم، وقد ذم الله تعالى من يقرأ بلا تدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقد بين الله تعالى أن المقصود من القراءة وجود التدبر معها، فقال سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، فلا يجوز شرعاً أن يتعمد المسلم قراءة القرآن بغير تدَبُّر وتفهُّم.

ويدخل في معنى التدبر لكتاب الله: التركيز وجمع الفكر والتفهم والاستيعاب، وعدم شرود الذهن إلى غير ما يقرأ.

ويتضمن التدبر: فهم كلمات القرآن، وفهم العبارات والآيات، وفهم الموضوعات، وفهم السور، ومحاولة إدراك ارتباط الآيات ببعضها، والموضوعات ببعضها، والسور ببعضها.

ويَحسُن بالمسلم الذي يجهل بعض معاني القرآن أن يجعل معه حينما يقرأ القرآن تفسيراً مختصراً أو تفسير كلمات القرآن، فكلما مر بكلمة لم يفهمها قرأ معناها، ليعرف مراد الله منه.

لو أن أحدنا جاءته رسالة من ملك أو حاكم، ولم يفهم بعض كلماتها ولم يفهم ما يريد منه، ماذا يصنع؟ أليس يسأل العلماء ويفتش عن معاني الكلمات؟ فكيف بالرسالة التي جاءت من عند ملك الملوك، أيصح أن نقرأها ولا نبالي بما يخاطبنا به، وما الذي يريده منا؟

ومن أهم ما ينبغي أن يتدبر فيه المسلم ويفهمه حينما يقرأ القرآن: عقائده التي علمه الله إياها في القرآن، وأحكام الله التي أمره أن يعبده بها ويتعامل بها مع خلق الله، ومواعظه التي يُذَكِّرُه بها ويُزكيه.

وهذا المتدبر لآيات الله هو الذي يزداد بالتلاوة إيماناً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وهذا المتدبر لكتاب الله هو الذي يمكن أن يخشع قلبه ويتأثر ويقشعر بدنه عند قراءة القرآن: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣]، فإذا قرأ اقشعر بدنه من هيبة كلام الله وتعظيمه ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾، حتى إذا امتلأ القلب والعقل نوراً من نور القرآن لان له ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

وقد كانت قراءة السلف على هذه الشاكلة، قال ابن عباس لرجل أخبره أن سريع القراءة للقرآن يقرؤه في ثلاثة أيام، فقال ابن عباس: «لَأَن أقرأ البقرة في ليلة أتدبرها وأرتلها؛ أحب إلى أن أقرأه كما تقرأ»(١)، وقال عبدالله بن مسعود: «لا تهذّوا القرآن هذَّ الشِّعر(٢)، لا تنثروه نثر الدقل(٣)، وقفوا عند عجائبه،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٢٠٤٠.

(٢) أي لا تقرؤوه كمن يقرأ الشِّعر.

(٣) أي لا تسرعوا في القراءة كأنكم تتخلصون من الآيات وترمونها، كما يرمي الرجل التمر الرديء لينزل عنه السوس الذي فيه.

وحرِّكوا به القلوب»(١) وقال: «ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة»(٢)، فالقرآن يحرك أحوال القلوب من خوف ورجاء وحب لله ورضىً وتسليم وشكر وصبر وتوكل وإخلاص وغير ذلك، ولا يمكن أن يحصل ذلك إذا كان الإنسان يعد الصفحات ويريد أن ينهي قراءته، فيسرع فيها بغير تدبر، فإذا قرأت فاجعل همك التدبر ولو لم تقرأ إلا آيات أو صفحات قليلة، فذلك خير وأنفع.

وكما يحرص المؤمن على تلاوة كتاب الله وفهمه وتدبره وتَعَلُّم أحكامه؛ يحرص على العمل به والتخلق بأخلاقه، ثم الدعوة به، بل والجهاد به: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، فإن في القرآن من الحجج الباهرة الواضحة ما يقمع كل باطل، ويُقنِع كل صادق في طلب الحق.

وقد بين النبي ﷺ كيف أن الحامل للقرآن والتالي له؛ له مزية وزيادة جمال وتزكية، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة؛ ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة؛ لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مُرٌّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة؛ ليس لها ريح وطعمها مر»(٣)، فالمؤمن الذي يقرأ القرآن جماله في باطنه وظاهرِه ولسانه ومعاملته، والذي لا يقرأ القرآن قد لا يظهر جماله بلسانه، لكنه عند المعاملة طيب مستقيم، والمنافق الذي يقرأ القرآن يتظاهر بالعلم والكلام الطيب، لكنه عند المعاملة يظهر ما فيه من باطل وخبث وسوء وخداع.

---

(١) شعب الإيمان ٢٠٤١.

(٢) شعب الإيمان ٢٠٤٢، ومعناه لا يكن مستعجلًا ينتظر أن ينهي آخر السورة.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥١١١ ومسلم رقم ٧٩٧، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقد سن لنا النبي ﷺ أن نجتمع على قراءة القرآن وتعلمه، فقال: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ(٢) فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»(٣).

ولا يجوز لنا أن نجعل من القرآن سبباً للاختلاف، قال ﷺ: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا»(٤)، وذلك لأن الاختلاف في القرآن والحق والعلم لا يكون إلا عن بغي وتجاوز للحدود: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾[الشورى: ١٤].

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) بُطحان والعقيق في طرف المدينة المنورة.
(٣) أخرجه مسلم رقم ٨٠٣.
(٤) أخرجه البخاري رقم ٤٧٧٣ ومسلم رقم ٢٦٦٧، عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

المبحث التاسع

الذكر

المطلب الأول: أهمية الذكر:

يَعُدُّ أكثرُ العلماء الذكرَ سنة، والواجب منه ما كان واجباً في الصلاة ونحوها، وعادة ما تجد السنة ثابتة بحديث أو أكثر، لكن الذكر ثبتت مشروعيته وطلبه في مئات من نصوص الكتاب والسنة، لذلك لا ينبغي أن ننظر إلى الذكر على أنه مجرد سنة، بل ننظر إليه على أنه صفة من صفات المسلم الملازمة له، مع كونه عملاً نتقرب به إلى الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

إن أعظم حقيقة في حياة الإنسان: هي أن الله موجود، وأنه معنا حيثما كنا يسمعنا ويرانا ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤] ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]، ولو أن أحدنا كان معه شخص هل ينسى أنه مع فلان؟ ولو أنه مع رسول أو مَلِك هل ينسى أنه معه؟ فكيف ينسى أحدنا أن اللهَ ـ ملكَ الملوك وربَّ الرسل وخالق الجميع ـ معه ويراقبه، وكيف ينسى من يُمِدُّه ويعطيه، فلا ينظر العبد ولا يسمع إلا بمدد الله، ولا يدق قلبه إلا بمدده سبحانه، ولا يعقل أو يتحرك إلا بمدد الله، فكيف ينسى من يحتاج إليه وهو معه، فأن يكون الإنسان ذاكراً لله متذكراً لأعظم حقيقة في الحياة هو الوضع الطبيعي والمنطقي للعبد، فكيف بنا نغفل عن الله ونذكر سواه؟ أنجعل الله تعالى أهون في قلوبنا من خلقه؟

إن ذكر العبد لربه هو الدليل على صحة تفكير الإنسان وهو الدليل على حياة قلبه، لذلك قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي

والميت»(١)، لأن شخصاً كان بين الناس ثم تصرف تصرفاً غير لائق أمامهم وكأنه لا يراهم ولا يذكرهم، ماذا نقول عنه؟ ألسنا نقول: عنه إنه مجنون، من يكون مع ملك أو رئيس ثم يعمل عملاً مشيناً ألا يقال عنه إنه مُضَيِّعٌ أو مُخَرِّف أو مجنون، فكيف بالذي يغفل عن الله الذي خلقه ويملكه، ألا يكون مجنوناً، فهو في حكم الميت، والعاقل الحي ينتبه كل الانتباه إلى العظيم الذي معه، إلى ربه، فيكون ذاكراً حاضراً معه موافقاً لأمره.

والذكر هنا أعم مِن ذِكر اللسان، وإنما هو التذكر والتعلق بالله سبحانه وبأمره، سواء ذكر بلسانه مع ذلك أو لم يذكر.

ومما يدلك على أهمية الذكر أن الله تعالى جعله مقصدَ العبادات والأحكام كلِّها، فنجد أن الله تعالى قال في الصلاة التي هي أهم العبادات: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾ [طه: ١٤]، أي لتكون ذاكراً، وسمى أحكامه كلها ذكراً في مثل قوله سبحانه: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴾ [الزخرف: ٣٦]، فالمقصود من يعرض عن أحكام الله يُسلط عليه الشيطان، فيكون مطيعاً للشيطان بدل طاعته لله، وسمى الله تعالى العلم ذكراً في قوله: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣] وإنما يُسأل أهل العلم، فأشار بتسميتهم أهل الذكر إلى أن العالم لا يكون إلا ذاكراً لله، فإن كان غافلاً فهو من الجاهلين، فكيف يُعلِّم غيره.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٠٤٤ عن أبي موسى الأشعري ﷺ، وأخرجه مسلم عنه رقم ٧٧٩ بلفظ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه؛ مثل الحي والميت».

وحينما يتذكر العبد ربه لا يتذكره كما يتذكر المخلوق، وإنما يرافق ذلك أن يتذكر صفة الألوهية والربوبية والعظمة لله، فينتبه الذاكر أنه عبد الله، فيتحقق بالذكر معنى العبودية لله بالحضور مع صفات الله.

كما أن الذكر يجعله يتذكر حق الله عليه فيدفعه إلى العمل بأحكام الله وإلى عبادته سبحانه، فقد بين الله تعالى أن ذكر الله والنظر إلى رضوان الله وجنته يدفع إلى الاقتداء بالنبي ﷺ فقال عز وجل: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والله تعالى ورسوله ﷺ لم يأمرنا بالذكر فحسب، بل أمرنا بالذكر الكثير أو الدائم، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۞ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

وذكر الله أن الذكر القليل لم ينفع المنافقين وهذا تنبيه أيضاً على أنه يريد منا الذكر الكثير ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٤٢].

ولا ينبغي أن يكون الذكر باللسان فحسب، وإنما المهم ذكر القلب، وهو الذي له الأثر الأعظم، قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فنبهنا الله إلى حضور القلب وعدم غفلته إذ أمرنا في هذه الآية بالذكر ثم قال ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾، ليكون ذكرنا ذكراً ليس فيه غفلة، والذكر لا تتحقق حقيقته إلا بالتذكر والحضور مع الله وهو أمر قلبي.

ولا ينبغي التهاون في ذكر اللسان، فهو سنة ندبنا إليها النبي ﷺ وداوم عليها، فقد أوصى بذلك بعض أصحابه فقال ﷺ: «لا يزال لسانك رطباً من

ذكر الله»(١)، وكذلك كان فعل نبينا ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه»(٢).

وإذا كان أحدنا يحرص على السنة ـ والحرص على السنة مطلوب ـ فحرصنا على سنة الذكر، وفيها عشرات الأحاديث، وهي السنة التي تستغرق الأوقات؛ ينبغي أن يكون أعظم وأولى.

ومن شغل لسانه بالذكر كان ذلك صارفاً له عن الكلام اللهو واللغو والحرام كالغيبة، فاغتنم وقته وطهر لسانه.

وعلى المسلم أن يحاول أن يصل إلى حالة لا يغفل فيها عن الله أبداً، وذلك ليس بالأمر الصعب إذا عود المسلم نفسه على دوام ذكر الله مع الحضور والمراقبة، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٧]، وقد يظن بعض الناس أن هذا الأمر مستحيل، فنبين بالمثال كيف أنه غير مستحيل، بل وهو سهل ويسير على من يسره الله عليه:

لو أن رجلاً كان يعطي درساً في مسجد وأمامه الناس، ودخل عليه ملك البلاد أو رئيسها، فجلس في جانب المجلس، وقال للمدرس تابع درسك، فإنه رغم متابعة درسه ورغم متابعة الناس للدرس؛ تجد أنهم بقي في أذهانهم خيط من التذكر أن الملك أو الرئيس حاضر معهم، بل وتجد المدرس يحرص على

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٣٣٥٧ وقال: حسن غريب من هذا الوجه، وابن حبان رقم ٨١٤، والحاكم رقم ١٨٢٢ وصحح إسناده، عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، وأخرجه أحمد ٤/ ١٩٠ والبيهقي في سننه الكبرى رقم ٦٣١٨ بلفظ: «بذكر الله».

(٢) أخرجه مسلم رقم ٣٧٣ وذكره البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها في كتاب الأذان، قبل حديث ٦٠٨.

تجويد درسه ودقته نتيجة انتباهه أن الملك أو الرئيس معه، وترى الحاضرين قد تملكهم الأدب لأجل ذلك، أفلا يستطيع أن يعود الإنسان نفسه على مثل ذلك مع الله، فيكون حاضراً وأديباً حيثما كان، وفي أي عمل كان.

ـ وقد يذكر الذاكر ولكنه يجد ذكره لا حضور فيه مع الله؛ فلا ينبغي أن يترك الذكر لأجل ذلك، فإنه مأمور بأمرين: بالذكر بلسانه، وبالحضور بقلبه، فلا يترك واحداً لعدم الثاني، بل يبذل جهده في تحصيل الثاني، والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فعليه أن يبذل ما يستطيع من الجهد في الحضور، والله تعالى يبارك له في جهده ومجاهدته هذه حتى ينمو الحضور عنده شيئاً فشيئاً، حتى تذهب الغفلة كلها بإذن الله.

المطلب الثاني: من ثمرات الذكر وآثاره في تزكية النفس:

إذا حرص الإنسان على كثرة الذكر فلا شك أن له ثمراتٍ كبيرةً وأثراً كبيراً في تزكية النفس:

١. يحصل به ذكر الله للعبد ومجالسته له، وذلك موجب لتزكية العبد وإصلاحه، قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال ﷺ: «يقُولُ الله تَعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بي، وأنا مَعهُ إذا ذَكَرَني، فَإن ذَكَرَني في نَفْسهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ، ذكَرتُهُ في ملإٍ خَيْرٍ منْهُمْ»(١)، وما أعظم أن يذكرنا الله تعالى بجلاله وعظمته، فكيف نضيع هذه الفضيلة والكرامة التي تكون سبباً في إصلاح الله لنا وتطهيرنا وتزكيتنا وهدايتنا، فلا نكون ممن قال فيهم ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٩٧٠ ومسلم رقم ٢٦٧٥، عنْ أبي هُريرةَ ؓ وتتمة الحديث: «وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

لو تخيلت أن ملكاً يذكرك بين جُلاّسه صباح مساء؛ كم تكون سعيداً في نفسك، مُعَظَّماً عند الناس، فكيف بك وأنت تُذكر عند ملك الملوك الغني عن خلقه جميعاً، فكم ينبغي أن تكون فرحتك وسعادتك وأُنْسُكَ بذلك.

٢. ومن ذكره الله كيف يَحتاج أو يَفتقر أو يُعتدى عليه أو يَخاف من بلاء، لذلك فالذاكر قد يستغني عن الدعاء بذكره، لِما يَعلم أنه مذكور عند الله مجالس له، فلا حاجة له أن يرفع أمره فإن الله مطلع على حاجاته وحالاته، عارف بأمره ومن يؤذيه، فإذا رأى عبده منشغلاً بذكره قضى حوائجه من غير سؤال، كما قال الله تعالى فيما يرويه عنه النبي ﷺ: «من شغله قراءة القرآن وذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»(١).

٣. ومن ثمرات الدوام على الذكر أن الله قد يكشف بصيرة الإنسان به فيرى الملائكة كما رآهم بعض الصحابة، قال ﷺ: «لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات»(٢)، فكما أن مجالسة النبي ﷺ ترتقي بحال الإنسان كأنه يرى الجنة والنار، ولو دام على حاله عند مجالسة النبي ﷺ أو في الذكر فإنه يمكن أن يصل إلى حالة بحيث يرى الملائكة ويصافحها.

فما أعظم أثر دوام الذكر، حيث يطهر قلب الإنسان ويجعله شفافاً يلتقط الصور أمامه كالمرآة.

٤. والذكر سبيل السبق في كل شيء، فمن طلب رتبة السابقين فعليه بالذكر قال ﷺ: «**سبق المفردون**، قيل: وما المفردون يا رسول الله، قال: الذاكرون

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٩٢٦ عن أبي سعيد وقال: حسن غريب. وتتمته: «وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧٥٠، عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه.

الله كثيراً والذاكرات»[1]، وفي رواية زاد: «يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خِفافاً»[2].

٥. والذكـر مـن أعظـم أسـباب تحصيـل الإخـلاص، ومـن حصـل الإخلاص فقد حصل أساس التزكيـة ومعظمها، قال ﷺ: «ألا أنبئكم بخيرِ أعمالكـم وأزكاها عنـد مليككم وأرفعِها في درجاتكم وخـيرٍ لكم من إنفاق الذهـب والـوَرِق[3]، وخـيرٍ لكم مـن أن تلقـوا عدوكـم فتضربـوا أعناقهم ويضربـوا أعناقكـم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعـالى»[4]، وقد قدم هنا الذكر على الجهـاد والزكاة، والذكر نافلـة، والجهاد والزكاة فريضـة، فكيف يكون ذلـك؟ إنما جـاز ذلك لأن ذكـر الله تعالى يصنـع الإخلاص، إذ يذكـر العبد ربـه وأنه الذي بيـده التصريف والثـواب والعقاب والضر والنفـع والعطاء والمنـع، فـلا يقصد بعملـه إلا الله، والأعمال ومنها الـزكاة والجهاد تحتاج إلى إخـلاص، والذاكـر إِذْ أُعطي الإخلاص لا يُخْرِج زكاةً ولا يجاهد إلا لوجه الله، فقـدم الذكر من حيث أنه وسـيلة لتحصيل الإخلاص، لا من حيث أنه أعلى رتبة من الجهاد والزكاة.

والغافل عن الله ربما يجاهد خجلاً من الناس، أو حمية ونظراً إليهم، وربما يفـر من القتـال لعدم وجود مثبت له لغفلته عن الله، لذلـك أمرنا الله بالذكر في الجهـاد، فقـال سـبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٦٧٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) أخرج الزيادة: الترمذي رقم ٣٥٩٦، وقال: حسن غريب.
(٣) يعني الفضة.
(٤) أخرجه مالك في موطئه رقم ٤٩٢ والترمذي رقم ٣٣٧٧ والحاكم رقم ١٨٢٥ وصحح إسناده، عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥]، فذكره في الجهاد يذكره أنه مملوك لله، وأنه إن مات فهو راجع إليه سبحانه، فيكون ذلك سبباً في الثبات وعدم الفرار، مع النية الصحيحة والإخلاص الكامل في جهاده.

٦. إن ذكر الله تعالى يستجلب الخشية لله، وإذا وجدت الخشية لله خاف العبد من ربه وتأدب معه فأقام أحكامه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢]، وقد ذكر النبي ﷺ من السبعة التي يظلهم الله في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خالياً، ففاضت عيناه»(١).

وقد سن لنا النبي ﷺ في هذا الحديث أن يذكر الإنسان خالياً، أي أن يختلي عن الناس فيكون منفرداً مع ربه، وذلك أدعى للحضور والتركيز والإخلاص والخشوع وأبعد عن التشويش والشواغل والالتفات، فليحرص كل مسلم على أن يجعل لنفسه وقتاً يخلو فيه في ذكر الله، ولو ربع ساعة في اليوم.

٧. والذكر يعالج أمراض القلوب وضعف الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: «جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَكَيْفَ نُجَدِّدُ إِيمَانَنَا؟ قَالَ: أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ»(٢).

المطلب الثالث: أهم الأذكار المندوبة:

أمرنا الله ورسوله بالذكر، وقد حثنا على أذكار بعينها، فكانت أهم الأذكار التي ندبنا إليها عشرة، هي: الاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، ولا إله إلا الله،

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٢٩ ومسلم رقم ١٠٣١، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) حديث حسن، أخرجه أحمد رقم ٨٦٩٥ والحاكم رقم ٧٦٥٧ وصححه، عن أبي هريرة ﷺ.

وسبحان الله، وسبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم، والحمد لله، والله أكبر، وحسبي الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا بيان الأمر بها وبعض فضلها وأثرها في تزكية النفس.

الاستغفار

أمرنا الله تعالى بالاستغفار والتوبة، كما أمر من قبلنا، فقال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [فصلت: ٦] وقال: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴾ [هود: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

والاستغفار إنما هو اعتذار إلى الله وطلب لعفوه مما أخطأ العبد في حق ربه إذ خالف أمره وخرج عن طاعته، ومن أراد أن يعود إلى الله تعالى فكيف يرجع إليه وهو لم يعتذر من معصيته، ولم يطلب المغفرة والمسامحة.

لذلك وجب على العبد أن يرجع إلى ربه بالاستغفار مرة بعد مرة، ويوماً بعد يوم، وقد قال النبي ﷺ «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[(١)]، فعلى كل مسلم أن يجعل لنفسه توبة واستغفاراً في كل صباح وكل مساء، فليس فينا من لا يذنب، سواء انتبهنا إلى ذنوبنا أم لم ننتبه.

وقد أمرنا الله تعالى بالاستغفار والتسبيح في أول النهار وآخره: فقال: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥].

وقد حثنا النبي ﷺ على نقول في كل يوم مائة مرة: «**أستغفر الله وأتوب إليه**»، فقد قال ﷺ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٥٩ عن أبي موسى رضي الله عنه.

مرة»(١)، وقال ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»(٢).

وإذا أراد الإنسان أن يزكي نفسه، فأول ما ينبغي أن يطهر نفسه منه بعد إيمانه وتوجهه إلى الله؛ أن يتوب من ذنوبه التي قدمها وعصى به، معلناً رجوعه إلى الله وإلى أحكامه.

وقد بين الله تعالى أن من صفة المؤمنين والمتقين أنهم يستغفرون في آخر الليل، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقال: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، يدعونا الله تعالى إلى الاستغفار في آخر الليل، في خلوة مع الله نعلن توبتنا وتضرعنا إلى الله وافتقارنا.

وعلى العبد كلما أذنب أن يسارع إلى الاستغفار، قال سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ومن أذنب فإنه يستحق العقوبة من الله، إن لم يعف الله عنه، وقد يؤخر الله العقوبة لعبده إلى الآخرة، وقد يعجلها له في الدنيا رحمة به وتطهيراً له(٣)، لكن من سارع إلى الاستغفار رفع الله عنه العقوبة في الدنيا

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رقم ٥٩٤٨، وروى مسلم رقم ٢٧٠٢ عن الأغر المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنه لَيُغانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة». ومعنى «يُغان» يُغَطَّى.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧٠٢ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) كما ورد في الحديث الصحيح: «إن الله إذا أحب عبداً عجل له العقوبة في الدنيا حتى يوافيه يوم القيامة وليس عليه شيء» أخرجه بهذا المعنى الترمذي رقم ٢٣٩٦، وابن حبان رقم ٢٩١١، والحاكم رقم ١٢٩١.

والآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فكما أن وجود النبي ﷺ أمان لأصحابه من العذاب(١)؛ فإن الاستغفار أيضاً أمان للإنسان من العذاب والعقوبة، كما دلت الآية، فما أعظم كرامة الاستغفار.

والله تعالى يفرح بعبده التائب الراجع إليه، أكثر من فرح إنسان ضاعت ناقته في صحراء فلاة وعليها طعامه، فجلس ينتظر الموت وقد يئس من رجوعها، فلما استيقظ من نومه، فإذا بها فوق رأسه، فالله أشد فرحاً بتوبتنا من فرح هذا بناقته وطعامه.

والله تعالى بين لنا من فضيلة الاستغفار أنه سبب في زيادة الهمة والقوة فقال سبحانه ذاكراً قول هود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢]، وزيادة القوة تشمل القوة المعنوية والهمة، فإذا كان عند المسلم ضعف وتكاسل عن بعض الطاعات؛ فعليه بالاستغفار يعطيه الله به همة وقوة على الطاعة، وإذا كان عنده ذنب ولا يستطيع تركه؛ فليستغفر، ليعطيه الله القوة والهمة على تركه.

ومن آثار الاستغفار سعة الرزق، قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢]، فمن تاب وسع الله عليه ورحمه، لكن لا ينبغي للعبد أن

(١) وقد ورد في صحيح مسلم رقم ٢٥٣١ عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ رفع رأسه إلى السماء ثم قال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون».

يجعل هدفه من الاستغفار الدنيا، وإلا لم يكن مخلصاً، يريد عرض الدنيا، وإنما يجعل هدفه التوبة فيوسع الله عليه.

وما سبق من الآيات يشهد للحديث الذي روي ـ وضعفه بعض العلماء ـ أن النبي ﷺ قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»(١).

وقد سن لنا النبي ﷺ الاستغفار بعد كل صلاة فريضة، فقد كان «إذا انْصَرَف مِنْ صلاتِهِ اسْتَغفَر ثَلاثاً، وقال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، ومِنكَ السَّلامُ، تباركْتَ يَا ذا الجلالِ والإكرام» قِيل للأَوْزاعي وهُوَ أَحَد رُواةِ الحديث: كيفَ الاستِغفَارُ؟ قال: تقول: أَسْتَغْفرُ الله، أَسْتَغْفِرُ الله(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ١٥١٨ وابن ماجه و البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٥٩١، عن ثوبان ﷺ.

الصلاة على النبي ﷺ

أخبرنا الله أنه يصلي على النبي ﷺ ليحثنا على الصلاة عليه، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أفلا يكفينا هذا الأمر الرباني لنكثر من الصلاة على النبي ﷺ، لنذكر فضل الله على نبيه ﷺ، ولنشكر نعمة الله علينا بإرساله إلينا، وقد كمله وزكاه وجعله أكمل خلقه، وبتذكرنا لرسول الله ﷺ من خلال الصلاة عليه تزداد محبتنا له فتدفعنا إلى طاعته، ويتعمق لدينا أنه القدوة الكامل الذي ينبغي أن نتبعه في كل شيء من اعتقاداتنا ونياتنا وأقوالنا وأعمالنا وأخلاقنا، فيكون ذلك سبباً في الاتباع والحرص على الطاعة.

والصلاة على النبي ﷺ سبيل لصلاة الله علينا وإخراجنا من الظلمات إلى النور، ذلك أن النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً»(١)، وإذا صلى الله علينا أخرجنا من الظلمات كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وإذا كانت صلاتنا مع النقص والغفلة، فإن صلاة الله علينا ورحمته لا تكون إلا كاملة مع الفضل والنور، فمن أراد الخروج من ظلمة الجهل والذنب والغفلة والتدسية إلى نور

(١) أخرجه مسلم رقم ٤٠٨ عن أبي هريرة ﵁ بلفظ «واحدة» بدل «صلاة» وأخرجه مسلم رقم ٣٨٤ باللفظ المذكور عن عبد الله بن عمرو بن العاص وتمامه: «ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

العلم والطاعة والذكر والتزكية والهداية فعليه بالصلاة على النبي ﷺ.

وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ في أن من يكثر الصلاة عليه ﷺ يكون أولى بشفاعته ويكون أقرب إليه في الجنة، قال رسُول الله ﷺ: «أَوْلى النَّاسِ بي يوْمَ الْقِيامةِ أَكْثَرُهُم عَليَّ صلاةً»(١).

وقد حثنا النبي ﷺ على الإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلتها فقالَ ﷺ: «إنَّ مِن أَفْضلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعةِ، فَأَكْثِرُوا عليَّ مِنَ الصلاةِ فيه، فإنَّ صَلاتَكُمْ معْرُوضَةٌ علَيَّ» فقالوا: يا رسول الله، وكَيْفَ تُعرضُ صلاتُنَا عليْكَ وقدْ أَرَمْتَ؟ يقولون:بَلِيتَ، قالَ: «إنَّ الله حَرم على الأَرْضِ أَجْساد الأَنْبِياءِ»(٢).

كـما حثنـا النبي ﷺ على إكثـار الصلاة عليـه ﷺ في كل حال، قـال أبي بن كعب: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقـال: ما شـئت، قـال: قلت: الربع؟ قال: ما شـئت، فـإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شـئت، فـإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذاً تكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك(٣)، ومغفرة الذنوب كما مر تزكية وتطهير للنفس.

(١) أخرجه الترمذي رقم ٤٨٤، عن ابن مسعود ﷺ وقال: حديث حسنٌ غريب، وأخرجه البزار في مسنده ٤/ ٢٧٨ رقم ١٤٤٦ بلفظ: «إن أولاكم بي يوم القيامة أكثركم علي صلاة في الدنيا»، وأخرجه أبو يعلى رقم٥٠٨٠، قال الشافعي في الأم ج ١ ص ٢٠٨: «وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال: أقربكم مني في الجنة أكثركم علي صلاة، فأكثروا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر، قال الشافعي: يعني والله تعالى أعلم يوم الجمعة».

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ١٥٣١ وأحمد نحوه ٤/ ٨، عن أوس بن أوس ﷺ.

(٣) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٢٤٥٧ وقال: حسن صحيح، وروى أحمد نحوه رقم ٢١٢٨٠ عن أبي بن كعب، ولفظه: قال رجل: يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: إذاً يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمك من دنياك وأخرتك».

لا إله إلا الله

هي أعظم كلمة، تدل على أعظم حقيقة، فقد خلقنا لنعرف توحيد الله ونعبده وحده، ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فكانت هذه الكلمة لتذكرنا بألوهية الله وبعبوديتنا.

فكانت الأحق بالذكر، قال ﷺ: «أفضل الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله»(١)، ولا عجب أن تكون أفضل الذكر وهي الكلمة التي لا يكون الإيمان إلا بها.

وهي الكلمة الطيبة التي تثمر كل الخير ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥].

وهي كلمة التقوى التي ينبغي أن نلازمها: ﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾ [الفتح: ٢٦].

وهي الكلمة التي يدخل بها الإنسان الإسلام والإيمان، فهي رأس التزكية، وهي الكلمة التي يسعى المسلم إلى أن يختم حياته بها، لأنه إذا ختم للإنسان بها فقد نجى، فاجعل أيها المسلم أكثر كلامك: لا إله إلا الله، فإنها تذكرك أن لا معبود بحق إلا الله، وتجعلك حاضراً مع مولاك خالقك وإلهك وربك العظيم.

---

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٣٨٣ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه وقال: حسن غريب، وأخرجه ابن حبان رقم ٨٤٦، والحاكم رقم ١٨٣٤ وصحح إسناده.

كما حثنا النبي ﷺ على أن نكثر من قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، أن نقولها مئة مرة على الأقل في كل يوم، وبين لنا فضيلتها، فقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير؛ في يوم مائة مرة كانت له عِدْل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[١]، وبيانه ﷺ بأنها حرز لقائلها من الشيطان حتى يمسي؛ كأنه ندب لنا أن نقول مثلها في المساء لتكون لنا حرزاً حتى نصبح، وقد روي ما يدل على ذلك[٢].

وحثنا على أن نقولها بعد صلاة الفجر عشراً[٣].

وكان من تهليل النبي ﷺ بعد الصلوات المفروضة؛ ما رواه المغيرة بن شُعْبَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَان إذا فَرغَ مِنَ الصَّلاة وسلَّم قالَ: «لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ. اللَّهُمَّ لا مانِعَ لما أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطيَ لما مَنَعْتَ، ولا ينْفَعُ ذا الجَدِّ[٤] مِنْكَ الجدُّ»[٥]، وعَنْ عبد الله بن الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما أَنَّهُ كان يقُول دُبُرَ كَلِّ صلاةٍ، حينَ يُسَلِّمُ: «لا إلَه

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣١١٩ ومسلم رقم ٢٦٩١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) فقد روي بلفظ «مائتي مرة» بإسناد حسن، أخرجه أحمد رقم ٦٧٤٠ والنسائي رقم ١٠٤١١، وفي رواية للنسائي: رقم ١٠٤١٠ أن النبي ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير **مائة مرة إذا أصبح، ومائة مرة إذا أمسى**؛ لم يأت أحد بأفضل منه إلا من قال أفضل من ذلك».

(٣) وقد سبق ذكر الحديث.

(٤) الجد: الغنى.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٨٠٨ ومسلم رقم ٥٩٣.

إلاَّ الله وَحْدَهُ لا شريكَ لهُ، لهُ الملكُ ولهُ الحَمْدُ، وهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَديرٌ. لا حوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِالله، لا إله إلاَّ الله، وَلا نَعْبُدُ إلاَّ إيَّاهُ، لهُ النعمةُ، ولَهُ الفضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسنُ، لا إله إلاَّ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ولوْ كَرِه الكَافرُون»، قالَ ابْنُ الزُّبَيْر: وكَان رسولُ الله ﷺ يُهَلِّلُ[1] بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مكتوبة[2].

(١) يهلل بهن: يعني يرفع صوته بهن.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٥٩٤.

لا حول ولا قوة إلا بالله

هـذه الكلمـة تعمـق معنـى التـوكل عـلى الله، وتذكرنـا أن الأسـباب والمخلوقـات لا حـول لها ولا قدرة ولا قـوة، فلا ينبغي أن نعتمـد عليها، وإنما نعتمـد ونتـوكل على من بيده التصريـف والحول والقوة، وقـد أوصى النبي ﷺ بذكرها عدداً من أصحابه، كما أنه أخبرنا أنها كنْزٌ من كنوز الجنة[1].

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٩٦٨ ومسلم رقم ٢٧٠٤، عن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: لما غزا رسول ﷺ خيبر، أو قال: لما توجه رسول الله ﷺ أشرَفَ الناسُ على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: ارْبَعُوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أَصَمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة، قلت: بلى يا رسول الله، فداك أبي وأمي، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

حسبي الله ونعم الوكيل

وهذه الكلمة تعمق أيضاً معنى التوكل على الله، وأنه الوكيل الذي يجب أن يرجع إليه، وأنه يكفي عبده، فلا يحتاج معه إلى معين، ويحسن بالعبد أن يكثر منها إذا داخَلَه خوفٌ من الخَلْق، ليتذكر أنهم لا يضرون ولا ينفعون، وأن الله قادر على رَدِّ ضُرِّهم وأذاهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «حسبنا الله ونعم الوكيل؛ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣]»[١]، قد بين الله ما أكرمهم به لما لجؤوا إليه بهذه الكلمة فقال: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وأمر الله نبيه أن لا يبالي بعدم نصرة الناس له، فنصرة الله تكفيه، فقال له: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وإذا خاف الإنسان من أذى أو ظلم، فليقل هذه الكلمة، فقد روي أن النبي ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكَيْسِ، فإذا غلبك امرؤ فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٢٨٧.

(٢) أخرجه أبو داود رقم ٣٦٢٧ وأحمد رقم ٢٤٠٢٩، عن عوف بن مالك رضي الله عنه.

وأعظم همٍّ للمسلم آخرته، فلا يكتفي أن يذكر أن الله حسبُه ووكيلُه ليفرج عنه دنيا، بل يقولها في الدنيا ليفرج الله عنه بها كربات الآخرة، عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ[1]، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ» فَكَأَنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلى أَصْحَابِ رسول الله ﷺ فقالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوكِيلُ»[2].

---

(١) الْقَرْنُ: هُوَ الصُّورُ الَّذِي قال الله تعالى فيه: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ [الكهف: ٩٩].

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٤٣١، وقال: حديث حسنٌ.

سبحان الله والحمد لله والله أكبر

وقد أمرنا الله بالتسبيح بحمده قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، معظمين الله تعالى ومنزهين له، وشاكرين لفضله، نزكي بذلك اعتقادنا بالله، ونشكر فضله فيزيدنا من كرمه، قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

كما أمرنا بالتكبير ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] وجعله في صلاتنا، تعظيماً لله وإكباراً له، وتواضعاً منا أمامه وعبودية له.

فضائل التسبيح والحمد والتكبير:

بين لنا النبي ﷺ عظيم فضائل التسبيح والحمد، فقال ﷺ: «كَلِمتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللِّسانِ، ثَقيلَتانِ في المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمنِ: سُبْحان الله وَبِحَمْدِهِ، سُبحانَ الله العظيمِ»(١).

وقال ﷺ: «لأن أَقُولَ سبْحانَ الله، وَالحَمْدُ للهِّ، ولا إلَه إلاَّ الله، وَالله أكْبرُ، أَحبُّ إِليَّ مِمَّا طَلَعَت عليهِ الشَّمْسُ»(٢).

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «ألا أُخْبِرُكَ بِأَحبِّ الكَلامِ إلى اللهِ؟ إنَّ أحبَّ الكَلامِ إلى الله: سُبْحانَ الله وبحَمْدِهِ»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٧١٢٤ ومسلم رقم ٢٦٩٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٥، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧٣١.

وقال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»(١).

وقال ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان، والحمدُ للهَّ تَمْلأُ المِيْزانَ، وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ للهَّ تملآنِ أو تَمْلأُ ما بَيْنَ السَّمَواتِ والأَرْضِ»(٢).

الحث على الإكثار من التسبيح والحمد والتكبير والتهليل:

حثنا النبي ﷺ على الإكثار من التسبيح، فقال ﷺ: «أَيعجِزُ أَحدُكم أنْ يكْسِبَ كلَّ يوْمٍ أَلف حَسنَة» فَسَأَلَهُ سائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كيفَ يكسِبُ أحدنا أَلفَ حَسنَةٍ؟ قالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحة، فَيُكتَبُ لهُ أَلفُ حسَنَةٍ، أَوْ يُحطُّ عنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ»(٣).

وقال ﷺ: «منْ قال: سُبْحانَ الله وبحَمدِهِ، غُرِستْ لهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ»(٤)، وقال ﷺ: «من: قالَ سُبْحَانَ الله وَبحمْدِهِ، في يوْم مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَاياهُ، وإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْر»(٥).

وقد شرع لنا الله تعالى الإكثار من التسبيح في الصلاة، فقد «كانَ النبي ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدك، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي»(٦)، و «كانَ يَقُولُ في رُكوعِهِ وسجودِهِ: «سُبُّوحٌ قدُّوسٌ ربُّ الملائِكةِ وَالرُّوحِ»(٧).

(١) أخرجه مسلم رقم ٢١٣٧ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٢٣، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٨، عنْ سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي ٣٤٦٥، عن جابر رضي الله عنه، وقال: حديث حسنٌ غريب.

(٥) أخرجه البخاري رقم ٦٠٤٢ ومسلم رقم ٢٦٩١، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري رقم ٧٨٤ ومسلم رقم ٤٨٤، عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) أخرجه مسلم ٤٨٧ عن عائشة رضي الله عنها.

وحثنا النبي ﷺ على التسبيح والتحميد والتكبير بعد كل صلاة وبين لنا عظيم أجرها، فقال ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ الله في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ ثَلاثاً وثَلاثِينَ، وَحِمِدَ الله ثَلاثاً وثَلاثين، وكَبَّرَ الله ثَلاثاً وَثَلاثينَ، فتلك تسعة وتسعون، وقال تَمامَ المِائَةِ: لا إلهَ إلاَّ الله وحْدَه لا شَريك لهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمْد، وهُو على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ؛ غُفِرتْ خطَاياهُ وإن كَانَتْ مِثْلَ زَبدِ الْبَحْرَ»(١)، قال ﷺ: «مُعقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَو فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صلاةٍ مكتُوبةٍ: ثَلاثاً وثَلاثينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاثاً وَثَلاثِينَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعاً وثَلاثِينَ تَكبِيرةً»(٢).

وحثنا على التسبيح بصيغة مباركة بعد الصبح فعن أُمِّ المؤمنينَ جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارِثِ رضي الله عَنْها أنَّ النبي ﷺ خَرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وهِيَ فِي مسْجِدِهَا(٣)، ثُمَّ رَجع بَعْد أَنْ أَضْحى وهَي جَالِسةٌ فقال: «مازلْتِ على الحال التي فارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قالَتْ: نَعمْ: فَقَالَ النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدِكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَومِ لَوَزَنْتهُنَّ: **سُبْحَانَ اللهِ وبحمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَاءَ نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عرْشِهِ، ومِداد كَلِمَاتِه**»(٤).

المطلب الرابع: ما يعين على الذكر:

ـ مجالس الذكر:

كانت مجالس النبي ﷺ مجالس علم وذكر لله تعالى، وكان يكثر من الذكر في مجالسه، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إِنْ كُنا لنعدُّ لرسول الله

(١) أخرجه مسلم رقم ٥٩٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم ٥٩٦ عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

(٣) أي في مكانها الذي تصلي فيه في بيتها.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٦.

ﷺ في المجلس الواحد يقول: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور، مائة مرة»[1].

وثبت أن بعض أصحابه ﷺ كانوا يتداعون إلى الاجتماع على الذكر، فكان معاذ يقول لبعض أصحابه: اجلس بنا نؤمن ساعة[2]، وروي عن آخرين قولهم: تعال بنا نؤمن ساعة، فيجلسون يذكرون الله تعالى.

وإذا كان الواحد منا يجلس إلى الطاعة والذكر فيجد ضعفاً ونعاساً وخواطر كثيرة، فإن الاجتماع على الذكر له بركته ونوره وأجره، فقد بين النبي ﷺ أن فيه من الرحمة والمغفرة والسكينة وحضور الملائكة ما يدفع المؤمن إلى الحرص عليه[3]، فقال ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهْوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ[5]،

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٤٧٢٦ والترمذي رقم ٣٤٣٤ وأبو داود رقم ١٥١٦، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ٦١٨ وقال: «الرحيم» بدل «الغفور».

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً في بداية كتاب الإيمان من صحيحه، وأخرجه ابن أبي شيبة رقم ٣٠٣٦٣ بإسناده «عن الأسود بن هلال المحاربي قال: قال لي معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله».

(٣) مع التنبيه إلى وجوب خلو مثل هذه المجالس من البدع والمخالفات.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٧٠٠ عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٥) في رواية مسلم: يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك.

قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ وَالله مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَالله يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَباً، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ وَالله مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ، لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

فدل الحديث على ندب الاجتماع على الذكر من ثلاثة أوجه: أنه سبب في حضور ملائكةٍ خصَّصَهم اللهُ لمجالسِ الذكر، ولو كانت مجالس الذكر غير مشروعة لما خصص الله لها ذلك، وأن الاجتماع على الذكر سبب في المغفرة، وأن مجالسة أهل الذكر سبب في نفي الشقاء، فمن يجالسهم لا يشقى، فكيف بهم هُمْ، فالحديث يحثُّنا على مجالستهم، وعلى أن نكون منهم.

وقال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قلت [القائل أبو هريرة]: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال المساجد، قلت: وما الرتع يا رسول الله؟ قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٠٤٥ ومسلم ٢٦٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٥٠٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حسن غريب.

وقال ﷺ: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قال: وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر»(١).

وقد حث النبي ﷺ على مجالس الذكر في وقتين مباركين، فقال ﷺ: «لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى **من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس** أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله **من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس** أحب إلي من أن أعتق أربعة»(٢).

تنبيهات:

ينبغي أن يكون الذكر بما ورد في الكتاب والسنة من أذكار، أما الأذكار التي اختلف فيها العلماء هل هي من الذكر المشروع، أم لا؛ فالأولى بالإنسان أن يبتعد عنها إلا إذا اقتنع بمشروعيتها وأن في الشريعة ما يدل عليها، فهو معذور في ذكرها، وعسى أن ينفعه الله بها.

وينبغي أن يكون ذكر الإنسان واضحاً، فلا يخل بألفاظه، فإن الإخلال بالألفاظ يؤدي إلى الإخلال بالمعاني، فلا يجوز أن يقول الإنسان: «آلله أكبر، أو الله آكبر»، بمد ألف لفظ الجلالة، أو بمد ألف أكبر، فمد أي واحدة منهما يجعل الجملة استفهاماً، لا ذكراً وتقريراً، فمن ذكرها بهذه الطريقة فكأنه شاكّ في هذه الحقيقة.

ولا يجوز أن يقول: «أكبار»، بمد الباء وكأن بعدها ألفاً، فذلك تحريف للكلام، ومعنى كلمة أكبار معنى قبيح، فلا يجوز نسبته إلى الله تعالى.

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٥١٠، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال الترمذي: حديث حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود برقم ٣٦٦٧، عن أنس رضي الله عنه.

وبعضهم يريد أن يخرج الذكر مع النغم فيحرفه، فيقول: «موحامّاد راسولو الله» بدل «محمد رسول الله»، ويقول: «سوبحانا الله» بدل «سبحان الله»، ويقول: «الحامْدُو لِيْلّاه» بدل: «الحمد لله»، أو يقول: «للاهي» بدل «لله» فيُشبع الكسرة ويجعلها ياءاً، فيصير ذاكراً لأهل اللهو بدلاً من أن يذكر اللهَ، أو يقول: «لا إيلاها إِيْلّا الله»، أو يقول: «اللاهو»، فيشبع الضمة ويجعلها واواً، وكل ذلك وأمثاله لا يجوز، ولا يجوز أن نجعل النغم طاغياً على الذكر مضيعاً لحروفه أو زائداً فيها أو مغيراً للمعنى، كما لا يجوز أن نُحَوِّل الذكر إلى هَمْهَمات لا تُفهَم، أو إلى أصوات مُوهِمة ينكرها السامع، تُضَيِّعُ لفظ الذكر ومعناه.

ـ اتخاذ أوراد من الذكر:

أفضل ما يجعله المسلم لنفسه وِرْداً؛ هو ما جعله الشرع له وِرْداً، أي ما أمره به بعدد معين وفي وقت معين، كفرائض الصلاة التي حددت بوقت معين وحد معين، وسننها الرواتب، وكالأذكار التي حددت بعد الصلاة أو في الصباح والمساء، ونحو ذلك.

فإذا أراد المسلم أن يكون أكثر ذكراً، فيمكنه أن يكثر من الذكر بلا عدد ولا تحديد وقت، وذلك جائز ومشروع، لكنه يستحسن ويندب ويُسَنُّ أن يُلزِم المسلمُ نفسَه بأوراد يحرص عليها ويداوم عليها ويكررها في كل يوم وفي وقت معين، من الأذكار المشروعة المسنونة التي أَمَرَنا بها الشرع ولم يحدد لنا عدداً فيها ولا وقتاً لها.

وتحديدنا هذا لأنفسنا لا نَعتبر معه هذا العدد وهذا الوقت سنة، وإنما هو سنة بشكل عام من جهة أن النبي ﷺ أخبرنا أن «أحب الأعمال إلى الله ما

دام وإن قل»[1]، والحديث لا يتكلم عن الأعمال والعبادات التي فرضها الله أو سنها النبي ﷺ في وقت معين بعدد معين، فذلك مطلوب بذاته، ولا مجال لأن يزيد أو يقل، وإنما يتكلم الحديث عن العبادات المشروعة التي لم تحدد بوِرْدٍ معين، فيحب الله أن نداوم عليها، ولا تكون المداومة إلا بالثبات عليها بحد معين في وقت معين.

ومن الأدلة على مشروعية تحديد المسلم لنفسه وِرْداً مُعَيَّناً: قول رسول الله ﷺ : «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كتب له كأنما قرأه من الليل»[2]، فقوله: «حزبه»؛ يدل على أن كل واحد يجعل لنفسه حظاً معيناً فيكون وِرْدَه وحِزبه الذي يداوم عليه، بل ويقضيه إن فاته.

وهذه الأدلة تدل على أن اتخاذ ورد وتحديد عدد معين أو وقت معين ليس من البدعة، وإنما تكون البدعة إذا اعتقد المسلم أن العدد المحدَّدَ الذي عيَّنه لنفسه والوقت المحدد الذي عينه لنفسه سنة معينة من النبي ﷺ فعندئذ يعتبر مبتدعاً، لأنه أضاف إلى الدين ما لم يعينه الدين[3].

وحينما يحدد ذلك لنفسه ويلزم نفسه به لا يجوز أن يجعله أهم من الواجبات والسنن المحددة من النبي ﷺ، وحينما يُداومُ عليه يداومُ عليه من باب طاعة النبي

---

(١) أخرجه البخاري ٥٥٢٣ ومسلم نحوه رقم ٧٨٣، عن عائشة رضي الله عنها، وفي حديث مسلم قال: «وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

(٢) أخرجه مسلم رقم ٧٤٧ والترمذي رقم ٥٨١ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) لذلك قال العلماء: إذا كان من يفعل ذلك ممن يقتدى بهم، وظهر فعله للناس؛ فلا بد أن يبين للناس أن هذا على سبيل الوِرد، وليس محدداً في السنة، يبين ذلك أو يترك الورد أمام الناس أحياناً حتى لا يعتقدوا أنه سنة.

ﷺ في الحديث الذي يأمر بالمداومة، لا على سبيل إيجاب ما لم يجب في شرع الله، وينبغي أن يجعل ما يحدده لنفسه لا يتنافى مع السنن والواجبات، ولا يغيرها، ولا يحل محلها، ومِن غَير أن نعتقد أن ما حددناه لأنفسنا سنةً لازمةً أو واجباً.

وإذا ألزم الإنسان نفسه بشيء من هذا النوع على هذا الوجه؛ فإنه يكون أحرص عليه وأثبت وأدوم فيجد محبة الله لفعله ويجد البركة والثواب والعون، فإن النفس إذا تركت على هواها تهربت من الطاعات، أما إذا ألزمها الإنسان بها لم يعد يجد للخواطر النفسية المثبطة وللشيطان وساوس تدعوه إلى ترك هذه الطاعات.

ومما يقترح من هذه الأوراد اليومية ـ على سبيل المثال:

قراءة الفاتحة ثلاثاً أو أكثر من ذلك(١).

والاستغفار مائة مرة، والصلاة على النبي ﷺ مائة، والتهليل مائة، والتسبيح مائة، في كل صباح ومساء.

---

(١) حينما أعلمنا النبي ﷺ أن الفاتحة أعظم سورة فقد ندبنا بذلك إلى الإكثار منها، روى البخاري رقم ٤٢٠٤ عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]» ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»، وروى مسلم رقم ٨٠٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه، فقال: «هذا باب من السماء فتح اليوم، لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلَّم وقال: أبشر بنورين أوتيتَهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحةُ الكتاب وخواتيمُ سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته».

ويمكن أن يزيد عليها: مائة مرة من الحمد والتكبير والحوقلة والحسبلة.

أو يجعل لنفسه ألف استغفار، أو ألف صلاة على النبي ﷺ، أو ألف تهليلة، كل يوم، أو يفعل ذلك كله كل يوم، ويمكن أن يجعل لنفسه أكثر من ذلك من التهليل لأنه أفضل الذكر، وكل إنسان يحدد لنفسه ما يستطيع، مما لا يرهقه، ومما لا يُضيِّعُ واجباته وسننه الأخرى، مراعياً قدرته وأوقاته وأشغاله، قال ﷺ: «خذوا من الأعمال ما تطيقون»(١).

وقد روي أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يسبِّح في اليوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة(٢).

ـ دورة تدريبية تطبيقية مقترحة للتَّعَوُّدِ على الذكر والحضور فيه:

حينما يريد الإنسان أن يعمل في مصنع ما، فإنه يدخل دورة تدريبية لأيام يتعرف فيها على المصنع وأدواته وكيف يتعامل بها، حتى إذا أتقنها؛ صار العمل سهلاً عليه بعد ذلك، ومما ينصح به بعض المُرَبِّين أن يعمل الإنسان ـ الذي كان غافلاً عن الذكر ـ دورة تدريبية على الذكر، لِيَتَعَوَّدَ من خلالها على دوام الذكر وكثرته التي أمرنا الله بها، ولِيُعَوِّدَ نفسه على الحضور والمراقبة والتركيز الذهني عند الذكر، وليستفيد من بركة معاني الأذكار المختلفة وآثارها.

ـ حتى يتعود الإنسان على كثرة الذكر؛ فلا بد أن يبدأ بداية قوية في ذلك، فأول ذلك أن يعرف أهمية الذكر ليرغب بالإكثار منه، فيبدأ بدورة يجتهد من خلالها أن ينهي عدداً كبيراً من الأذكار خلال فترة قليلة، قدر استطاعته، مخلصاً في ذلك لله، طالباً قربه ومرضاته وجنته.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٥٢٣ ومسلم رقم ٧٨٢ عن عائشة رضي الله عنها وروي نحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه رقم ٢٦٧٣٣.

ـ أهم الأذكار التي وردت في الكتاب والسنة هي التي ذكرناها في المطلب السابق، وهي: الاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، والتهليل: لا إله إلا الله، والتسبيح: سبحان الله، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، والحمد لله، والتكبير: الله أكبر، والحسبلة: حسبي الله ونعم الوكيل، والحوقلة: لا حول ولا قوة إلا بالله.

ـ يجعل الطالب هدفه أن يذكر كل ذكر من هذه الأذكار عدداً كبيراً، كعشرة آلاف مثلاً أو سبعة آلاف أو خمسة آلاف أو أي عدد كبير، وليس العدد مقصوداً لذاته، فإنه ليس محدداً في السنة، وإنما هو تقدير اجتهادي، لأجل التدرُّب، والمقصود منه الكثرة[1]، فلو اختار الإنسان أي عدد كبير فلا إشكال.

ـ يبدأ الطالب بالاستغفار مثلاً، فيستغل كل وقت من فراغه وكل وقت يمكن أن يذكر فيه فيستغفر ويعد عشرة آلاف مثلاً، سواء استغرقت معه يوماً أو أسبوعاً أو غير ذلك بحسب فراغه واستطاعته، حتى إذا أنهاها بدأ بالصلاة على النبي ﷺ عشرة آلاف، وهكذا حتى ينهي هذه الأذكار العشرة، فلا يكاد ينهيها حتى يكون قد تعود على الذكر، وظهرت عليه بعض ثمرات الذكر وآثاره من الطمأنينة والإقبال على الله، وكلما كانت المدة أقصر؛ كان أثر الذكر أقوى وأظهر، وكان التعود على الذكر أكبر.

ـ من المهم جداً أن يحرص الطالب خلال هذه الدورة على الحضور في الذكر، بأن يفهم الإنسان معنى ذكره، ويفكر في معانيه وهو يذكر، ويكون حاضراً مع الله فيه، فلا ينشغل بالذكر ويغفل عن المذكور، وبقدر الحضور مع الله في الذكر؛ يكون أثره أعظم وأجره أكبر.

---

(١) ونحن مأمورون بالإكثار من الذكر دائماً، قال تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، وما هذه الدورة إلا بداية للتعود على هذا الذكر الكثير.

ومن صَعُبَ عليه الحضور؛ فليتكلفْه قدر طاقته، وليحاول مرة بعد مرة، فبقدر ما يعوِّد المرء نفسه على الحضور في البداية سيجده سهلاً بعد ذلك، وبقدر ما يتهاون في الحضور فقد يبقى طول حياته يذكر بلا حضور.

ـ بعد أن ينهي المرء هذه الألوف من الذكر؛ يحرص بعد ذلك أن يكون ذاكراً على الدوام، ويجعل أكثر ذكره أفضل الذكر التهليل، وإن أذنب أكثر من الاستغفار، وإن كان مشغولاً حرص على المراقبة لله بقلبه وهو في عمله، ويحرص على أوراد الذكر التي وردت في القرآن والسُّنَّة، كالتسبيح قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وبعد الصلوات المفروضة، ويحرص معها على ما يخصصه لنفسه من أوراد في الصباح والمساء وغيرهما من الأوقات.

المبحث العاشر

الدعاء

كل عبادة قد يقوم بها العبد وهو غافل عن معنى العبودية لله فيها، لكن الدعاء لا يخلو عادة من معنى العبودية، لما فيه من افتقار إلى الله وتذللٍ، وشعورٍ بالحاجة والاستكانة لله، فالعبودية فيه ظاهرة واضحة، ولهذا قال ﷺ: «الدعاء هو العبادة»(١)، وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] فعدَّ المستكبرين عن الدعاء مستكبرين عن العبادة كلها.

لذلك فعلى المسلم أن يكثر من الدعاء، لأنه من أعظم ما يحققه في مقصد وجوده، الذي هو العبودية لله.

وقد أمرنا النبي ﷺ بالإكثار من الدعاء في السجود ليكون تواضعاً لله على تواضع، قال رسُولَ الله ﷺ: «أقربُ ما يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهو ساجدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعاءَ»(٢).

وقال ﷺ: «فَأَمَّا الرُّكوعُ فَعَظِّموا فيهِ الرَّبَّ، وأمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعاء فَقَمِنٌ أنْ يُسْتَجاب لَكُمْ»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٩٦٩ وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود رقم ١٤٧٩، وابن حبان رقم ٨٩٠، والحاكم ١٨٠٢ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وفي حديث آخر عند الترمذي ٣٣٧١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «الدعاء مخ العبادة» وقال عنه الترمذي: غريب.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٤٨٢، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٤٧٩ عَنِ ابن عَبَّاسٍ رضي اللهَّ عنهُما. وقوله «قَمِنٌ»: أي حَرِيٌّ وجَدِير.

والدعاء إنما يكون مستجاباً إذا استجاب العبد لأمر الله وأطاع، فقد طلب الله تعالى ذلك من أهل الدعاء، فقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وتجد معنى ذلك في الآيات الآخيرة من سورة آل عمران حيث ذكر الله دعاء عباده الصالحين ثم بين أنه استجاب لهم أنه لا يضيع عملهم الصالح، فقال: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

وتجد معنى ذلك في حديث النبي ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»(١)، والتمني هو طلب الإنسان ودعاؤه ورغبته إلى الله أن يقبله أو يجعله من الصالحين، لكنه لما كان عمله مخالفاً لأمر الله؛ لم يكن لهذا الدعاء قيمة، فسماه النبي ﷺ أمنية.

وما دام الدعاء عبادة، وما دام غير الله لا يستطيع أن يجيب دعاءنا، ولا أن يعطينا حاجاتنا؛ فلا يصح أن ندعو إلا الله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٧].

وما دام الكون كله ملكاً لله فلا أحد يستطيع أن يجيب مرادك إلا المالك المتصرف سبحانه، ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣]، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٤].

وقال ﷺ: «إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» ثم ربط

(١) حديث حسن عن شداد بن أوس رضي الله عنه أخرجه أحمد ٤/ ١٢٤، والترمذي رقم ٢٤٥٩ وحسنه، والحاكم رقم ١٩١ وصححه على شرط البخاري.

ذلك بأنه ما من أحد يملك شيئاً في الكون ولا ضراً ولا نفعاً فقال: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»(١).

ـ والدعاء عمل يصدر عن القلب واللسان، فمن كان قلبه ولسانه يتغذى بالحرام فلا يكون عمله أهلاً للقبول، ولا يكون دعاؤه أهلاً للإجابة.

قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «أيُّهَا النَّاسُ إنَّ الله طيِّبٌ لا يقْبلُ إلاَّ طيِّباً، وَإنَّ الله أمَر المُؤمِنِينَ بِمَا أمَر بِهِ المُرسلِينَ، فَقَال تَعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَر أشْعَثَ أغْبر(٢) يمُدُّ يدَيْهِ إلَى السَّماءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، **وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُه حرَامٌ، ومَلْبسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بِالْحرامِ**، فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟»(٣).

ومن أهم آداب الدعاء:

أن يدعو الإنسان من باب العبودية لله والطاعة له إذ أمرنا بالدعاء، لا أن يظن أحدنا أنه يُعَلِّم الله بحاله وبحاجته، فالله أعلم بحالنا وحوائجنا، لكنه يريد منا أن نتذلل إليه ونتذكر غناه وافتقارنا إليه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٢٥١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٢) قد تفهم العبارة بمعنى أنه متزهد متفرغ للعبادة، وقد تفهم بمعنى أنه منشغل عن نفسه من كثرة أسفاره كرجال الأعمال والتجارات.
(٣) أخرجه مسلم رقم ١٠١٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويريدنا أن نشعر بحاجتنا إليه واضطرارنا إليه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

لأجل ذلك أمرنا النبي ﷺ بالإلحاح في الدعاء، فقال: «ألظوا(١) بيا ذا الجلال والإكرام»(٢).

ومن آداب الدعاء التسليم لله تعالى فيما يختار لك من إجابة الدعاء أو تأخيره أو أن يختار لك ما شاء، فالله تكفل لنا بالإجابة كما يريد، لا كما نريد، لذلك أمرنا النبي ﷺ أن نَدْعُوَ ولا نستعجل الإجابة، فقال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوت فلم يجب لي»(٣).

ومن أدب العبد أن لا يطلب إلا حقاً وخيراً، فلا يجوز أن يطلب الباطل والمحرم ولا أن يدعو بظلم ولا بقطيعة رحم.

قال رسول الله ﷺ : «لا تَدْعُوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من الله ساعةً يُسأَلُ فيها عطاءً فيستجيب لكم»(٤).

وقال ﷺ : «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل: يا رسول الله؛ ما الاستعجال ؟ قال: يقول: قد دعوت، وقد دعوت؛ فلم أَرَ يَستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويَدَعُ الدعاء»(٥).

---

(١) من الإلظاظ، وهو الإلحاح.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٤/ ١٧٧ والنسائي رقم ٧٧١٦ والحاكم رقم ١٨٣٦ عن ربيعة ابن عامر رضي الله عنه، والترمذي ٣٥٢٤ عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقال: غريب، والحاكم رقم ١٨٣٧ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٩٨١، ومسلم رقم ٢٧٣٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٣٠٠٦ من حديث طويل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٧٣٥ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولْيجعلِ العبد المؤمن أكثر دعائه في طلب مرضاة الله والجنة وما يوصل إليها من قول أو عمل، فادع الله أن يرزقك ما طلبه منك من الطاعات والإخلاص، أما ما تكفَّل لك به من رزق فلا تجعله همّاً لك، وإن جاز لك أن تطلبه وتدعو به.

قال النبي ﷺ لرجل: «كيف تقول في الصلاة ؟ قال: أتشهد، وأقول: اللهم إني أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار، أَمَا إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال النبي ﷺ : حولها ندندن»[1].

وعلى المؤمن أن يحرص على أوقات الإجابة للدعاء التي بينها النبي ﷺ ، كالثلث الأخير من الليل[2]، ويوم عرفة[3]، وبعد العصر من يوم الجمعة[4]، وفي

---

(١) أخرجه أبو داود رقم ٧٩٢ عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وأخرجه عن أبي هريرة ﵁ ابن ماجه رقم ٩١٠ وابن خزيمة رقم ٧٢٥ وابن حبان رقم ٨٦٨.

(٢) قال ﷺ : «يتنَزَّل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له » أخرجه البخاري رقم ٧٠٥٦ ومسلم رقم ٧٥٨، عن أبي هريرة ﵁.

(٣) قال ﷺ : «خير الدعاء دعاء يوم عرفة» حديث حسن، سبق تخريجه.

(٤) قال رسول الله ﷺ «عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً؛ إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها» أخرجه البخاري رقم ٨٩٣ وأخرج مسلم نحوه ٨٥٢ وفي بعض رواياته لم يقل: «يصلي» وفي إحدى رواياته قال: «يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»، وأرجح الأقوال أن الساعة المستجابة هي في الجلسة بين خطبتي الجمعة أو بعد العصر آخر النهار، «عن جابر بن عبد الله ﵁ عن رسول الله ﷺ أنه قال: يوم الجمعة ثنتا عشرة ساعة، لا يوجد مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه الله عز وجل، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر» أخرجه أبو داود رقم ١٠٤٨ والحاكم رقم ١٠٣٢ وصححه على شرط مسلم، وأخرجه الترمذي رقم ٤٩١ عن أبي هريرة وقال: حسن صحيح.

السجود[١]، وغيرها، ويتحرى الدعاء فيها بإخلاص وصدق ورغبة إلى الله.

ـ وقد شرع الله عز وجل أدعيةً في المناسبات لتُذكِّرنا بالعبودية لله، وبأنه ربنا الذي نرجع إليه في كل عمل وفي كل شأن، فينبغي أن نحرص على هذه الأدعية حرصنا على العبودية.

فمن ذلك دعاء دخول المسجد والخروج منه، ودعاء دخول البيت والخروج منه، ودعاء بدء الطعام وانتهائه، ودعاء النوم والجلوس منه، ودعاء اللباس، ودعاء دخول الخلاء والخروج منه، وغير ذلك.

وعلى المسلم أن يتعلم هذه الأدعية ويحفظها ويحرص عليها، فإن لها أثراً عظيماً وبركةً كبيرةً، كما بين النبي ﷺ، فإن من يدعو دعاء خروجه من البيت يحفظه الله ويكفيه، ومن يدعو بدعاء الدخول يطرد الله له به الشيطان من البيت، ومن يدعو بدعاء الطعام ويبسمل يمنع اللهُ بذلك الشيطانَ أن يأكل معه، ومن يدعو بدعاء الجماع فإن الله يحفظ به ولده من الشيطان فلا يضره، ومن يدعو بدعاء النوم فإن الله يحفظه من الشياطين وأذاها، وهكذا فإنك تجد لكل دعاء أثراً عظيماً لا يستغني عنه المؤمن.

ـ كما شرع الله تعالى لنا أدعية كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، يحسن بالمسلم أن يكثر من الدعاء بها، ولو دعا بها أو ببعضها مع أذكار الصباح والمساء حتى لا تفوته فلا بأس.

---

(١) قال ﷺ: « أقربُ ما يَكونُ العبْدُ مِن ربِّهِ وَهَو ساجدٌ، فَأَكثِرُوا الدُّعاءَ » أخرجه مسلم رقم ٤٨٢، عن أبي هريرةَ رضي الله عنه.

نماذج من الأدعية الواردة في القرآن الكريم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ١-٧].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(١) [البقرة: ٢٠١].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ * رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٨-٩].

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

---

(١) وقد روى البخاري رقم ٦٠٢٦ عن أنس رضي الله عنه أن أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم كان بهذا الدعاء.

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ * رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ * رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ * رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [إبراهيم: ٤٠-٤١].

﴿ رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٨٠].

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدٗا ﴾ [الكهف: ١٠].

﴿ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي * وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي * وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي * يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ [طه: ٢٥-٢٨].

﴿ رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾ [طه: ١١٤].

﴿ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

﴿ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان: ٦٥-٦٦].

﴿ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ * وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ * وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ * وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ * يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٩].

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل: ١٩].

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم: ٨].

﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارَۢا ﴾ [نوح: ٢٨].

نماذج من أدعية النبي ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً»(١).

وعنْ علي رضي الله عنه قَالَ: قال لي رَسُولُ ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِني، وَسدِّدْني»(٢).

وعَن عبد الله بنِ مسْعُودٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِني أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعفَافَ، والغنَى»(٣).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ الله، كيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وَارْحَمْني، وَعَافِني، وَارْزُقني، فَإِنَّ هَؤُلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ»(٤).

وَعَنْ عَبْدِ الله بنِ عمرو بن العاصِ رضيَ الله عنْهُمَا، قَالَ: قَال رَسُولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صرِّفْ قُلوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٥٧ ومسلم رقم ٧٦٣، وفي تتمة الحديث أن أحد الرواة لقي رجلًا من ولد العباس فحدثه بسبعة أخرى: فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري وذكر خصلتين.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٥.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢١.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٧.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٦٥٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ﵁ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ جَهْدِ الْبَلاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَماتَةِ الأَعْدَاءِ»(١).

عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقُولُ: «اللَّهمَّ أَصْلِحْ لي دِيني الَّذي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ التي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتي الَّتي فِيها معادي، وَاجْعلِ الحياةَ زِيادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الموتَ راحَةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍ»(٢).

وعَن زيادِ بْن عِلاقَةَ عن عمِّه، وهو قُطبَةُ بنُ مالِكٍ ﵁ قَال: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يقُولُ: «اللَّهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن منْكَرَاتِ الأَخلاقِ والأَعْمالِ والأَهْواءِ»(٣).

وَعَنْ أَنَس بن مالك ﵁ قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعجْزِ والكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَماتِ»(٤).

وَعَنْ زَيْدِ بنِ أَرْقَم ﵁ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقَولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجزِ وَالكَسَلِ، والبُخْلِ وَالهَرم، وعَذَاب الْقَبْر، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ ولِيُّهَا ومَوْلاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشبَعُ، ومِنْ دَعْوةٍ لا يُسْتجابُ لهَا»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٢٤٢ ومسلم نحوه رقم ٢٧٠٧.

(٢) أخرجه مسلِم رقم ٢٧٢٠.

(٣) أخرجه الترمذي رقم ٣٥٩١ وقال: «هذا حديثُ حَسَنٌ غريب»، ونحوه عند ابن حبان رقم ٩٦٠ والحاكم رقم ١٩٤٩ وصححه على شرط مسلم.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٢٦٦٨ ومسلم رقم ٢٧٠٦.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٢.

وَعَن أَبي موسَى الأشعري ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه كَانَ يَدعُو بهَذا الدُّعَاءِ: «اللَّهمَّ اغْفِر لي خَطِيئَتي وجهْلي، وإِسْرَافي في أَمْري، وما أَنْتَ أَعلَم بِهِ مِنِّي، اللَّهمَّ اغفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلي، وَخَطَئي وَعمْدِي، وَكلُّ ذلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِر لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَما أَسررْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْت المقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

وعن أَبي الدَّرداءِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «كانَ مِن دُعاءِ دَاوُدَ ﵇: «اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ من يُحِبُّكَ، وَالعَمَل الذي يُبَلِّغُني حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعل حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِن نَفسي وأَهْلي، ومِن الماءِ البارد»(٢).

وعن أَبي أُمامةَ ﵁ قَالَ: دَعا رسُولُ الله ﷺ بِدُعَاءٍ كَثيرٍ، لم نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً، قُلْنا: يا رَسُولَ الله دعوت بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لم نَحْفَظ منهُ شَيْئاً، فقَالَ: «أَلا أَدُلُّكُم على ما يَجْمَعُ ذَلكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك مِن خَيرِ ما سأَلَكَ مِنْهُ نبيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأَعُوذُ بِكَ من شَرِّ ما اسْتَعاذَ مِنْهُ نَبيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ، وعليْكَ البلاغُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِالله»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧١٩ بهذا اللفظ، والبخاري نحوه رقم ٦٠٣٥ و ٦٠٣٦.

(٢) أخرجه الترمذيُّ رقم ٣٤٩٠ وَقَالَ: «هذا حديثٌ حسنٌ» والحاكم رقم ٣٦٢١ وصحح إسناده.

(٣) أخرجه الترمذيُّ رقم ٣٥٢١ وقَالَ: «هذا حديثٌ حَسَنٌ غريب».

أذكار وأدعية في المناسبات المختلفة

ورد عن النبي ﷺ أذكار وأدعية ندبنا أن نقولها عند ما يناسبها من أحوال: كدخول المسجد والبيت والخلاء وعند النوم واللباس وغير ذلك، وهذه مجموعة مهمة منها:

دعاء سجود التلاوة: «اللهم أكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود»[1].

القراءات والأذكار والأدعية عند النوم: يقرأ سورة السجدة وسورة الملك[2].

ويقرأ آية الكرسي[3].

ويقرأ آخر آيتين من سورة البقرة[4].

---

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٥٧٩ وقال: حسن غريب، ونحوه ابن حبان في صحيحه رقم ٢٧٦٨، والحاكم رقم ٧٩٩ وصححه، كلهم أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٤٧٠٠ والترمذي رقم ٢٨٩٢ والنسائي رقم ١٠٥٤٢ والحاكم رقم ٣٥٤٥ وصححه، عن جابر رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل؛ السجدة، وتبارك الذي بيده الملك».

(٣) أخرجه البخاري رقم ٢١٨٧ من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه ما ذكره الشيطان لأبي هريرة رضي الله عنه قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لي: **لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح**، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «أما إنه قد صدقك وهو كذوب».

(٤) أخرجه البخاري رقم ٤٧٥٣ ومسلم رقم ٨٠٧ عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، وفيه أن «من قرأهما في ليلة كفتاه». والآيتان هما قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ =

وكان النبي ﷺ «إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، ويفعل ذلك ثلاث مرات»(١).

ويقول: «باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(٢).

أو يقول: «اللهم باسمِكَ أحيا وأموت»(٣).

و«كان رسول الله ﷺ **إذا أوى إلى فراشه** نام على شقه الأيمن ثم قال: **اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك،**

= وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦].

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢٩ عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه رقم ٥٩٦٠ عنها بلفظ: «وقرأ بالمعوذات».

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٩٦١ ونحوه مسلم رقم ٢٧١٤ عن أبي هريرة ﵁، وفي بدايته بلفظ البخاري: «قال النبي ﷺ: إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول:...»، وروى مسلم رقم ٢٧١٢ الدعاء بنحو هذا عن عبد الله ابن عمر ﵁.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٩٥٩ عن حذيفة ﵁ ورقم ٦٩٦٠ عن أبي ذر ﵁ ومسلم رقم ٢٧١١ عن البراء ﵁.

آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت»، وقال رسول الله ﷺ: «من قالهن ثم مات من ليلته مات على الفطرة»[1].

الذكر عند الاستيقاظ من النوم: «الحَمْدُ لله الذِي أحْيَانا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا[2] وإلَيْهِ النَشُور»[3].

دعاء لبس الثوب: «الحَمْدُ لله الذِي كَساني هذا[4] ورَزَقَنِيه، مِنْ غَيرْ حَوْلٍ مِنّي ولا قُوةٍ»[5].

دعاء لبس الثوب الجديد ـ عمامة أو قميصاً أو رداءاً: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوتَنِيه، أسْألك مِنْ خَيرِهِ وخَيْرَ ما صُنع لَهُ، وأعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّه وشَرَّ ما صُنِعَ لَهُ»[6].

الذكر عند الخروج من المنزل: «بسم الله، توكَّلْتُ على الله، لا حَوْلَ ولا قُوةَ إلا بالله»[7].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩٥٦ عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) أماتنا: أي موتة النوم.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٩٥٩ عن حذيفة رضي الله عنه ورقم ٦٩٦٠ عن أبي ذر رضي الله عنه ومسلم رقم ٢٧١١ عن البراء رضي الله عنه.

(٤) يعني الثوب.

(٥) حديث حسن، أخرجه أبو داود رقم ٤٠٢٣ و الحاكم رقم ١٨٧٠ وصححه.

(٦) أخرجه أحمد رقم ١١٢٦٦ والترمذي رقم ١٧٦٧ وقال: حسن غريب صحيح، وأبو داود رقم ٤٠٢٠، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٧) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٢٦ وأبو داود رقم ٥٠٩٥ والنسائي رقم ٩٩١٧ وابن حبان رقم ٨٢٢، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: أنه إذا خرج من بيته فقال:... فيقال له: حسبك قد كفيت وهديت ووقيت، وزاد الترمذي: وتنحى عنه الشيطان، وزاد أبو داود وابن حبان: فيلقى الشيطان شيطاناً آخر فيقول له: كيف لك برجل قد كفي وهدي ووقي.

«اللهُمَ إني أعُوذُ بِكَ أن أَضلَّ أوْ أُضَلَّ، أَوْ أزلَّ أو أُزلَّ، أوْ أظلِم أوْ أُظْلَم، أوْ أَجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»(١).

الذكر عند الدخول إلى المنزل: «اللهم إني أسألك خير المَوْلَج وخير المَخْرَج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا»، ثم ليسلم على أهله(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٣)

الدعاء قبل الطعام: قال رسول الله ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره»(٤).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٥٠٩٤ واللفظ له، وروى نحوه الترمذي رقم ٣٤٢٧ والنسائي رقم ٩٩١٤، وأحمد رقم ٢٦٧٤٧، والحاكم رقم ١٩٠٧، عن أم سلمة رضي الله عنها، وأن النبي ﷺ كان يقول ذلك إذا خرج من بيته، وفي بعض الروايات أنه كان يسمي الله، وفي بعضها يقول بعد التسمية توكلت على الله، وفي بعضها أنه كان يرفع طرفه إلى السماء إذا خرج ثم يقول...

(٢) حديث صحيح، وضعفه بعض العلماء، أخرجه أبو داود رقم،٥٠٩٦ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا ولج الرجل في بيته فليقل...

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٠١٨، عن جابر رضي الله عنه.

(٤) حديث صحيح، عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه أبو داود رقم ٣٧٦٧ والترمذي رقم ١٨٥٨ وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم وصححه رقم ٧٠٨٧.

«من أطعمه الله الطعام فليقل: (اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه)، ومن سقاه الله لبناً فليقل: (اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه)»(١).

الدعاء عند الفراغ من الطعام: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعاماً فقال: (الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة)؛ غفر له ما تقدم من ذنبه»(٢).

وكان النبي ﷺ إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه، غيرَ مكفِيٍّ ولا مودَّعٍ، ولا مُستغنىً عنه(٣) ربنا»(٤).

الدعاء لمن سقاه: «اللهُمَّ أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَني، وأسْقِ مَنْ سْقَاني»(٥).

دعاء دخول الخلاء أو الكنيف: «اللهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ والخبائِثِ»(٦).

دعاء الخروج من الخلاء: «غُفْرانَكَ»(٧).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٩٧٨، والترمذي رقم ٣٤٥٥ وحسنه، واللفظ له، وأبو داود رقم ٣٧٣٠، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح، عن معاذ بن أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو داود رقم ٤٠٢٣، والترمذي رقم ٣٤٥٤ وقال: حديث حسن، والحاكم رقم ١٨٧٠ وقال: صحيح على شرط البخاري.

(٣) «غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه»: أي أن الطعام لا تنقطع حاجتنا منه فلا كفاية لنا بما أكلنا منه ولا نودعه ولا نتركه، ولا نستغني عن فضل الله أن يرزقنا هذا الطعام مرة بعد مرة.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥١٤٢، عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٠٥٥ عن المقداد من حديث طويل.

(٦) أخرجه البخاري رقم ٥٩٦٣ ومسلم رقم ٣٧٥، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. ومعنى الخبُث: ذكور الشياطين، والخبائث إناثها، وقُرِئت الخبْث بالسكون: بمعنى النجاسات والقاذورات.

(٧) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٢٥٢٦١ والترمذي رقم ٧ وقال: حسن غريب، وأبو داود رقم ٣٠ والنسائي رقم ٩٩٠٧ وابن حبان رقم ١٤٤٤ عن عائشة رضي الله عنها.

دعاء العطاس: «إذا عطس أحدكم فليقل: (الحمد لله)، وليقل له أخوهُ أو صاحبهُ: (يرحمك الله)، فإذا قال لهُ: (يرحمك الله)، فليقل: (يهديكم الله ويصلح بالكم)»[(١)].

ما يقالُ للكافر إذا عطس فحمد الله: «يهديكم الله ويصلح بالكم»[(٢)].

كفارة المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[(٣)].

الدعاء لمن صنع لك معروفاً: «جَزَاكَ الله خيراً»[(٤)].

دعاء الركوب: «بسم الله، الحمد لله، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤][(٥)] الحمد لله، الحمد لله، الحمد

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٨٧٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٤٠٠ وأبو داود رقم ٥٠٣٨ والترمذي رقم ٢٧٣٩، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ يرجون أن يقول لهم: يرحمكم الله، فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي ٣٤٣٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه وأن من قال ذلك غفر له ما كان في مجلسه ذلك، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح، وأخرجه نحوه أبو داود رقم ٤٨٥٧ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وأخرج نحوه النسائي رقم ١٠٢٥٧ والحاكم رقم ١٩٧٠ عن جبير بن مطعم رضي الله عنه وصححه.

(٤) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٢٠٣٥ والنسائي رقم ١٠٠٠٨ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه وفيه أن من قال ذلك لمن صنع له معروفاً فقد أبلغ في الثناء.

(٥) والآيات من سورة الزخرف قد شرعت لنا هذا القول عند الركوب: ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ * لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢-١٤].

لله، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، سبحانك اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»(١).

دعاء صلاة الاستخارة: قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمُنا السورة من القرآن، يقول: «إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدِرُ ولا أقدِرُ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: عاجل أمري وآجله ـ فاقدره لي ويسره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال: في عاجل أمري وآجله ـ فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقْدُرْ لي الخير حيث كان، ثم أرضني به، قال: ويسمي حاجته»(٢).

دعاء القلق والفزع في النوم ومن بُلي بالوحشة: «أعوذ بكلمات الله التَّامَّة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأنْ يحضرون»(٣).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٤٦ وقال: حسن صحيح، وأبو داود رقم ٢٦٠٢، عن علي رضي الله عنه، وفي رواية الترمذي يقول: بسم الله ثلاثاً.

(٢) أخرجه البخاري رقم ١١٠٩.

(٣) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٥٢٨ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إذا فزع أحدكم في النوم فليقل... فإنها لن تضره» قال: وكان عبد الله ابن عمرو يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه. قال الترمذي: حسن غريب، وأخرجه أبو داود رقم ٣٨٩٣ بنحوه، والنسائي رقم ١٠٦٠١ من غير أن يذكر فعل عبد الله بن عمرو، وأخرجه أحمد رقم ٢٣٨٩٠ عن الوليد بن الوليد، وفيه: أنه قاله لمن يشتكي وحشة أن يقوله إذا أخذ مضجعه.

دعاء لمن ابتلي بالهَمِّ والحَزَن أو الكسل أو الدين: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل والبخل والجبن، وضَلَع الدَّين[1] وغلبة الرجال»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحداً قط همٌّ ولا حَزَن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فِيَّ حكمك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحداً من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجاً» قال: فقيل يا رسول الله: ألا نتعلمها، فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها[3].

دعاء الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم»[4].

«اللهُ اللهُ ربي لا أشرك به شيئاً»[5].

---

(١) ضلع الدين: أي ثقله، وغلبة الرجال: قهرهم.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٠٠٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وليس فيه أنه كان يقول ذلك عند الهم والحزن وغيره، وإنما استنبط هذا من معناه، وأخرجه البخاري من حديث طويل رقم ٢٧٣٦ أنه كان يقوله في غزوة له كثيراً.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٣٧١٢، ابن حبان رقم ٩٧٢، والحاكم رقم ١٨٧٧، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٩٨٥ ومسلم رقم ٢٧٣٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ كان يقول ذلك عند الكرب. واللفظ لمسلم.

(٥) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ١٥٢٥ عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها علمها النبي ﷺ هذه الكلمات تقولهن عند الكرب، وروي عن غيرها.

دعاء من أصابه شك في الإيمان: «يستعيذ بالله»، وينتهي عما شك فيه[1]، ويقول: «آمنت بالله ورسله»[2].

الدعاء إذا رأى الهلال: «اللهم أهلِه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب ربنا وترضى، ربنا وربك الله»[3].

دعاء عند إفطار الصائم: «ذَهبَ الظَّمأُ، وابتلَّت العروقُ وثَبَتَ الأجرُ إنْ شاء الله»[4].

دعاء إذا أفطر عند أهل بيت: «أَفطَر عِنْدَكُم الصائِمونَ، وأكل طعامَكُمُ الأبْرارُ، وصلت عليكُمُ الملائِكَةُ»[5].

دعاء للمتزوج: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[6].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣١٠٢ ومسلم رقم ١٣٤ عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك؛ فليستعذ بالله، ولينته».

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٣٤.

(٣) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٥١ وقال حسن غريب، والحاكم رقم ٧٧٦٧ عن طلحة بن عبيد الله ﵁، وأخرجه ابن حبان رقم ٨٨٨ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأخرجه الدارمي عنه رقم ١٦٨٧ وزاد في بدايته: «**الله أكبر**».

(٤) حديث حسن، أخرجه أبي داود رقم ٢٣٥٧ والنسائي رقم ٣٣٢٩، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٥) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٢٤٢٩ وأبو داود رقم ٣٨٥٤ عن سعد بن عبادة ﵁، وأحمد رقم ١٢١٩٨ والنسائي رقم ٦٩٠١ عن أنس بن مالك ﵁، وابن حبان رقم ٥٢٩٦ عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٦) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٨٩٤٣ والترمذي رقم ١٠٩١ وقال: حسن صحيح، وأبو داود رقم ٢١٣٠ والنسائي رقم ١٠٠٨٩، عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ إذا رَفَّأَ الإنسان إذا تزوج قال:...

الدعاء قبل إتيان الزوجة: «بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا»(١).

دعاء من رأى صاحب بلاء: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً»(٢).

دعاء السفر: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٣-١٤]، اللهم إنا نسألُكَ في سفرنا هذا البرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وَعْثاءِ السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون»(٣).

دعاء المسافر للمقيم: «أستودعُكَ الله الذي لا تضيع ودائعه»(٤).

دعاء المقيم للمسافر: «أستودع الله دينك وأمانتك، وخواتيم عملك»(٥)،

---

(١) البخاري رقم ١٤١ ومسلم رقم ١٤٣٤، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن من قال ذلك فإن قضي بينهما ولد لم يضره الشيطان.

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٣١، عن عمر ﷺ، وقال الترمذي: غريب، وفي الحديث: أن من قال ذلك عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٣٤٢، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً وقال...

(٤) أخرجه أحمد رقم ٩٢١٩ وابن ماجه رقم ٢٨٢٥، عن أبي هريرة ﷺ، ولفظ ابن ماجه قال أبو هريرة: ودعني رسول الله ﷺ فقال:...

(٥) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٤٥٢٤ والترمذي رقم ٣٤٤٣ عن ابن عمر كان يقول للرجل إذا أراد سفراً: ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا، فيقول:... وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب، ونحوه أبو داود رقم ٢٦٠٠، =

«زوَّدك الله التقوى، وغفر ذْنبك، ويسَّر لك الخير حيث ما كنت»(١).

أذكار الصعود والنزول في السفر: قال جابر رضي الله عنه: «كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»(٣).

الدعاء إذا نزل منزلاً في سفر أو غيره: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»(٤).

دعاء دخول القرية أو البلدة: «اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها، وشر أهلها، وشر ما فيها»(٥).

= وأخرج أبو داود رقم ٢٦٠١ عن عبد الله الخطمي قال: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يستودع الجيش قال: أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم.

(١) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٤٤ عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ إني أريد سفراً فزودني، قال: زودك الله التقوى، قال: زدني، قال: وغفر ذنبك، قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال: ويسر لك الخير حيثما كنت. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٨٣١ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٧٠٣ ومسلم نحوه رقم ١٣٤٤.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٧٠٨ عن خولة بنت حكيم السلمية رضي الله عنها.

(٥) أخرجه النسائي رقم ٨٨٢٦ وابن حبان رقم ٢٧٠٩ =

عن ابن عمر قال: كنا نسافر مع رسول الله ﷺ فإذا رأى قرية يريد أن يدخلها قال: «اللهم بارك لنا فيها»، ثلاث مرات، «اللهم ارزقنا جناها، وحببنا إلى أهلها، وحبب صالحي أهلها إلينا»(١).

دعاء دخول السوق: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير»(٢).

ما يعوّذ به الأولاد: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين: «أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عينٍ لامَّة»(٣).

الدعاء للمريض في عيادته: «لا بأس طهور إن شاء الله»(٤)، «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك» سبع مرات(٥).

رقية المريض لنفسه ولغيره: «عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ

= والحاكم رقم ١٦٣٤ وصحح إسناده، عن صهيب رضي الله عنه.

(١) حديث حسن، أخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٤٧٥٥، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٤٢٨ وقال: غريب، والحاكم رقم ١٩٧٤ عن عمر رضي الله عنه، ولفظ الترمذي: أن رسول الله ﷺ قال: «من دخل السوق فقال:... كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة».

(٣) أخرجه البخاري رقم ٣١٩١ عن ابن عباس رضي الله عنهما. واللامَّة: أي ذات لمم، أي تصيب الإنسان بشيء يخرجه عن حالته الطبيعية.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٧٠٣٢، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٢١٣٧ والترمذي رقم ٢٠٨٣، وقال حسن غريب، وأبو داود رقم ٣١٠٦ وابن حبان رقم ٢٩٧٥ والحاكم رقم ١٢٦٨ وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من عبد مسلم يعود مريضاً لم يحضر أجله فيقول: سبع مرات... إلا عوفي».

كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها»(١).

و«كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوذات»(٢).

و«كان النبي ﷺ يعوذ بعضهم يمسحه بيمينه: أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً»(٣).

دعاء من أصيب بمصيبة: «إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرْني في مصيبتي، واخلف لي خيراً منها»(٤).

الدعاء للميت في الصلاة عليه: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه، واعف عنه، وأكرم نُزُله، ووسع مُدخلهُ، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة، قه فتنة القبر وعذاب النار)»(٥).

«اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأُنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفَّيْته منا فَتَوَفَّهُ على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٧٢٨.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢١٩٢ عن عائشة رضي الله عنها وقالت فيه: «فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت أنفث عليه، وأمسحه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي».

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٤١٨ ومسلم رقم ٢١٩١ عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٩١٨، عن أم سلمة رضي الله عنها، وفي الحديث أن من قال ذلك عند المصيبة إلا أجره الله في مصيبته وأخلف الله له خيراً منها.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٩٦٣، عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٦) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٨٧٩٥، أبو داود رقم ٣٢٠١، وابن ماجه رقم ١٤٩٨ واللفظ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«اللهم إنه عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا أنت، وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إن كان مُحسِناً فزد في إحسانه، وإن كان مُسيئاً فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»(١).

دعاء التعزية: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مُسمى، فلتصبر ولتحتسب»(٢).

دعاء زيارة القبور: «السلام عليكم أهل الديار، من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء بكم لاحقون، ويرحم الله المُستقدمين منا والمستأخرين، أسأل الله لنا ولكم العافية»(٣).

دعاء صياح الديك ونهيق الحمار: «إذا سمعتم صياح الديكة؛ فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت مَلَكاً، وإذا سمعتم نهيق الحمار؛ فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً»(٤).

ما يقول من أحس وجعاً في جسده: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»(٥).

---

(١) أخرجه مالك رقم ٥٣٥ عن أبي هريرة ﷺ. والحاكم نحوه رقم ١٣٢٨ وصححه، عن يزيد بن ركانة ﷺ، ومن رواية الحاكم قال بعد الجملة الأولى: «احتاج إلى رحمتك، وأنت غني عن عذابه».

(٢) أخرجه البخاري رقم ١٢٢٤ ومسلم رقم ٩٢٣ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما. وأما قول: «عظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك»، فلم ترد في السُّنة، وإنما هي مما استحسنه العلماء.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٩٧٥ عن بريدة ﷺ، ورقم ٩٧٤ عن عائشة رضي الله عنها، واللفظ المذكور من مجموع الروايتين، ففي كل واحدة منها عبارة ليست في الأخرى.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٣١٢٧ ومسلم رقم ٢٧٢٩ عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) أخرجه مسلم رقم ٢٢٠٢، عن عثمان بن أبي العاص الثقفي ﷺ.

دعاء من خشي أن يصيب شيئاً بعينه: «إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله ما يعجبهُ، فليبركه[1]، فإن العين حقٌّ»[2].

ما يقول عند التعجب والأمر السار: «سبحان الله»[3]، «الله أكبر»[4].

ما يقول عند الذبح أو النحر: «بسم الله، والله أكبر»[5].

كيف يرد السلام على الكافر إذا سلم: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم»[6].

ومن أدعية المناسبات ما نُدبنا أن ندعو به في الصباح والمساء، وهذه نماذج من أدعية وأذكار المأثورات في الصباح والمساء:

---

(١) أي فليدع له بالبركة.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٤/ ٤٤٧، وانظر بمعناه: ابن ماجه رقم ٣٥٠٩ والحاكم رقم ٥٧٤٢ عن سهل بن حنيف رضي الله عنه والحاكم رقم ٧٤٩٩ عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٣٢٨٤ ومسلم ٢٣٨٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٨٦٤ وفيه ما يفيد التسبيح عن أم سلمة رضي الله عنها، وما يفيد التكبير عن عمر رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم رقم ١٩٦٦ عن أنس رضي الله عنه، وروى مسلم رقم ١٩٦٧ عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم ضحى بكبش فقال: باسم الله، اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمة محمد.

(٦) أخرجه البخاري رقم ٥٩٠٣ ومسلم رقم ٢١٦٣، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

أذكار وأدعية مأثورة في الصباح والمساء

عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ حين **يصبح** **عشراً** وحين **يمسي عشراً** أدركته شفاعتي يوم القيامة»(١).

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين **يصبح** وحين **يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة** لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثلما قال أو زاد عليه»(٢).

وقد ورد الحث على قراءة **آية الكرسي** صباحاً ومساءاً(٣) وأن من قرأها **غدوة** أجير من الجن حتى يمسي، وإذا قرأها حين **يمسي** أُجِيْرَ منهم حتى يصبح(٤).

عن عبدالله بن خبيب ﷺ قال: خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ليصلي لنا فأدركناه فقال: «قل: فلم أقل شيئاً ثم قال: قل فلم أقل شيئاً، ثم قال: قل فقلت يا رسول الله وما أقول؟ قال: «**قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات** تكفيك من كل شيء»(٥).

---

(١) حديث حسن، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٠: أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٦٩٢ والترمذي رقم ٣٤٦٩ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٣) حديث حسن، أخرجه النسائي في السنن الكبرى رقم ٨٠١٧ عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) حديث حسن، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير رقم ٥٤١ والحاكم في المستدرك رقم ٢٠٦٤ وقال: صحيح الإسناد، روياه عن أبيّ بن كعب ﷺ.

(٥) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٢٢٧١٦ وأبو داود رقم ٥٠٨٢ والنسائي رقم ٧٨٦٠، وروى نحوه الترمذي رقم ٣٥٧٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

عن عثمان بن عفان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في **صباح** كل يوم **ومساء** كل ليلة: **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات** فيضره شيء»(١).

عن عبدالله بن غنام البياضي الصحابي ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: من قال حين **يصبح**: «**اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر**» فقد أدى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين **يمسي** فقد أدى شكر ليلته(٢).

عن عبدالرحمن بن أبزى عن أبيه رضي الله عنهما أن النبي ﷺ يقول إذا **أصبح** وإذا **أمسى**: «**أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد** ﷺ **وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين**»(٣).

عن عبدالله بن مسعود ﵁ قال: كان النبي ﷺ إذا **أمسى** قال: «**أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له**» قال فيهن: «**له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ربي أسالك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من**

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٤٤٦ وأبو داود رقم ٥٠٨٨ والترمذي رقم ٣٣٨٨ وقال: حديث حسن صحيح والنسائي رقم ١٠١٧٨ والحاكم رقم ١٨٩٥ وصححه، ونحوهم ابن حبان رقم ٨٥٢، وأخرجه بعضهم بلفظ: لم تفجأه فاجئة بلاء.

(٢) حديث حسن، أخرجه أبو داود رقم ٥٠٧٣ عن ابن غنام ﵁، والنسائي رقم ٩٨٣٥ دون الجملة الأخيرة، وأخرجه ابن حبان رقم ٨٦١ عن ابن عباس رضي الله عنهما دون الجملة الأخيرة أيضاً.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٥٤٠٠ وأخرجه رقم ٢١١٨٢ عن أبي بن كعب ﵁ نحوه، وأخرجه النسائي رقم ١٠١٧٥ عن ابن أبزى ولم يذكر: إذا أمسى.

الكسل والهرم وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر» وإذا **أصبح** قال ذلك أيضاً: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**»(١).

عن عبدالرحمن بن أبي بكرة أنه قال لأبيه: يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة «**اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت**» تعيدها **ثلاثاً** حين **تصبح** وثلاثاً حين **تمسي**.

وتقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت**» تعيدها حين **تصبح ثلاثاً وثلاثاً** حين **تمسي**، قال: نعم يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يدعو بهن، فأحب أن أستن بسنته»(٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من قال حين **يمسي: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) ثلاث** مرات؛ لم تضره حية»(٣).

عن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ يَقُولُ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ يَدَعُ هَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ حِينَ **يُصْبِحُ** وَحِينَ **يُمْسِي**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِى دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي،

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٢٣.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد ٥/ ٤٢ وهذا لفظه، وأبو داود رقم ٥٠٩٠ والنسائي رقم ١٠٤٠٧ والبخاري في الأدب المفرد رقم ٧٠١.

(٣) حديث صحيح، أخرجه ابن حبان رقم ١٠٢٢ وهذا لفظه، ونحوه أحمد ٣/ ٤٤٨، وروى مسلم نحوه رقم ٢٧٠٩ من غير أن يقول: حين يمسي، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ٥٢٣ وفي الكبير ١٩/ ١٢٤، وفيه أن يقولها صباحاً، ولفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين **يصبح** وحين **يمسي** أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره شيء».

وَآمِنْ رَوْعَاتي[1]، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ[2] مِنْ تَحْتِي»[3].

عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: **(اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت)** قال: ومن قالها **من النهار** موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها **من الليل** وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة»[4].

---

(١) روعاتي: أي ما يخيفني.

(٢) أي أن أهلك بالخسف ونحوه.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٤٧٨٥ وهذا لفظه، وأبو داود رقم ٥٠٧٤ وابن حبان رقم ٩٦١ والحاكم رقم ١٩٠٢ وصحح إسناده.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٩٤٧، وفي رواية أخرى عند البخاري رقم ٥٩٦٤ قال: «إذا قال حين **يمسي** فمات دخل الجنة، وإذا قال حين **يصبح** فمات من يومه فمثله».

المبحث الحادي عشر

التفكر

التفكر عمل عقلي وقلبي وليس من أعمال الجوارح، لكنه يرافقه عمل من أعمال الجوارح كالإنصات وتخصيص وقت للتفكر، أو التشاور مع الآخرين، أو كزيارة المرضى والمقابر، وقد ذكرنا في المنهج الفكري والعقلي أهم ما ينبغي أن يتفكر فيه الإنسان ليصل إلى الحقائق الكبرى والعقائد الثابتة، ولكن للتفكر مجالات أخرى نافعة، وتلك الحقائق وهذه المجالات لا يكفي أن يفكر بها الإنسان ليصل إلى معرفتها، بل لا بد أن يتفكر فيها بعد معرفتها، ليتذكرها، ويستفيد عبرتها، ولتعطيه همة على طاعة الله، ولتنفره من معصيته.

وإذا كان الإنسان يتفكر لدنياه ومصالحه ولذاته القريبة الفانية، فالآخرة الدائمة العظيمة أولى بالتفكير في مصالحها ولذاتها وشهواتها كيف ننالها، والتفكير في إصلاح النفس ونصرة الدين الذي يوصل إلى نعيم الآخرة ومصالحها أولى بالتفكير من مصالح الدنيا.

ـ كثير من الناس تأخذهم الغفلة وتملكهم عاداتهم ونظام حياتهم اليومي المتكرر، فلا يتفكرون في غير دنياهم وأموالهم وشهواتهم.

لا يتفكرون في نعمة إيجاد خالقهم لهم ولا في مقصد وجودهم ولا في مآلِهم الذي يسيرون إليه.

ولا يتفكرون في حالهم وأعمالهم، هل هم يعيشون كالأنعام يأكلون ويشربون ويُخرِجون وينامون بلا فائدة، هل أعمالهم تنفعهم في الدنيا وتضرهم في الآخرة، أم إنها تنفعهم في الآخرة أكثر؟

لا يتفكرون باحتمال انتقالهم بالموت إلى القبر والدار الآخرة في أي لحظة.

ولا يتفكرون كيف يغيِّرون أنفسهم وأحوالهم، وكيف يرتقون بأنفسهم، ألا يمكن أن يكونوا على حال أحسن مما هم عليه.

إن نسيان التفكير يبقي الإنسان في لهوٍ وغفلة، حتى يعاجله الموت والحساب، فلا يستطيع أن يستدرك ما فات، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

وقد أعطانا الله تعالى من العمر فسحة لنتذكر ونعرف ما المطلوب منا، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، ألم تعيشوا زماناً يكفيكم لتتذكروا إن كنتم تريدون التذكر، ولم يكتف بذلك، بل أرسل الرسل لينبهوكم إلى ذلك، ومع ذلك لم تخرجوا من غفلتكم، فليس لكم فرصة أخرى، بل لكم العذاب، ولا يستطيع أحد أن يدافع عنكم.

ـ والمسلم كلما زاد تفكره؛ كان ذلك أدعى إلى قربه من الله واستقامته، فبالتفكر يتذكر اللهَ وصفاته وعظمته وآخرته، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، فتفكرهم عرفهم بصفات الله وعظمته، وذكَّرهم بمآلهم، فكانوا أعظم تنزيهاً لله وذكراً وعملاً وإعداداً للآخرة وتوقياً للعذاب.

وأنت تجد في كتاب الله ذكرٌ لصفات الله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ

تَنكِيلًا ﴾ [النساء: ٨٤]، يعرفنا الله سبحانه ويذكرنا بنفسه من خلال هذه الآيات وغيرها، وإذا نظرت في الآيات التي ذكرت فيها هذه الأسماء الحسنى؛ وجدت فيها ما يدلك على أفعال الله وآثار صفاته مما له ارتباط بهذه الأسماء التي ختمت بها الآيات.

هذا التفكر له أثره في صلاح الإنسان فيدله على الوجهة الصحيحة، التي تعرِّفه بمعبوده، وتعرفه بالقِيَم الحقيقية في الحياة، وما الذي ينبغي أن يفعله في حياته، وما مآله ونتيجته، فيبني حياته على ما يحقق مصلحته في الآخرة.

ـ يتفكر الإنسان من خلال النظر في الكون في نعم الله وآلائه ومخلوقاته من جبال ورياح وأشجار وزروع وأنهار وليل ونهار وشمس وقمر وغيرها، ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢١] ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨].

ـ ويتفكر في كتاب الله وآياته، فهي التي تدلنا على الآيات التي في أنفسنا وفي الكون، فتقرب علينا الأمر وتختصر علينا طريق التفكر، قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وهذه الآيات الكونية تدلنا على قدرة الله وتزيد إيماننا بإمكانية مجيء اليوم الآخر: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ـ والقصص القرآني والنبوي وغيره والتاريخ موضع عبرة وتفكر للمسلم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

ـ ويتفكر الإنسان في آخرته وما أعد لها، يتفكر ماذا أمامه، ويتخيل ماذا سيكون من موت وما بعده، فيتذكر القبر والسؤال والنفخ في الصور والحشر ونشر الصحف والحساب والجنة والنار وغير ذلك، يتفكر أن لو أصلح كيف يكون إكرامه، ويتفكر أن لو أساء كيف تكون إهانته[1].

وهذا التفكر في الآخرة من أعظم ما يعطي الإخلاص قال تعالى في حق بعض أنبيائه: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص: ٤٦]، وتذكر الدار الآخرة يعطي الإخلاص لأن الإنسان حينما يتذكر الآخرة يعلم أنه لا ثواب ولا عقاب إلا بيد الله، فإليه المرجع والمآل، فإن عمل لله فبيده الثواب وإن عصاه فبيده العقاب، وإن عمل لغيره لم يملك هذا الغير أن يثيبه، وإن عصى غيره لم يملك هذا الغير أن يعاقبه، فلا فائدة إلا بأن يكون عمل الإنسان ونظره لله، وهذا هو الإخلاص لله، وما دام إرضاء الله هو الذي ينفعنا حقيقة فهذا يدفع المسلم إلى الاستقامة، يدفعه إلى أن يحرص على أن يرضي الله، لا أن يرضي سواه، ويحجزه عن شهواته لأنها تجعله في خطر عند ربه، ومن هاهنا نجد النبي ﷺ أيضاً حثنا على ذكر الموت بقوله: «أكثروا ذكر هاذم اللذات؛ الموت»[2]، فذكر الموت وتوقع وقوعه في كل وقت يجعل الإنسان على أهبة الاستعداد دائماً.

ـ ومما يتفكر فيه المؤمن: أعماله، فيحاسب نفسه وينظر إلى أين تؤديه أعماله.

إن **محاسبة النفس** ومراجعة الإنسان أحواله وأعماله وأقواله ومدى تحقيقه

---

(١) وما ذكرته في المنهج العقلي والفكري عن الآخرة والإعداد لها، وما بعد الحياة وأوصاف الجنة والنار؛ نموذج لما ينبغي أن نتفكر فيه من شأن الآخرة.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٧٩١٢ والترمذي رقم ٢٣٠٧ وابن حبان رقم ٢٩٩٢ والحاكم رقم ٧٩٠٩ عن أبي هريرة ﵁.

لأهدافه؛ من أعظم ما يحرك الإنسان إلى إصلاح حاله وتزكية نفسه، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

فقوله تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أمر من الله للإنسان أن يفكر في أعماله وما الذي يصلح منها للقاء الله، ويُقَدِّرَها هل هي صالحة أم طالحة، وقوله ﴿لِغَدٍ﴾ أي للآخرة وسماه كذلك تنبيهاً إلى قربه فكأنما هو كالغد في قربه وسرعة مجيئه، وتكرار الأمر بالتقوى قبل هذه العبارة وبعدها دليل على أن محاسبة النفس والنظر فيها أعد الإنسان يزيد تقواه، فإذا كان اتقى الله في رتبة ما من التقوى قبل محاسبته لنفسه، فإن رتبة التقوى تزيد بعد المحاسبة، فعليه أن يتقي الله في رتبته الجديدة التي حصلت بالمحاسبة.

إن الإنسان إذا نظر إلى ما قدَّمه من أعمال من الخير والشر؛ يزداد لديه الخوف من الله والهمة والرغبة في اتقاء العذاب والجحيم، فكانت المحاسبة سبباً في تزكية الإنسان نفسه وتطهيرها مما يوردها العذاب، وسبباً في إصلاحها لتنال رضوان الله وسبباً في تذكيرها بالحال الأرقى الذي يجب أن يكون عليه.

وتكرار المحاسبة يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة؛ قد يكون أكثر أثراً في تزكية النفس من الصيام والقيام، بل يكون هو الدافعَ إلى القيام والصيام وعمل الخير، وهو الحاملَ على الثبات عليها.

ـ وقد شرع الله تعالى لنا زيارة القبور وعيادة المرضى لتكون سبباً في التفكر والاعتبار:

ـ **زيارة المقابر وأهلها**: جعل الله تعالى الموت والمقابر تذكرة للناس، تذكرهم بالموت والرحيل، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾

[التكاثر: ١-٢]، فزيارة المقابر تُخرِج الإنسان من اللهو والاستكثار من الدنيا، والدنيا هي أعظم أسباب الغفلة عن الله وعن تزكية النفس.

وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى أيضاً بقوله: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»(١)، «فإنها تذكركم بالآخرة»(٢)، وقد كان النبي ﷺ يزور القبور والمقابر، ويحدث أهلها كأنهم يسمعون(٣)، ويعظ أصحابه، وكان يزور البقيع وشهداء أُحد أحياناً في آخر الليل، وذلك أبلغ في العظة.

وقد حث النبي ﷺ على اتباع الجنائز، وبين أن فيها من الأجر قيراطان، والقيراط مِثْل جَبلِ أُحِد.

ويجوز زيارة النساء للمقابر على رأي جمهور الفقهاء، لكن عليهن وعلى كل مسلم أن يتجنبوا النياحة ولطم الوجوه وشق الجيوب ونحو ذلك مما فيه اعتراضٌ على الله ومخالفةٌ لرسول الله ﷺ.

ـ **زيارة المريض**: سنَّ لنا النبي ﷺ زيارة المريض، وجعلها من حق المسلم على المسلم، وهي من وسائل تزكية النفس لما فيها من تذكير، فإن المريض يكون أقرب إلى الله وحاله يذكر بالله، إذ يستشعر معنى الموت والبلاء والضعف الذي يعيده إلى ربه، ويذكره بهوان الدنيا، فيتجدد عنده الإيمان بإذن الله، وهذا معنى ما ورد في حديث النبي ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم: مرضت

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٩٧٧ عن بريدة رضي الله عنه.

(٢) زيادة صحيحة، أخرجها أحمد رقم ١٢٣٥ عن علي رضي الله عنه، والحاكم في المستدرك رقم ١٣٨٦ و١٣٨٧ و ١٣٨٨ عن أنس بن مالك رضي الله عنه وابن مسعود وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم، بلفظ الآخرة، وبلفظ: الموت بدل الآخرة، وبلفظ «فإن فيها عبرة».

(٣) كما يدل عليه صيغة سلامه لهم، وكما روي في حديثه ووداعه لشهداء أُحد والبقيع قبل موته وغير ذلك.

فلم تعدني، قال: يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض، فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده»(١).

فزيارة المريض تذكِّر بالله، فيحس العبد وكأنه مع الله، وذلك من أسباب تزكية النفس المهمة، كما تذكر بالموت والآخرة، قال ﷺ: «عودوا المريض، واتبعوا الجنائز؛ تذكركم الآخرة»(٢).

ـ ومن واجب علماء المسلمين وقادتهم وسائر أفرادهم أن يتفكروا ويتشاوروا بشأن الأمة والبشرية، وكيف يمكن أن يحققوا لها السعادة الحقيقية من خلال إقامة حكم الله وشريعته، وكيف يمكن أن نسير نحو هذا الهدف، الذي كان من أعظم مقاصد رسول الله ﷺ، فكان يشغل باله ويُحزِنه بقاءُ الناس على الباطل، قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]، ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾ [فاطر: ٨]، وهذا راجع إلى شدة رحمته ﷺ، التي جعلت هذا الأمر همّاً من همومه، يكثر التفكير فيه، ويحزن لأجله، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فمن أراد أن يكون وارثاً للنبي ﷺ فليتشبه به في هذا الحال.

ـ فعلى المسلم أن يجعل لنفسه دقائق في كل يوم يتفكر فيها في هذه المعاني، حتى لا ينسى نفسه في غمرة الحياة وأعمالها، وإذا به كالآلة يستيقظ ويأكل ويذهب إلى عمله الدنيوي ثم يرجع ليأكل ويجالس الناس ويسمع التلفاز، وهكذا لا يدري حقق المقصد الذي خُلِق له أم لا، وهل يزداد صلاحاً وتزكية

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ٢٥٦٩ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم ٥١٨ وابن حبان رقم ٢٩٥٥ عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

أم لا، وهل يستطيع أن يغتنم وقته أكثر أم لا، وهل يستطيع أن يكون عوناً للمجتمع من حوله ليزداد صلاحاً أم لا.

فالتفكر هو الذي يخرج الإنسان من حالة الاستقرار التي هو فيها، التي قد تكون على غير هدى، أو يكون غيرها أنفع له منها وأقرب إلى ربه، وأزكى في حاله.

ـ ومما سبق يتبين لنا أن التفكر الذي يثمر مزيداً من الطاعة والقرب يكون في عدد من الأمور، أهمها:

١. أن يتفكر في وجوده وما هو المقصد من وجوده.

٢. أن يتفكر في حاله وأعماله ومدى تحقيقه للمقصد.

٣. أن يتفكر في آيات الله في نفسه والكون والآثار الدالة على وجود الله وصفاته.

٤. أن يتفكر في آخرته ومآله، وكم أعد لها.

٥. أن يتفكر فيما عمل فيحاسب نفسه.

٦. أن يتفكر في حال أمته، وكيف يمكن النهوض بها، ويتفكر في حال البشرية وكيف يمكن هدايتها.

والفرائض والنوافل التي يتقرب بها العبد إلى الله غير ذلك كثير يتعرف عليها المسلم من خلال كتب الفقه، لكن إنما أردنا ذكر أهمها، والتنبيه إلى أثرها في تزكية النفس، وقد ذكرنا جملة من الأوامر في بداية هذا الكتاب.

أعمال العبادات ترتيبها العملي من الكتاب والسنة

العمل	الوقت
المحافظة على الوضوء	دائماً
صلاة الفجر في جماعة مع الخشوع	بعد أذان الفجر
الجلوس في المسجد بعد صلاة الجماعة إلى ما بعد طلوع الشمس ثم صلاة ركعتين	بعد صلاة الفجر إلى ما بعد طلوع الشمس بقليل
قراءة من القرآن مع التدبر	بعد صلاة الفجر إلى ما قبل طلوع الشمس بقليل
التسبيح: سبحان الله وبحمده مائة مرة	لمدة خمس دقائق قبل طلوع الشمس
أذكار الصباح المأثورة	لمدة خمس دقائق قبل طلوع الشمس
الاستغفار، والصلاة على النبي ﷺ، والتهليل مائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير	من طلوع الشمس إلى ثلث ساعة
صلاة الضحى	بُعيد طلوع الشمس إلى قبيل الظهر
الإكثار من الذكر والمداومة عليه	خلال النهار والليل ما لم يكن مشغولاً
أداء الجمعة والصلوات المفروضة في أول وقتها جماعة في المسجد	المداومة على ذلك دائماً
الحرص على السنن الرواتب	قبل الفرائض وبعدها
التسبيحات ٣٣ والتحميدات ٣٣ والتكبيرات ٣٣ مع التهليل مرة	عقب الصلوات المفروضة
الحرص على أذكار وأدعية المناسبات	كل واحدة عند مناسبتها

العمل	الوقت
الحرص على الأخلاق والاداب الطيبة والمعاملات الشرعية	دائماً
الصيام مع الاعتدال في الطعام	يوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر
الصدقة والأقربون المحتاجون أولى بها	حينما يجد محتاجاً فقيراً أو حاجة في دعوة إلى الله أو تعليم الخير أو الجهاد في سبيل الله
طلب العلم الشرعي	في الأوقات التي يتيسر له الدوام فيها عند العلماء
زيارة أخ في الله أو زيارة مريض	حيثما أمكن
التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الحكمة	عند لزومه والقدرة عليه
أن يقوم بأعماله الدنيوية ليؤدي حق النفقة التي أوجب الله عليه لنفسه ولأهله مع الإتقان والمراقبة لله	بقدر حاجته وبما لا يضيع آخرته
حضور مجالس الصالحين في المواعظ والذكر	يوماً في الأسبوع على الأقل
ترك الشرك والسيئات والمعاصي وخاصة معاصي اللسان والمال والنظر	دائماً
الاستغفار	عند كل ذنب وبعده مباشرة
أداء الحج والعمرة والزكاة وصيام رمضان	الفريضة من ذلك مع الحرص على النافلة إن تيسرت
زيارة مقبرة	حيثما تيسر ولو مرة في الأسبوع في الليل أو النهار

العمل	الوقت
زيارة مريض أو تفقد المرضى في المستشفى والاعتبار بأحوالهم وضعفهم	كلما مرض أخ لك وكنت مستطيعاً زيارته
تخصيص وقت للذكر مع الخلوة	نحو نصف ساعة في أي وقت، مع المداومة عليه يومياً، كأن يكون بعد صلاة العصر إلى المغرب أو في الليل
التسبيح بحمد الله	قبل الغروب بعشر دقائق أوبنصف ساعة
أذكار المساء المأثورة	قبل أذان المغرب بعشر دقائق
قراءة نصف جزء	بعد صلاة المغرب
الاستغفار والصلاة على النبي والتهليل مائة مرة	إلى صلاة العشاء
ترك السهر والسمر إلا لضرورة وفي شيء نافع والبعد عن اللهو واللغو والبرامج التلفزيونية الملهية والشهوانية والماجنة	بعد العشاء
النوم مبكراً أو قيام الليل	بعد صلاة العشاء
تذكر الموت والدار الآخرة وحاسب نفسك ماذا أعددت للقاء الله	في أول النهار وقبل النوم ـ مثلاً.
قيام الليل بالصلاة و التفكر والتسبيح والذكر والاستغفار، مع الخشوع والتدبر	حيثما تيسر من الليل
الدعاء لنفسك ولإخوانك وللمسلمين جميعاً	في آخر الليل وفي السجود وبعد الصلوات الفرائض وعند الحاجة والنوازل وبعد عصر الجمعة...
الاستغفار والتوبة مع التذلل والافتقار والندم	قبل أذان االفجر الثاني

الفصل الثاني

تزكية النفس من المنكرات والمعاصي الكبيرة والصغيرة

وفيه مقدمة وثلاثة عشر مبحثاً:

- **المبحث الأول**: الإشراك بالله.
- **المبحث الثاني**: القتل.
- **المبحث الثالث**: الحِرابة.
- **المبحث الرابع**: عقوق الوالدين.
- **المبحث الخامس**: السحر.
- **المبحث السادس**: الخمر والمسكرات والمخدِّرات.
- **المبحث السابع**: التولي يوم الزحف.
- **المبحث الثامن**: الزنا والنظر إلى ما حرم الله وشهوات الفرج.
- **المبحث التاسع**: ذنوب اللسان.
- **المبحث العاشر**: المال الحرام.
- **المبحث الحادي عشر**: السماع المحرم والغناء الفاحش.
- **المبحث الثاني عشر**: البدع.
- **المبحث الثالث عشر**: المجاهرة بالذنوب وإظهارها.

مقدمة الفصل

١. خطورة الذنوب ووجوب الحذر منها

إن من أعظم أسباب التزكية: ترك المعاصي، ذلك أن وجود أي معصية عند الإنسان يحول بينه وبين الصفاء والنقاء والتزكية، ويجعله مقيداً، قال تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١]، فالخطيئة قد تحيط بالإنسان وتقيده وتقيد حاله وتأسره على حالة غير مرضية.

والمعصية تفتح للشيطان سبيلاً للإفساد والإضلال، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، فبعض المعاصي التي يكسبها الإنسان تكون سبباً في مزيد من الزلل والعصيان وسوء الحال، ويسلط الله الشيطان بسببها على العاصي، فيجد الشيطان طريقاً إلى مزيد من الإغواء والإفساد.

ويقول الله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [النساء: ٦٢]، فما يقدم الإنسان من الذنوب سبب في المصائب، ومن أعظم المصائب أن يُترك الإنسان ليقع في الذنوب فلا يُحفظ منها.

ومن سلك طريق الزيغ والانحراف والمعصية تركه الله لنفسه وزيغه فازداد زيغاً وعصياناً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف: ٥]، فالسيئة والمعصية تجر إلى مزيد من المعاصي والسيئات، لأنها تحرف قلب العاصي عن الحق، فيَستسهل المعصية، وتَضعُف همته ومجاهدته وصبره عن المعاصي.

وعلى المسلم أن لا يستسهل المعصية ولو كانت صغيرة، ولا يستخف بها، فإن ذلك تجرؤ على مخالفة الله، وهذا التجرؤ يقود الإنسان إلى مزيد من

المخالفة، إذ إن المعصية تجعل الإنسان في محل غضب الله وسخطه وإبعاده، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فذلك يجعله أكثر تهاوناً بالمعصية وأبعد عن الطاعة.

بل قد تهلك المعصية صاحبها وتكون سبباً في فتنته عن دينه، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ـ إن المسلم حينما يرتكب معصية صغيرة أو كبيرة فإنه إما أن يكون مستهيناً بحكم الله، غير معترف به، وذلك من الكفر بالله، وقد حذر الله من التجرؤ على أحكامه والكذب فيها، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۞ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

وإما أن يكون غافلاً قد غيَّب الحقائق الإيمانية عندما رضي بالمعصية وعَمِلَها، وقد نبه النبي ﷺ على ذلك فقال: «لاَ يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَقْتُلُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ»(١)، وليس مقصود الحديث نفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة، فهناك أدلة كثيرة تدل على أن المسلم يبقى مؤمناً رغم معصيته، ولكن المقصود أن المعصية لا تقع من الإنسان إلا في حالة ضعف الإيمان أو غيابه، ودليل ذلك قوله في الحديث: «حين يزني» «حين يسرق»، فلم ينف عنه الإيمان جملة، وإنما

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٤٢٤ ومسلم رقم ٥٧، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وزاد في روايات عندهما: «والتوبة معروضة بعد».

نفاه في لحظات المعصية، وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذا الحديث ما يدل على أن معناه غياب الإيمان أو الغياب عن حقائق الإيمان حالة المعصية فقد قال عِكْرِمَةُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ؟ قَالَ هَكَذَا ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا ـ فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[1]، وبيان ذلك أن العاصي لو تَذَكَّر بعضَ عقائدِه كاعتقاده بأن الله موجود وأنه سميع وبصير، واستحضر ذلك وكان يقيناً عنده؛ لو تذكر ذلك لما عصى، ولاستحيا من الله وتأدب بين يديه، فلَمّا غَفِلَ عن الله أو عن هذه الحقائق أو لم تكن عنده يقيناً لضعفٍ في إيمانه؛ وقع في المعصية.

ـ وقد حذرنا الله من أن يستدرجنا الشيطان من الصغائر إلى الكبائر، فإذا استطاع الشيطان أن يغلبنا في الصغائر فقد أفسد في قلوبنا، وإذا أفسد قلوبنا استطاع أن يفسد أكثر، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢١].

والإنسان إذا وقع في معصية فقد لا يستطيع الخروج منها، فبابها صار مفتوحاً يخرجه عن الاستقامة، كما روى النواس بن سمعان الأنصاري ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سُوْران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب سُتورٌ مُرْخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً، ولا تَعْوَجُّوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك **لا تفتحه**

(١) ذكره البخاري بعد الحديث السابق. وروى البخاري تعليقاً في عنوان قبل حديث رقم ٦٣٩٠: «وقال ابن عباس: «ينزع منه نور الإيمان في الزنا».

فإنك إن تفتحه تلجه[1]، والصراط الإسلام، والسُّوْران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»[2].

لأجل ما ذكرنا كانت قضية ترك المعاصي ينبغي أن تُعطى اهتماماً كبيراً، فيحرص العبد على التخلي عن ذنوبه وعيوبه وفساد أخلاقه أكثر من حرصه على التحلي بالعمل الصالح والخلق الحسن، مع وجوب الحرص على الأمرين[3]، فالحرص على ترك المعصية والانشغال بذلك لا يبرر ترك الواجبات التي أوجبها الله.

ولو أن رجلاً لديه معصية صغيرة، فأيهما أفضل أن يحرص على ترك المعصية أم على قيام الليل؟ الأَوْلى والأوجب تركُ المعصية، وذلك أعظم بركة من قيامه الليل، على أنه إذا حرص على قيام الليل فإن قيامه يعينه على ترك المعصية بإذن الله.

ونجد أن النبي ﷺ شدد على ترك المعصية أكثر من تشديده على فعل الطاعات، حيث قال: «فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأْتوا منه ما استطعتم»[4]، فعلَّق فعل الأمر على الاستطاعة، ولم يعلق ترك النهي

---

(١) تلجه: أي تدخله.

(٢) حديث صحيح، روي عن النواس بن سمعان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، أخرجه أحمد ٤/ ١٨٢ وأخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٢٤٥ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، وروى نحوه النسائي رقم ١١٢٣٣ والترمذي رقم ٢٨٥٩، وقال: غريب.

(٣) وقد قرر الفقهاء والأصوليون قاعدة استنبطوها من كثير من النصوص، تؤكد ما ذكرنا، فقالوا: «ترك المفسدة أولى من جلب المصلحة».

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٦٨٥٨، ومسلم ١٣٣٧ عن أبي هريرة، =

على الاستطاعة، فالمفترض أن لا يكون المسلم على حالة لا يستطيع معها ترك معصيته.

ـ ووجود الذنب عند الإنسان يجعل منه ملوثاً، ومثل الإنسان في ذلك كمثل كأس امتلأ بالماء فلو وضعت فيه نقطة بول واحدة، أليست تنجسه، صحيح أن نجاسته ليست مثل نجاسة كأس امتلأ كله بالبول، لكنهما في النتيجة نجسان، ولا يمكن أن تطلق على أي منهما اسم الطهارة، والإنسان ما دام عنده عيب واحد أو ذنب واحد؛ فهو يحتاج إلى تزكية وتطهير، وذنبه يلوِّثُ حاله ويؤثر فيه ويعكر حاله، وقد يفسد أمره كله.

ـ وإذا ترك المسلم المعاصي وجد إقبالاً على الطاعة والعبادة، قال النبي ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس»[١]، فيفهم من هذا الحديث أنه إذا ابتعد الإنسان عن كل ما نهى الله عنه؛ سيكون أقرب إلى الله، وسيجد نفسه عابداً، بل سيكون أعبد الناس، أي أكثرهم عبادة، وسيجد إقبالاً تلقائياً على الله وعلى طاعته.

وقد فهم بعض السلف هذا المعنى فقالوا: (إذا أردت أن تقوم الليل وتصوم النهار فلم تستطع فانظر في ذنوبك؛ فإنما هي التي قيدتك).

= وبداية الحديث: «دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

(١) حديث حسن، أخرجه أحمد رقم ٨٠٨١ والترمذي رقم ٢٣٠٥ عن أبي هريرة ﵁ وتمام الحديث: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات، فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن، فقال أبو هريرة: فقلت أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمساً وقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب».

ـ قد تغرينا المعاصي في الدنيا لما فيها من لذات وشهوات، ولكن المعصية وإن كانت لذة في الدنيا فهي في حقيقتها عذاب في الآخرة وحرمان من الجنة، ولا سيما حينما تصل بالإنسان إلى حد التمرد على الله وأحكامه وحدوده، فعندها تستوجب الخلود في النار، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، والعذاب الخطير يجب أن يحذر الإنسان من كل ما يوصل إليه من كفر أو معصية، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

٢. الوقاية من المعاصي والذنوب

١. إذا علم المسلم ما ذكرناه آنفاً، فعِلمُ ذلك من أعظم ما يحجزه عن المعصية، لأنه يكون قد تصور التصور الصحيح عن المعصية، فينفر منها ويحذر منها ويُعرِض عنها، ويكفي أن يتذكر الإنسان أن لله عليه حقَّ الأمر والنهي والحكم، فيترك المعصية لأن الله نهاه عنها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٢. وحتى يكون المسلم بعيداً عن المعصية كل البعد، فقد حرم الله الوسائل المؤدية إلى المعاصي، فحرم الله الزنا، وحرم ما يمكن أن يؤدي إليه، كالنظر إلى النساء، والخلوة بهن، والكلام الفاتن منهن، وإظهار المفاتن بعدم الحجاب الشرعي.

وقد عدَّ بعض العلماء كل معصية يمكن أن تؤدي إلى الكبائر، عدُّوها من الكبائر بالنظر إلى مآلها ونتيجتها، ولا ينبغي للمسلم أن يقول هذه معصية من الصغائر، فيستهين فيها، وإنما ينظر إلى جلال الله الذي عصاه، ومن داوم على الصغيرة فقد تجَرّأ على أحكام الله، فتكون كبيرة من هذا الوجه، فليس من

شأن المؤمن أن يصرَّ على العصيان والتمرد على الله ولو في الصغائر، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٣. وقد شرع الله تعالى ما يعيننا على ترك المعصية، إذ ما حرّم شيئاً ـ في الغالب ـ إلا وقد أباح شيئاً من جنسه، يستغني به الإنسان عن الوقوع في الحرام، فمثلاً حرم الله الزنا، وأباح الزواج، حرم الخمر والخنزير وبعض الأطعمة والأشربة، وأباح لنا أصنافاً كثيرة، حرم علينا الربا، وأباح التجارة وأسباباً كثيرة للتملك الحلال، وهكذا.

فمن تطلَّع إلى الحرام وتَرَكَ الحلال؛ يكون محتاجاً إلى تزكية وتطهير نفسه من الخبث والسوء وتأثير الشيطان، وعليه أن يلجأ إلى الحلال لينصرف به عن الحرام، بعد أن يتصور التصور الصحيح عن المعصية وأثرها ونتائجها.

٤. وقد شرع الله تعالى من العقوبات في الدنيا ما يزجر عن إتيان الكبائر، ويطهِّر منها من وقع فيها، فكتب علينا إقامة الحدود في الزنا والسرقة والقذف والخمر ونحوها، وكتب علينا القصاص في القتل ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وفتح باب التعزير للتأديب ومنع انتشار المعاصي والفساد.

وهذه العقوبات إنما هي تزكية للمجتمع، وتربية لمن فعل ذلك وتطهير له، وزجر له أن يعود إلى مثلها، وتحذير وتخويف للمجتمع أن يفعل مثله فيعاقب بمثل عقابه.

والله تعالى هو أعلم بخلقه، يعلم أن منهم من لا يقف عند أمر الله ونهيه، فيحتاج إلى العقوبة والشدة حتى ينزجر، والله تعالى هو الأحكم فما شرعه هو الأصلح لعباده والأزكى.

وما دام هو المالك لهذا الكون وما فيه فهو الأحق بأن يحكم فيه بما شاء، فليس لأحد أن يعترض على أحكامه وعقوباته، ولا أن يناقش فيها، إلا أن يطلب التعرف على ما فيها من الحكمة.

وقد نبهنا الله تعالى إلى أن صاحب الحكم في العقوبات وغيرها هو الله، لأنه المالك للمخلوقات جميعاً، فقال: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩]، ثم قال بعدها: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٤٠].

إذا كان بعض الناس يلتفت إلى ما في قطع يد السارق من شدة، أفلا يلتفت إلى ما يصنعه السارق من خوف في المجتمع، وقطع يد واحدة أو أيد قليلة كافية لحفظ الأمن في المجتمع، فلا يخاف أحد على ماله ولا ممتلكاته، وما أجمله من مجتمع يسود فيه الأمن والاطمئنان، مجتمع طاهر يخلو من الجريمة.

ومجتمعات الكفر ـ اليوم ـ لم تستطع أن تلغي الجريمة من مجتمعاتها، بل زادت الجريمة فيها، والمفاسد المترتبة عليها أكبر بمئات المرات من المفسدة التي يرونها في قطع يد السارق، أو في إقامة أي حَدٍّ من الحدود.

فهذه العقوبات ما شرعها الله تعالى إلا رحمة لنا وللمجتمع أجمع.

٥. وقد أخبرنا الله تعالى ورسوله ﷺ بعقوبات الآخرة، وبالعقوبات الربانية التي تحل بالعاصي في الدنيا، تذكيراً لنا، ليحجزنا ذلك عن التجرؤ على المعاصي، إذا كانت في نفوسنا بقية من تهاون فيها.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]، وقال سبحانه: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ

أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [فصلت: ١٦]، وقال عز وجل: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة: ٢١]، نبهنا في هذه الآيات وغيرها إلى العذاب الذي يصيب العاصين في الدنيا، كما بين أن عذاب الآخرة أشد.

والعاقل لا يؤثر لذة فانية منقطعة صغيرة على لذة باقية دائمة كبيرة، والعاقل لا يأخذ لذة تستوجب له عقاباً كبيراً، عندما يكون ألم العقوبة أكبر من ألم ترك اللذة الدنيوية، قال تعالى: ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: ١٢٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٩].

إن معرفة العقوبات الربانية الدنيوية والأخروية للمعصية، ثم تَذَكُّرُها؛ يشكل حاجزاً وواقياً كبيراً من الاقتراب من المعاصي.

٦. تبدأ المعصية بالخاطر الذي يدعو النفس إليها، فإذا انتبه المسلم إلى هذا الخاطر ورفض ما يدعو إليه كان في حفظ ووقاية من المعصية، وإن استحسن ما يدعوه إليه أو لم يرفضه؛ دخل تزيين الشيطان للشهوة والمعصية في القلب فقاده بذلك إلى المعصية ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [النمل: ٢٤].

وقد نبَّهَنا النبيُّ ﷺ إلى أن طريق الحفظ من المعصية رد الخاطر الذي يدعو إليها فقال: «تُعرض الفتن [أي المعاصي والسوء والباطل والكفر] على القلوب عوداً عوداً كالحصير [أي مرة بعد مرة]، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء [أي تقبَّلَها ولم ينكرها، فتدخل الظلمة في القلب بذلك قبل أن يفعل المعصية]، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء»(١).

وبهذا نفهم قول النبي ﷺ في تغيير المنكر، أن من لم يستطع تغييره بلسان

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ١٤٤.

ويده فليغيره بقلبه، فالحديث يدل على أن المنكر يتغير بالقلب، والظاهر المشاهد أن المنكر لا يتغير إلا باللسان أو اليد.

إن تغيير المنكَر بالقلب تغيير بالنسبة للمنكِر، حتى لا يستهين بالمعصية ويلين إليها ويراها كأنها ليست بمعصية، فيفسد قلبه باستهانته هذه، فإن من أعظم المعاصي أن نعتبر أن المعصية ليست معصية، فإذا أنكرْتُ المعصيةَ بقلبي، وذَكَّرْتُ نفسي بأنها معصية، وأني لا ينبغي أن أرضى عنها؛ فقد منعت قلبي من الانحراف فغيرت تأثير المعصية على نفسي، ثم يكون من نتيجة إنكاري القلبي أني أضرع إلى الله أن يخلِّص المجتمع من المعصية، وهذا الدعاء يكون له أثرٌ ما في تغيير المنكر في المجتمع بإذن الله.

٧. إن الإنسان إذا أحب معصية أو شهوة قد يدفعه ذلك إلى إدعاء أنها حلال، وإباحة الحرام أخطر من الوقوع في الحرام، وخاصة إذا كان هذا الحرام مما هو مُجمَع على تحريمه وكانت أدلته قطعية وواضحة بأنه حرام، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، فإذا ابتلي أحدنا بمعصية فلا ينبغي أن يتجرأ على تغيير أحكام الله ليهوِّن على نفسه معصيته، بل عليه أن يبذل جهده في التخلص من المعصية، معترفاً بين يدي الله بذنبه: «وأبوء[١] بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٢].

ولما كان المسلم يحذر من المعصية؛ فإن الشيطان يحاول أن يوهمه في بعض المعاصي والأعمال بأنها طاعة وسنة، ليتجرأ على فعلها، ومن هنا تنشأ البدعة،

(١) أي أعترف.

(٢) وهو جزء من دعاء النبي ﷺ الذي سماه: سيد الاستغفار، وقد أخرجه البخاري رقم ٥٩٤٧ عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

لذلك قال بعض العلماء: البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، لأن العاصي يعصي وهو يعلم عصيانه فيتوب، والمبتدع يعصي ويظن نفسه يتقرب إلى الله فلا يتوب، وينشغل ببدعته عن السنة والطاعة.

٨. كثرة ذكر الله من أعظم أسباب الحفظ من المعصية، لأن الذكر يذكر العبدَ بالله ويذكره بصفات الله، ويذكره بعظمة الله، فيكون حاضراً مع الله، ومستحضراً لما يعتقده عن الله، فيحجزه ذلك عن المعصية، كالإنسان يكون بين الناس فلا يعصي، وينفرد بنفسه فيعصي، فإذا قوي حضور العبد مع الله حتى استطاع أن يشعر بمعيته مثل شعوره بمعية الناس؛ فكيف يعصي عندئذ.

فـإذا كان يسـتحضر عظمة الله في ذكـره؛ كان أبعد النـاس عن العصيان، فيكـون حذراً مـن غضـب الله ونقمتـه وعذابـه، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقد بين النبي ﷺ أن الذكر واقٍ من الشيطان والمعاصي، وكأنه حصن، حينما روى لنا ﷺ ما أمر الله به نبيَّ الله يحيى بنَ زكريا عليهما الصلاة والسلام أن يأمر به قومه فكان من ذلك قوله: «وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ كَثِيراً، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعاً فِى أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْناً حَصِيناً فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِى ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ»(١).

ومما يدل على أن الذكر سبب في الحفظ من الشيطان؛ قول النبي ﷺ: «إذا كان جنح الليل – أو أمسيتم – فكفوا صبيانكم؛ فإن الشياطين تنتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله؛ فإن

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد في مسنده رقم ١٧٦٣٣ وهذا لفظه، والترمذي رقم ٣١٠٢ والحاكم رقم ١٤٨١ وابن خزيمة رقم ١٧٨٩ وغيرهم، عن الحارث الأشعري ﷺ.

الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم[١] واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم[٢] واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم[٣]»[٤].

٩. من واجب المسلم أن يعرِف المعاصي، ويتعلم من دينه ما يعرف به المعصية من غيرها، فإن من لم يعرف أن هذا العمل أو تلك المعاملة معصيةٌ؛ لن يحرص على تجنبها؟ خاصة ونحن في زمن كثرت فيه المعاصي وكثر فيه الجهل، فقد يغتر الإنسان بما يراه من حوله، فيعمل العمل وهو يظنه صحيحاً وإذا به معصية لله[٥].

ومن جَهِلَ المعصيةَ سَهُلَ على الشيطان أن يدفعه إليها وأن يزينها له.

١٠. من أهم أسباب الوقاية من الوقوع في الذنب: صحبة الصالحين، والبيئة الصالحة، كبيئة المسجد والعلم وأهله، فالجو الصالح البعيد عن المعاصي والشهوات جَوٌّ طاهر لا يقود إلى العصيان، ينشغل فيه العبد بالطاعة فيسمو فيَحفظُه الله من المعاصي، والصالحون والعلماء ينبهون الإنسان إلى خطر المعصية ويحذرونه منها، فلا ينخدع بزينتها ولذتها وتزيين أهل الباطل لها، أما الصحبة السيئة وبيئة الفساد فإنها تدل على المعاصي وتذكر بها وتزينها، فوجب تركها والبعد عنها حتى لا يصير من أهلها، قال ﷺ: «الرجل على دين خليله»[٦]، وقد

---

(١) أي اربطوا قربة الماء.

(٢) أي غطوا الآنية التي فيها طعام.

(٣) والمقصود بها مصابيح النار، أو ما يمكن أن يحصل منه خطر في النوم.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٣٠٠ ومسلم رقم ٢٠١٢، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) ومعرفة المحرمات والمكروهات وكذلك الفرائض والمندوبات؛ موجود في كتب الفقه، ولعل الإنسان إذا قرأ ما ذكره الإمام النووي من المحرمات والمنهيات في كتابه «رياض الصالحين» مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة؛ يكون قد عرف أهم ما حرمه الله ونهى عنه.

(٦) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٤٨٣٣ والترمذي رقم ٢٣٧٨ وأحمد رقم ٨٣٩٨.

شبه النبي ﷺ الجليس الصالح بصاحب المسك، تشتري منه الطِّيب، أو يعطرك، أو تشم منه رائحة طيبة، وشبه الجليس السوء بنافخ الكير، إما أن يحرق ثوبك أو تشم منه رائحة سيئة(١).

٣. كيف نتخلص من المعاصي والشهوات

من ابتلي بمعصية أو أكثر فعليه أن يجتهد في التخلص منها والتطهر من آثارها، وذلك يكون بما يأتي:

١. أن يعلم العبد المذنب سعة رحمة الله، وقبوله لتوبة التائبين، وكرمه وعفوه الذي يعامل به التائب، فمن ذلك أن الله تعالى قال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال سبحانه: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]، وقال ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»(٢).

ومما يُكرِمُ الله به العبد الصادق في توبته أن يمحو الله عنه إثم الذنب وآثاره على القلب، بل يبدله حسنات: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٢١٤ ومسلم رقم ٢٦٢٨.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٩٥٠ عن أنس رضي الله عنه، و في رواية عند مسلم ٢٧٤٧ أن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه؛ من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك؛ أخطأ من شدة الفرح».

﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠]، فيأتي العبد يوم القيامة فلا يُسأل عن تلك الذنوب التي بُدِّلت، بل ويعامل بأحسن أعماله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ * لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣-٣٥].

٢. ما مر معنا من مراقبة خاطر المعصية ورده ورفضه؛ يعين على تطهير القلب من الميل إلى المعصية والتهاون فيها، فكلما دعته نفسه أو شيطانه إلى معصية أنكر ذلك بقلبه ورفضها، فيكون ذلك سبباً في طهارته وحفظه من الذنب، قال ﷺ: «تُعرض الفتن على القلوب عوداً عوداً كالحصير، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، **وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء**»(١)، ثم بين النبي ﷺ في نهاية الحديث أن هذا الإنكار يصل به إلى أن يُحفظ من المعاصي والفتن «حتى لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض».

والخاطر الذي يدعو إلى المعصية للشيطان دخل فيه، فإما أنه هو الذي جاءك بهذا الخاطر، أو أنه تدخل ليزينه لك ويقويه في نفسك، لذلك أمرنا الله تعالى أن نستعيذ بالله عندما يأتينا خاطر بالباطل والمعصية، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

٣. المبادرة إلى الاستغفار، عند ورود الخاطر الذي يدعو إلى المعصية، ومباشرة عند المعصية إذا وقعت منه، ليمحو الذنب وأثره عن القلب، قال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم رقم ١٤٤.

صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[(١)]، وقد تحدثت عن الاستغفار وأثره في مغفرة الذنب وأثره في التخلص من المعصية، بتفصيل في موضوع الذكر.

ولا بد للعبد إذا أراد أن يقبل على مولاه ويطلب منه رحمته وهدايته؛ لا بد أن يقدِّم اعتذاره ابتداءاً مما فَرَطَ منه من مخالفة أحكام الله وعصيانه، والاستغفار هو ذلك الاعتذار.

٤. لا ينبغي لمن ابتلي بمعصية أن يركن إليها ويستسلم لفعلها، بل عليه أن يجاهد نفسه بأن يلزمها الصبر على ترك المعصية، فيقاوم رغبة النفس بها، ومن طلب الصبر من الله واستعان به أعانه الله، قال ﷺ: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يُصبره الله»[(٢)]، وقال ﷺ: «واستعن بالله ولا تعجز»[(٣)].

وهذه المجاهدة هي أعظم سبيل للنجاح والاستقامة والهداية، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا[(٤)] فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وغالباً ما يجد من يجاهد نفسه على ترك المعصية صعوبة بالغة في أول الأمر، لكنه إذا ثبت مرات قليلة يهون عليه مقاومة المعصية، فيخلص منها سريعاً، فلا تلتفت إلى صعوبة الأمر في البداية فتيأس، إذ تظن أنك تحتاج إلى

---

(١) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٣٣٣٤ وقال: حسن صحيح، وابن ماجه رقم ٤٢٤٤، وابن حبان رقم ٩٣٠، والحاكم في المستدرك رقم ٦ وصححه، يَرْوونه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ١٤٠٠ ومسلم رقم ١٠٥٣، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٢٦٦٤.

(٤) والجهاد هنا يشمل جهاد النفس ومعاصيها، وجهاد الشيطان، وجهاد العدو الكافر والمنافق، كما بين المفسرون.

مثل هذا الصبر والمجاهدة في كل يوم وفي كل مرة، فليس الأمر كذلك، بل عن قريب تهون، فصبر الصدمة الأولى هو الأصعب ثم تهون وتهوي عن قريب، ثم تُنسى ويذهب خاطرها بإذن الله وفضله.

ويجب على المسلم أن يكون صلباً في مجابهة الحرام، كما وصف الله نبي الله يوسف ﷺ حينما تعرَّض للفتنة والمعصية، قال تعالى: ﴿ فاستعصم ﴾، أي طلب العصمة، فهو لا يرتضي أن يضعف أدنى ضعف ولا يرضى أن يستسلم للباطل أدنى استسلام، وطلبه للعصمة هذه تكون باللجوء إلى الله متوكلاً عليه ومعتمداً عليه أن يعصمه، وتكون بطلب أسباب العصمة بصبره ومجاهدته لنفسه من أن تميل إلى الشهوة أو تقع فيها.

وأصعب المعاصي في ذلك ما كان فيها شهوة للنفس ولذة، فيتعلق بها القلب ويتشربها، كما قال الله في يهود: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة: ٩٣]، فعلى من تعلق قلبه بشهوة أن يبذل في تركها جهداً ومجاهدة أكبر، واستغفاراً أكثر، وعليه أن يتذكر أنها لذات فانية عن قريب، وألم عذابها وألم الحزن عليها أكبر من لذتها بكثير، وعليه أن لا ييأس من علاجها، بل يحاول مرة بعد مرة حتى يمنَّ الله عليه بالشفاء منها.

كما يمكن أن يكون لكل معصية وشهوة علاجها الخاص بالإضافة إلى ما ذكر، فالشهوة الجنسية يعين على التخلص منها الجوع والصيام وغض البصر، والشهوة إلى الكلام يعين عليها الصمت وكثرة الذكر، والبعد عن مجالس اللغو والباطل، والشهوة إلى الغناء الماجن يعين عليها الميل إلى قراءة القرآن أو إلى الإنشاد الإسلامي، وهكذا.

٥. إذا كان للمعصية أو الشهوة أسباب تدفع إليها وتذكِّرُ بها؛ فعلى المسلم أن يقطع هذه الأسباب ويجفف منابع تلك الشهوة، قال ﷺ: «والمهاجر من

هجر ما نهى الله عنه»(١)، أما أن يبقي نفسه في النار ثم يريد ألا تحرقه؛ فهذا تعذيب للنفس، فمن كان يحثه على المعصية ويعينه عليها صاحبُ سوءٍ فعليه أن يفارقه، ومن كان يثير فيه الشهوة نظره إلى التلفاز وما فيه من برامج وأفلام؛ فعليه أن يُغلقه أو يخرجه من بيته، وهكذا.

بل ربما يصل الأمر إلى وجوب الهجرة من بلده إذا كان يتوقف على ذلك تركه لمعصيته وكبائره أو نفاقه، كما في قصة الرجل الذي قتل مائة ثم أمره العالم أن يهاجر من بلده الذي قَتَل فيه، فلما سار في طريق الهجرة ومات في الطريق؛ تلقته ملائكة الرحمة، وكذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

٦. إنَّ فِعل الطاعات والأعمال الصالحة يساعد على ترك المعاصي، ويمحو أثرها وإثمها، ويقوي وجهة الإنسان نحو الخير والحق والطاعة.

قال النبي ﷺ: «وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها»(٢)، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]، فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا، قال: لجميع أمتي كلهم»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ١٠ عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) حديث حسن، أخرجه أحمد رقم ٢١٣٩٢ والترمذي رقم ١٩٨٧ وقال: حسن صحيح، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٠٣ ونحوه مسلم رقم ٢٧٦٣.

إنه كلما كثرت الحسنات صرفت السيئات، إذ يصبح الإنسان يشغل نفسه بالطاعات ولا يعود لديه وقت ليفكر بالمعاصي، لذلك قيل: من لم تشغله الطاعة شغلته المعصية.

ومثال ذلك: لو أن عندنا ميزاناً، في كفة منه كيلو من الحسنات، وفي الأخرى كيلو من السيئات، فإذا زاد المسلم من حسناته زادت كفة الحسنات فرجحت وغلبت الكفة الأخرى، وكلما زاد الوزن في كفة الحسنات؛ صارت الأخرى بالنسبة إليها ضئيلة، حتى تصير كأنها لا شيء، أو ربما نزل فيها من العمل الصالح الثقيل ما يطيش بالسيئة فلا يبقى في كفة السيئات شيء، كمثل ما قال النبي ﷺ في أهل بدر: «ما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١)، وليس معنى الحديث أنه أَذِن لهم بالذنوب، وإنما معناه أن الله غفر ذنوبهم ببركة هذا العمل العظيم، وهو مشاركتهم في أول معركة في نصرة الإسلام، وقد يكون من معناه أن الله يحفظهم ببركة هذا العمل من أن يقعوا في ذنوبٍ لا تغفر.

وقد أعلمنا النبي ﷺ أن الوضوء يكفر الله تعالى به الذنوب فتتساقط مع الماء المتساقط من الوضوء، وأعلمنا أن الصلاة إلى الصلاة، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان(٢)، والعمرة إلى العمرة؛ كفارة لما بينهما، وأن الصدقة كفارة

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري رقم ٢٨٤٥ ومسلم رقم ٢٤٩٤، ويدل على مثل دلالته ما روي في حق عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال فيه بعد صدقته يوم العسرة: «لا يضر عثمان ما فعل بعد هذا»، لكن في إسناد هذا الحديث ضعف.

(٢) عن أَبِي هُريرة ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «الصَّلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إِلى الجُمُعَةِ، كفَّارةٌ لما بَيْنهُنَّ، ما لم تُغش الكبَائِرُ» أخرجَه مسلم رقم ٢٣٣، عن أبي هريرة ﷺ، وفي رواية: «ورمضان إلى مضان».

للذنوب، وأن الحج تكفر به الذنوب فيعود أحدنا كيوم ولدته أمه[1]، وهكذا فكل طاعة لها أثرها في محو المعاصي وتطهير النفس وتزكيتها من ذنوبها.

وعلى المسلم أن يحافظ على مستوى جيد من الطاعات حتى يحفظ نفسه من الذنوب والتراجع، فقد يكون التهاون في الطاعات والمندوبات سبباً يؤخر رتبة الإنسان ويفتح باب التراجع عنده، قال ﷺ: أَنَّ رسُول الله ﷺ رأى في أَصْحابِهِ تأَخُّراً[2]، فقَالَ لَهُمْ: «تقَدَّمُوا فأْتمُّوا بِي، وَليَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُم، **لا يزالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتى يُؤَخِّرَهُمُ الله**»[3].

٧. من أهم الأسباب التي تعين على ترك الذنوب: اتخاذ الصحبة الصالحة، والحرص على البيئة الصالحة كبيئة المسجد والعلم وأهله، فالصحبة كما تمنع الوقوع في الذنوب أيضاً هي علاج للخروج من الذنوب، فالصالحون بما يذكرون العاصي بالله، وبما ينشغل معهم وفي بيئتهم بالعمل الصالح والكلام الطيب يتأثر وينصرف عن معاصيه شيئاً فشيئاً بإذن الله، وما دام للإنسان صحبة سيئة فسوف تذكره بالمعصية وتستدرجه إليها.

٨. إن خروج الشهوة من القلب والتخلص التام من المعصية لا يتم ـ غالباً ـ إلا بأحد أمرين: غَلَبَة الحب لله والشوق إليه، أو غلبة الخوف من الله والهيبة منه.

فإذا اهتم المسلم بالتعرف على إحسان الله وفضله، وذَكَّرَ نفسه بالمعاني التي تثير الحب لله في قلبه والأنس به؛ فإن الشهوة عندئذ لا يبقى لها مكان،

---

(١) وكل ذلك ورد في أحاديث صحيحة.

(٢) أي وجدهم في آخر المسجد، كما تدل عليه روايات أخرى، ومعناه أنهم صاروا يتأخرون عن الجماعة شيئاً ما.

(٣) أخرجه مسلم رقم ٤٣٨، عن أبي سعِيد الخُدْرِيِّ ﷺ.

إذ يخجل العبد من ربه وينشغل بأنسه به عن أنسه بمعصيته، وينشغل بحلاوة الإيمان والمعرفة عن حلاوة المعصية ولذتها.

وإذا اهتم المسلم بتعظيم الله والتعرف على كبريائه وجلاله ونقمته، وذكَّر نفسه بالمعاني التي تثير الخوف والهيبة من الله والمراقبة له، وذكَّر نفسه بالموت والدار الآخرة والحساب فيها والعقاب؛ فكيف تبقى المعصية عنده، وأحدنا يخاف من شرطي أن يخالفه، فإذا عرف الله وتذكر معيته كيف يتجرؤ عندئذ على العصيان، وكيف يبقى له تفكير باللذائذ وهو في حالة خوف وهيبة.

قال ﷺ: «والله لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله»(١).

٤. أخطر الذنوب

حذرنا الله تعالى ونبيه ﷺ من أخطر الذنوب، وهي الكبائر، وقال سبحانه: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء: ٣١]، فصاحب الكبيرة مهدد أن يُدَقَّق عليه الحساب، وأن لا يكون مُدْخَلُه كريماً، لذلك قال العلماء: الكبيرة ما توعَّد الله عليه بالعذاب أو باللعنة أو بالغضب، أو جعل عليه عذاباً وحدّاً من الحدود في الدنيا، ليكون كفارة له.

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٣١٢ وقال: غريب حسن، ونحوه أحمد رقم ٢١٥٥٥ عن أبي ذر رضي الله عنه، وأخرج العبارة الأولى البخاري رقم ٤٣٤٥ ومسلم رقم ٢٣٥٩ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٦١٥ ومسلم رقم ٨٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: «سألت النبي ﷺ: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أيّ؟ قال: وأن تقتل ولدك، تخاف أن يَطعَم معك، قلت: ثم أيّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»(١).

والكبائر لا تختص بما ذكر في هذه النصوص، فالقرآن الكريم والسنة النبوية توعدا على كثير من المعاصي أو جعلا لها حداً، كالسرقة وشرب الخمر والحِرابة وغير ذلك.

وليس من شأن المؤمن أن يقع في كبائر الذنوب، فالله سبحانه واصف المؤمنين بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾ [الشورى: ٣٧]، وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ [النجم: ٣٢]، فيجب أن نكون على أشد الحذر من الوقوع في هذه الذنوب الكبيرة، ومِنْ حَذَرِنا منها أن نحذر من الصغائر التي تؤدي إليها، وإذا وقع أحدنا في كبيرة وجبت المسارعة إلى التوبة والكفارة.

ومن كبائر الذنوب: ترك فرائض الطاعات، فليس للمؤمن أن يتخلف عن شيء مما فرضه الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

٥. أكثر الذنوب وقوعاً

ـ الذنوب كلها خطيرة وكلها تفسد قلب الإنسان، وكلها يجب التطهر منها، وتستوجب العقوبة إن لم يعف الله عنها، لكن حينما ننظر إلى الواقع نجد أن وقوع المسلمين في الذنوب الكبيرة والصغيرة يكاد يكون قليلاً إلا في ثلاثة ذنوب.

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٢٠٧ ومسلم رقم ٨٦.

فقليل مِن المسلمين مَن يشرب الخمر، وأقل من ذلك من يسرق، وأقل من ذلك من يقتل، وقليل من المسلمين من يتعامل بالسحر، ونادرٌ من المسلمين من يلبس خاتم ذهب، ونادرٌ من المسلمين من يتغوط في طريق الناس، وهكذا.

ولكن كثيراً مِن المسلمين مَن يقع في معاصي اللسان، وكثير مِن المسلمين مَن يقع في الشهوات والنظر إلى ما يحرم النظر إليه، وكثير من المسلمين من يصيب من المال الحرام، ونكاد نجد أكثر المسلمين اليوم يقعون في هذه الذنوب في كل يوم مرات، وكثير منهم يقع في هذه الذنوب ولا يبالي، فتشكل هذه الذنوب أهم ما يفسد حال الإنسان مع الله، وأهم ما يقيده عن طاعته، وأهم ما يدسيه ويبعده عن التزكية.

لذلك نبهنا النبي ﷺ إلى هذه الذنوب، ونبهنا إلى أنها هي الذنوب الأكثر وقوعاً، فقد سُئِلَ عن أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»(١)، ولما كانت أكثر ذنوب الناس في هذين الذنبين فمن تخلص منهما صار حاله صالحاً، وكأنه تخلص من كل الذنوب، وصار أهلاً لدخول الجنة لذلك قال ﷺ: «من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة»(٢).

ولما كان أكثر الناس يقعون في معاصي اللسان بين ساعة وأخرى؛ فقد حذر النبي ﷺ من ذنوب اللسان وكأنه لا شيء غيرها يدخل النار، وبين أن السبيل لصلاح حال الإنسان أن يترك ذنوب الكلام، فقال ﷺ بعد أن ذكر أهم أبواب الخير لمعاذ بن جبل ﷺ: «أَلا أُخْبِرُكَ بِمَلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ، قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٠٠٤ عن أبي هُريرة ﷺ وقال: صحيح غريب، وأخرجه ابن حبان والحاكم وصحح إسناده وزادا: «الأجوفان».

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٨٠٧ عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

نَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، **وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»[(١)].

والنظر إلى ما حرم الله من أخطر الذنوب وأكثرها في هذا الزمان، والنظر المحرم والشهوات من أخطر الذنوب على قلب الإنسان، لأنه إذا تعلق بالشهوات غفل عن ذكر الله وأحكامه، وانشغل عن واجباته، وفسد حاله، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[(٢)].

وأما الذنب الثالث فقد لا يكون كثيراً في الأزمان السابقة من تاريخ المسلمين، لكنه صار اليوم كثيراً، كما أخبر النبي ﷺ، فقال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أَمِنْ حلالٍ أمْ مِنْ حرام»[(٣)].

وهذه الذنوب الثلاثة هي في الغالب التي تصنع الغفلة القلبية أو تساعد عليها، وبسبب من هذه الذنوب تنشأ الأخلاق الفاسدة التي تكثر في المجتمع كالظلم والغش والكذب والبخل.

فإذا كنا نسعى لإصلاح المسلم والمجتمع المسلم يجب أن نعطي اهتماماً كبيراً للتوعية من خطر هذه الذنوب أكثر من غيرها، سعياً للتخلص منها، فإذا تطهرنا منها نكاد نكون قد تخلصنا من ذنوبنا جميعاً، فيصبح المجتمع مؤهلاً للهداية والولاية، ويصير نموذجاً جميلاً راقياً، مرغوباً يصلح لأن يقتدى به.

---

(١) أخرجه الترمذي ٢٥٤١ وقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٣٥٤٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٨٠٨ ومسلم رقم ٢٧٤١، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٩٧٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أهم المعاصي والذنوب من الكبائر والصغائر وتزكية النفس بتركها

كثيرة هي المنهيات وقد ذكرنا أهمها سرداً في بداية هذا الكتاب.

وإذا علم الإنسان ما هي الذنوب التي نهى الله عنها، ووُجِد عنده الحرص على ترك المعصية، وكان حذِراً من الوقوع فيها؛ فذلك سبيل التخلص من كل الذنوب، ومن تخلص من ذنوبه فقد خطا خطوات كبيرة في تزكية نفسه وتطهيرها.

ولا بد من التفصيل في أهم الذنوب، والتنبيه إلى بعض الأمور التي تزيدنا حذراً من المعاصي، وتعيننا على التخلص منها ومعالجة تعلق النفس بها.

المبحث الأول

الإشراك بالله

الله تعالى هو وحده الذي يستحق أن يُعبدَ، فهو الرب الواحد الخالق القادر الذي يتصرف في الكون ما يشاء، فوجب توحيده في ذاته وصفاته وأفعاله وألوهيته وربوبيته وعبادته، قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقد بين الله تعالى أنه لا يجوز الشرك به لأنه لا أحد مثلُه، ولا أحد يستطيع مثل فِعله، فكيف يسوّى به غيره، وكيف يعبد غيره معه، فقال: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠-١٩٦].

والشرك أكبر الكبائر، قال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1]، وإنما كان الشرك أكبر الكبائر لأن الله كتب أنه لا يغفره، وقد يغفر غيره من الذنوب، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩١٨ ومسلم نحوه رقم ٨٧، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، والشرك يفسد الإنسان وأعماله، فلا يقبل من المشرك أي عمل صالح، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وهذا خوطب به الأنبياء، فما بالك بغيرهم.

ومن مات على الشرك فإنه لا نصيب له من الجنة أبداً قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۞ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٤].

وقد جعل الله تعالى في الدنيا من العقوبات والأزمات ما ينبه الإنسان إلى التوحيد، لكن كثيراً من المجرمين ينتبه ثم يعود إلى شركه، وقد قامت عليه الحجة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١].

ومن آمن ثم كفر فقد دخل في الشرك من جديد، يحبط إيمانه وعمله، ويُسْتَحَلُّ دمه إن لم يتب ويرجع، قال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»(١) وقال ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٨٥٤، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٤٨٤ ومسلم رقم ١٦٧٦، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ـ فإذا عرفت خطورة الشرك؛ فيجب أن تحذر منه أشد الحذر، وأن تطهر نفسك منه كل التطهير، وأن تكون بعيداً عن كل ما يوقعك فيه، ومن ذلك(١):

من أعطى حق العبادة لغير الله فهو مشرك غير موحد.

ولا يكون موحداً من توجَّه بعبادة لغير الله كالصلاة والركوع والسجود والطواف والدعاء والنذر والذبح لغير الله بنية التقرب، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ومن أعطى ما هو من خصائص الألوهية والربوبية لغير الله فقد أشرك، كأن يعتقد أن حق الأمر والنهي والتشريع المطلق يجوز أن يكون لأحد أو لجهة من الخَلْق، أو يعتقد أن شيئاً ما له تأثير في الأمور بغير إرادة الله، ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ـ وحتى يكون المسلم بعيداً عن الكفر فلا بد أن يحذر من كل فعل يوقعه في الكفر، ويخرجه من الإسلام، أو ينقض إقراره بالشهادتين، ومن ذلك:

أن من تبرأ من الإسلام فقد كفر(٢).

ومن سب الله أو النبي ﷺ أو الإسلام أو القرآن فقد كفر.

ومن استحل محرماً قطعياً(٣) كفر.

---

(١) وكل ما نذكره له أدلته من الكتاب والسنة، وقد ذكرنا بعضها في مواطن من الكتاب، وهي موجود مفصلة في كتب العقائد.

(٢) قال ﷺ: «من قال إني بريء من الإسلام فإن كان كاذباً فهو كما قال، وإن كان صادقاً لم يعد إليه الإسلام سالماً»، حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٢٣٠٥٦، وأبو داود رقم ٣٢٥٨، والنسائي رقم ٤٧١٣، وابن ماجه رقم ٢١٠٠، والحاكم رقم ٧٨١٨ وصححه، عن بريدة رضي الله عنه.

(٣) أي من المحرمات التي وردت فيها أدلة قطعيةُ الثبوتِ والدلالةِ على حرمتها، وهذه المحرمات عادة تكون مما أجمع العلماء على حرمته، كحرمة الخمر والزنا والسرقة والقتل بغير حق...

ومن نفى معلوماً من الدين بالضرورة[1].

ومن سجد لصنم أو صلى صلاة الكافرين أو ألقى القرآن في نجاسة كفر.

ونواقض الشهادتين التي يخرج بها الإنسان من الإيمان إلى الكفر والشرك كثيرة[2]، فصَّلَتْها كتب العقيدة، وينبغي على المسلم أن يكون عارفاً بها حتى يحذر منها ولا يقع فيها قصداً ولا خطأً ولا جهلاً.

---

(١) أي من الواجبات التي لا يجوز أن يجهلها أحد من المسلمين، وهي من القطعيات، كوجوب الصلاة والصيام والحجاب والجهاد...

(٢) انظر: كتاب «الإسلام» لوالدي سعيد حوى ص ٨١-١٠٠، وكتاب «الأساس في السنة، قسم العقائد الإسلامية» لوالدي أيضاً ١/ ٣١٩-٣٢٢، فقد بين فيهما كثيراً من نواقض الشهادتين الاعتقادية والقلبية والفعلية والقولية.

المبحث الثاني

القتل

لا ينبغي أن يكون القتل إلا بإذن من الله خالقِ النفس والروح والجسد، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقد عد النبي ﷺ قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق من الكبائر الموبقات(١).

ومما يدلك على أن القتل هو أعظم جريمة بعد الشرك والكفر أن الله تعالى يحاسب عليه قبل غيره قال ﷺ: «إن أوَّلَ ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدّماء»(٢).

وقد نَبَّهنا الله تعالى إلى أن القاتل حينما يقتل إنساناً فكأنما قتل كل ذريته التي يمكن أن تتوالد منه لو بقي حياً، كما ذهبت ذرية ابن آدم بقتل أخيه له، فقال تعالى بعد قصة ابني آدم: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقد حرم الله القتل العمد عدواناً وجعل عليه عقاباً عظيماً في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٦١٥ ومسلم رقم ٨٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٤٧١ ومسلم رقم ١٦٧٨، واللفظ له، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا * وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩-٣٠].

كما أوجب فيه الدية والقصاص في الدنيا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ * وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٨-١٧٩].

كما شدد الله تعالى في عقوبةِ القتل الخطإ وكفارتِه حتى يكون المسلم شديد الحذر من الوقوع فيه أو التسبب فيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ وَمَن قَتَلَ مُؤۡمِنًا خَطَـٔٗا فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ وَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْۚ فَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ عَدُوّٖ لَّكُمۡ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ وَإِن كَانَ مِن قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ تَوۡبَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ [النساء: ٩٢].

وعلى الرغم من أن هذا القتل خطأٌ؛ فلم يجعله الله معفواً عنه، بل أوجب الله فيه دية كبيرة وهي مائة من الإبل بأوصاف معينة(١)، شرعها منعاً لتمادي العداوة بين أهل القاتل والمقتول، ومنعاً للثأر بغير حق وتطييباً للنفوس وقطعاً للمفاسد التي تترتب على موت المقتول إذا كان معيلاً لأهله وغير ذلك.

وأوجب الله في القتل الخطإ الكفارةَ الشديدة؛ تنبيهاً إلى أن المسلم يجب أن يكون على حال يحذر فيه من الخطإ في القتل، ويكون بعيداً عنه، ومحتاطاً من الوقوع فيه.

---

(١) وفي القتل الخطأ تتحمل عاقلة القاتل هذه الدية، أي عشيرته وعَصَبَته.

ـ فعلى المسلم أن يتجنب أسباب التورط في القتل العمد عدواناً والقتل شبه العمد[1] والقتل الخطإ، ومن أهم الأسباب التي توقع الإنسان في القتل:

الغضب والتسرع، والشهوة وحب الدنيا، والحسد، والتباغض والتخاصم والجدال، فواجب المسلم أن يتخلص من هذه الأمراض وأمثالها لأنها مذمومة بذاتها، ومذمومة لأنها قد تؤدي إلى كبائر ككبيرة القتل.

فهذا ولد آدم إنما قتل أخاه حسداً لأخيه أن تقبل الله منه.

وهؤلاء إخوة يوسف فكروا في قتله حسداً له.

والسارق يرغب في المال والدنيا فيحاول السرقة فإذا تعرض لموقف قد يقتل حرصاً على تحقيق محبته للمال.

والدائن قد يقتل المَدِين إذا رفض رد الدين، غضباً منه، وتعلقاً بماله الذي أُخِذ منه، فعندئذ لا يعود إليه المال، وتجب عليه الدية، وقد يخسر حياته بالقصاص.

والشهوة المحرمة والتعلق بمحبوبةٍ قد يدفع الإنسان إلى القتل أو الأذى أو الانتقام ممن سبقه إليها.

وقد يرى الإنسان موقفاً مغضباً، لا يستأهل أن يكون القتلُ هو ردة الفعل المناسبة له، لكنه بسبب من تسرعه يخرج عن عقله ويخرج عن محاكمة الأمور بشرع الله، فيسرع إلى القتل، فيصير من النادمين، ولا فائدة من الندم.

---

(١) وهو أن يتصرف تصرفاً يؤدي إلى القتل، كأن يضرب إنساناً بشيء لا يقتل عادة فيؤدي إلى موته، مع كونه يضربه عدواناً بغير حق، وربما لا يكون الضارب يريد القتل، لكن فِعلَه وتَعدِّيه أدى إلى القتل.

قد تسيء زوجته إساءةً ما بالغةً تستحق معها الطلاق أو العقوبة، فيسارع إلى قتلها، فيكون معتدياً.

قد يسرع الأب في عقاب ولده على أمر ما، فيبالغ في عقوبته أو يضربه على رأسه فيؤدي إلى قتله، وفعل الولد لم يكن مستحقاً للقتل، فيقع الأب بسبب تسرعه وغضبه في القتل والندم.

وحتى نكون بعيدين عن القتل وأسبابه ولو خطأً حذرنا النبي ﷺ من الإشارة بالسلاح أو تعريض الآخرين للإصابة به من غير انتباه، فقال ﷺ: «لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان يَنْزَغُ في يده فيقع في حفرة من النار»(١)، وقال ﷺ: «إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نَبْلٌ(٢) فليمسك على نصالها» أو قال: «فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء»(٣).

ـ ولا ينبغي أن يتهاون المسلم في القتل بأي حال من الأحوال ولا بأي حجة من الحجج، فعن المِقْدَادِ بنِ عَمْرو رضي الله عنه قال: قلت لِرسُولِ الله ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقيتُ رَجُلاً مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فقال: أَسْلَمْتُ للهِ، أَأَقْتُلُهُ يا رسولَ الله بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ: «لا تَقْتُلْهُ»، فَقُلْتُ يا رسُولَ اللهِ قطعَ إِحدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قال ذلكَ بَعْدَما قَطعَها؟ فقال:

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٦٦١ ومسلم رقم ٢٦١٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وروى مسلم رقم ٢٦١٦ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

(٢) أي سهم.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٦٦٦٤ ومسلم رقم ٢٦١٥، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

«لا تَقْتُلْهُ، فإنْ قَتَلْتَهُ، فَإِنَّهُ بِمنزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قال»[1].

ـ وكما لا يجوز للمسلم أن يقتل غيره، فلا يجوز أن يقتل نفسه، لأنه ملك لله، لا لنفسه، ومن قتل نفسه عُذِّبَ يوم القيامة بالآلة التي قتل بها نفسه، قال ﷺ: «من حلف على يمينٍ بملة غير الإسلام فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عُذِّبَ به يوم القيامة، ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله»[2]، وقال ﷺ: «مَن تَرَدّى مِن جبل فقتل نفسه؛ فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمّاً فقتل نفسه؛ فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة؛ فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً»[3].

ـ وقد يكون أحد الناس مهدور الدم شرعاً، يجوز قتله، لكن قتلَه ليس لأيِّ أحدٍ، وإنما هو حق للإمام الحاكم، يُشرِف عليه بنفسه أو بمن ينيبه عنه، فليس للناس أن يباشروا مثل هذا القتل ويعتدوا على حق الإمام، لأن ذلك يفتح باب مفسدة، فيتجرأ الناس على قتل ناس بحجة أنهم مهدوروا الدم، فيقتلون بغير تأكد وتثبت من ذلك، أو يقتلون من شاؤوا ثم يدَّعون كذباً أنه

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٧٩٤ ومسلم رقم ٩٥، وقال النووي في رياض الصالحين: «ومعنى «إِنَّهُ بِمَنْزِلَتِك» أَيْ: مَعْصُومُ الدَّمِ محَكُومٌ بِإِسْلامِهِ، ومعنى «إِنَّكَ بِمَنْزِلَته» أَيْ: مُبَاحُ الدَّمِ بِالْقِصَاص لِوَرَثَتِهِ، لا أَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْكُفْرِ، والله أعلم».

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٧٠٠، ونحوه عند مسلم رقم ١١٠، عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه وهو ممن بايع تحت الشجرة.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٤٤٢ ومسلم نحوه رقم ١٠٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كان مستحقاً للقتل، فمثل هذا القاتل قد يقتل إن لم يثبت هدر دم المقتول، وقد يُعزَّر تعزيراً شديداً على افتئاته على الإمام وإقدامه على أمر من مسؤوليات الحاكم دون الرجوع إليه.

المبحث الثالث

الحرابة

وأبلغ من القتل: أن يتعرض الإنسان للناس يقطع طريقهم، ويريد أخذ أموالهم، وقد يقتلهم لأجل ذلك، فهذه جريمة تجمع بين القتل والسرقة، وتتسبب في تخويف الناس ومنع الأمن عن المسافرين، فشدد الله عقوبة من يفعل هذا وأمثالَه، مما فيه سعي بالفساد في الأرض، ومحاربة لدين الله وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤]، وفي الآية الأخيرة يشجع الله تعالى المحاربين أصحاب هذه الأفعال على التوبة.

عن عبد الله بن عمر ﷺ أن ناساً أغاروا على إبل النبي ﷺ فاستاقوها وارتدوا عن الإسلام وقتلوا راعي رسول الله ﷺ مؤمناً، فبعث في آثارهم، فأخذوا، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم[١]، قال: ونزلت فيهم آية المحاربة»[٢].

(١) وقد أقرت الآية حكم التقطيع والقتل، وجاء في نصوص السنة ما ينهى عن التمثيل بالمقتول.
(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٤٣٦٩.

المبحث الرابع

عقوق الوالدين

ـ من أقبح الذنوب: عقوق الوالدين، وهي من أكبر الكبائر كما بين النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1].

وقد سمي العقوق عقوقاً لما فيه من قطع للوالدين، وإذا كان قطع الرحم والقرابة سبباً في قطع الله للعبد، فكيف بقطع الوالدين، وهم الأعظم حقاً والأقرب رحماً.

وحق الوالدين كبير، وأقل ما يجب أن يوفيهما الإنسان أن يحسن إليهما ويبر بهما، ولا يؤذيهما بفعل ولا كلمة ولا حرف، ولا يمنعهما مما يستحقانه من إنفاق وخدمة، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وإذ أوجب الله تعالى طاعة الوالدين وبرهما في المعروف؛ فإن من يعصيهما يكون قد عصى الله أيضاً.

ومهما قدَّم الأبناء للوالدين فإنهم لا يوفون حقوقهما ولا يجزون إحسانهما، قال ﷺ: «لا يجزي ولد والداً إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[2].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩١٨ ومسلم نحوه رقم ٨٧، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٥١٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقد حذرنا النبي ﷺ أن نتسبب في شتم آبائنا، وعد ذلك من أكبر الكبائر، فقال: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجلُ أبا الرجلِ؛ فيسب أباه، ويسب أمه؛ فيسب أمه»(١).

ومن تهاون في عقوق الوالدين كيف يأتيه التوفيق من الله، وكيف يهدي الله قلبه، وهو يفعل محرَّماً وكبيرة من الكبائر، وكيف ينتفع من تزكية نفسه بقيام ليل أو صوم نافلة أو صدقة تطوع، وهو يجتهد في نوافل ويترك فريضة الطاعة والبر بالوالدين؟

فاحذر أيها المسلم أن تعق والديك في شيء، وإن وقعت في شيء من ذلك فتب إلى الله واستسمح منهما.

ـ وإذا مات والد أحدنا أو والدته وقد عقَّهُما أو أحدَهما أو أغضبَهما بغير حق؛ فإن مجال التوبة من ذلك ما زال مفتوحاً ما دمنا أحياءً، وطريق هذه التوبة رغم عدم وجود الوالدين؛ هو التوبة إلى الله والاستغفار مما فَرَطَ منا وصَدر من عقوق، وأن تكون توبتنا هذه صادقة بحيث لو كانا موجودين فعلاً لتركنا العقوق وتحوَّلنا إلى البر والإحسان لهما، وأن نكثر من الدعاء والترحم عليهما.

ولو تصدق عن والديه المتوفَّيْن فذلك جائز(٢)، وهو من علامات الإحسان إليهما والتوبة من العقوق، لمن كان قادراً على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٦٢٨ ومسلم بنحوه رقم ٩٠، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري رقم ٢٦٠٩ عن عائشة رضي الله عنها أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها [أي ماتت] وأراها لو تكلمت تصدقت، أفأتصدق عنها؟ قال: «نعم تصدق عنها».

وقد أمرنا الله بالتعامل بالمعروف مع الوالدين الكافرين، فقال سبحانه: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[لقمان: ١٥]، فـلا تجعل من عقوق والديك لربك أو لأبويهما أو لك؛ سـبباً في عقوقهما، بل أدِّ الذي عليك، والله يحاسبهما على ما عليهما.

المبحث الخامس

السحر

يكثر السحر ويكثر أولئك الذين يقصدون أبواب السحرة والمشعوذين، يطلبون منهم أن يكشفوا لهم الغيب أو يطلبون منهم أن يفتحوا لهم طريق السعادة، أو يطلبون منهم عمل سحر يمنع زواج فلان أو فلانة أو يفرق بينهما، أو عمل سحر يفسد على فلان عمله أو تعليمه ودراسته.

وانتشار السحر أو إتيان السحرة في بلاد المسلمين مؤشر على مدى البعد عن الثقافة الإسلامية، ومؤشر على الشقاوة التي نعيشها بسبب البعد عن الإيمان والعمل الصالح، كما هو مؤشر على الفراغ الذي تعيشه بعض النفوس، ومؤشر على الرغبة في الأذى والإفساد عند بعض الناس، الذي ينشأ عن الحسد وضيق العين، ومؤشر على الجهل بما حرم الله، والتجرؤ على معصية الله، بل دليل على التهاون في أمر الكفر بالله، إذ يظن أولئك الذي يقصدون السحرة المجرمين أنهم يعرفون الغيب ويقدرون على تغييره.

وقد عدَّ النبي ﷺ السحرَ من الكبائر المُهْلِكة فقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، **والسحر**، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1].

والسحر من البلاء الذي اختبر الله به الناس، كالأشياء التي خلقها ونهى عن أكلها أو لبسها أو استعمالها.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٦١٥ ومسلم رقم ٨٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ذَكَرَ اللهُ السحرَ في القرآن، وبين بعض آثاره، من أنه يكون سبباً في الوهم، ويخيل أشياء للناظر، فيرى الشيء على غير حقيقته، وأنه يفرِّق به بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦].

وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد استدل العلماء من قوله تعالى في هذه الآية ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أن السحر لا يَتَسَنَّى للساحر إلا بالكفر، ومن هاهنا ذهبوا إلى أن الساحر يقتل، لأنه كافر، بالإضافة إلى ما يؤذي به الناس بسحره، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه علم بثلاث ساحرات في خلافته، فأمر بقتلهن(١).

ـ وغالب السحرة يشتغلون بالعَرافة(٢) والكَهانة(٣)، أي يتكهنون المستقبل

---

(١) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٦٥٧ وأبو داود رقم ٣٠٤٣.

(٢) وَالْعَرَّاف: هو من يحاول التعرف على المغيبات بأي طريق من فعل أو قول.

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ١٠/ ٢١٧: «وَالْكَهَانَة - بِفَتْحِ الْكَاف وَيَجُوز كَسْرهَا - اِدِّعَاء عِلْم الْغَيْب كَالإِخْبَارِ بِمَا سَيَقَعُ فِي الأَرْض مَعَ الاسْتِنَاد إِلَى سَبَب، وَالأَصْل فِيهَا اِسْتِرَاق السَّمْع مِنْ كَلَام الْمَلَائِكَة، فَيُلْقِيه فِي أُذُن الْكَاهِن. وَالْكَاهِن لَفْظ يُطْلَق عَلَى الْعَرَّاف، وَالَّذِي يَضْرِب بِالْحَصَى، وَالْمُنَجِّم... وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ:... وَكَانَتْ الْكَهَانَة فِي الْجَاهِلِيَّة فَاشِيَة =

ويدَّعون معرفة الغيب، وقد حذر النبي ﷺ من إتيانهم وتصديقهم، فقال ﷺ: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء؛ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»(١)، وليس معنى الحديث أن صلاته باطلة في هذه الأيام، وأن عليه القضاء، وأنه لا داعي لأن يصلي لأنها لن تقبل، وإنما معناه أنه يفوته أجرها، وإن سقطت عنه بأدائها، فجريمة إتيان العَرّافين تذهب بكثير من الأجر، مع ما فيها من الإثم.

ـ ومن واجب المسلم أن يحرص على المأثورات والاستعاذات القرآنية والنبوية(٢)، ليحصن نفسه من السحر والحسد والعين وأمثالها، وأقل ما يحصن المسلم به نفسه من هذه الأمور أن يقرأ في كل صباح ومساء آية الكرسي وسورة

= خُصُوصًا فِي الْعَرَب لِانْقِطَاعِ النُّبُوَّة فِيهِمْ. وَهِيَ عَلَى أَصْنَاف: مِنْهَا مَا يَتَلَقَّوْنَهُ مِنْ الْجِنّ... فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَام وَنَزَلَ الْقُرْآن حُرِسَتْ السَّمَاء مِنْ الشَّيَاطِين، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ الشُّهُب، فَبَقِيَ مِنْ اِسْتِرَاقهمْ مَا يَتَخَطَّفهُ الْأَعْلَى فَيُلْقِيه إِلَى الْأَسْفَل قَبْل أَنْ يُصِيبهُ الشِّهَاب، إِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]، وَكَانَتْ إِصَابَة الْكُهَّان قَبْل الْإِسْلَام كَثِيرَة جِدًّا كَمَا جَاءَ فِي أَخْبَار شِقّ وَسُطَيْح وَنَحْوهمَا، وَأَمَّا فِي الْإِسْلَام فَقَدْ نَدَرَ ذَلِكَ جِدًّا حَتَّى كَادَ يَضْمَحِلّ وَللهَّ الْحَمْد، ثَانِيهَا: مَا يُخْبِر الْجِنِّيّ بِهِ مَنْ يُوَالِيه بِمَا غَابَ عَنْ غَيْره مِمَّا لَا يَطَّلِع عَلَيْهِ الْإِنْسَان غَالِبًا، أَوْ يَطَّلِع عَلَيْهِ مَنْ قَرُبَ مِنْهُ لَا مَنْ بَعُدَ. ثَالِثهَا: مَا يَسْتَنِد إِلَى ظَنّ وَتَخْمِين وَحَدْس، وَهَذَا قَدْ يَجْعَل اللهَّ فِيهِ لِبَعْضِ النَّاس قُوَّة مَعَ كَثْرَة الْكَذِب فِيهِ. رَابِعهَا: مَا يَسْتَنِد إِلَى التَّجْرِبَة وَالْعَادَة، فَيُسْتَدَلّ عَلَى الْحَادِث بِمَا وَقَعَ قَبْل ذَلِكَ، وَمِنْ هَذَا الْقِسْم الْأَخِير مَا يُضَاهِي السِّحْر، وَقَدْ يَعْتَضِد بَعْضهمْ فِي ذَلِكَ بِالزَّجْرِ وَالطَّرْق وَالنُّجُوم، وَكُلّ ذَلِكَ مَذْمُوم شَرْعًا».

(١) أخرجه مسلم رقم٢٢٣٠ عن بعض أزواج النبي ﷺ. وفي رواية عند غير مسلم قال ﷺ: «من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أخرجه أحمد والحاكم عن أبي هريرة، وصححه بعض العلماء، ورواية مسلم أصح، وبعض الروايات فرقت بين من صدقه فقد كفر ومن أتاه فلم يصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً.

(٢) وخاصة أذكار الصباح والمساء، وقد سبق ذكرها.

الإخلاص والفلق والناس، وخاصة سورة الفلق التي جاء فيها الاستعاذة من فعل أهل السحر: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤].

ومن استطاع أن يداوم على الأدعية المأثورات كل يوم صباحاً ومساءاً، فيجعلها ورداً ثابتاً له، فذلك حسنٌ عظيمُ الأثر في حفظه من هذه الشرور، عدا عن أن هذه الأذكار المأثورة تذكره بالله وتزيد تعلقه بالله وبقدرته وفعله، فلا يخاف من المخلوقات ولا يصيبه ضر منها.

ولا شك أن قراءة القرآن والذكر من أعظم أسباب حفظ الإنسان من السحر، بإذن الله.

وأثر السحر والحسد قد لا يقف عند الإيذاء في الزواج والعمل، بل قد يصل إلى التأثير على الإنسان في تَدَيُّنِه، فيكون سبباً في تقييد الإنسان عن الطاعة وفي إبعاده عن تزكية نفسه، لذلك لا ينبغي لمسلم أن يتهاون في أذكار الصباح والمساء التي جعلها الله سبباً في الحفظ من تلك الشرور وغيرها، فذكر الصباح سبب في حفظ المسلم في نهاره وذكر المساء سبب في حفظه في ليله، فإذا ترك ذكره في ليلة أو نهار فقد فتح باباً يمكن أن يخترقه منه الشر والضر والأذى والسحر والعين.

ـ لقد ربط الله عز وجل هذا الكون بقوانين مطردة ومستمرة لا تتبدل ولا تتحول على مدار الزمن قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]، والله تعالى أمر المسلمين أن يحترموا هذه السنن، فيطلبوا المسبَّبات المشروعة من أسبابها المشروعة، وأن يُعرِضوا عن الأسباب الخفية المزعومة التي يلجأ إليها الدجالون والمحتالون، والتي تتضمن فعلاً محرماً، وغالباً ما تكون عن طريق اتصالهم بالجن، فلا يجوز أن تتوهم صدقهم ولا معرفتهم بالغيب، والله تعالى يقول: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقد بين النبي ﷺ لماذا يكون كلام العرافين والكهنة أحياناً صحيحاً، فيتوهم الناس أن كل كلامهم صحيح، فيما روت عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسولَ الله ﷺ ناسٌ عن الكهان فقال: ليس بشيء[1]، فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً[2]؟ قال: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرُّها في أذن وليه[3] فيخلطون معها مائة كذبة»[4].

كما نهينا أن نذهب إلى العرافين لسؤالهم عن الغيب والأسرار، ونهينا أن نلجأ إلى السحرة لإذاية الناس، قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من تَطيَّر ولا من تُطُيِّرَ له، أو تَكهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَرَ أو سُحِرَ له[5]»[6].

---

(١) في رواية مسلم: ليسوا بشيء.

(٢) أي أنه يقع كما أخبروا.

(٣) وليه: أولياء الشياطين هم الإنس الذي يحبونهم ويناصرونهم ويتعاملون معهم ويلقون السمع إليهم.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٥٤٢٩ ومسلم رقم ٢٢٢٨، وفي رواية أخرى لمسلم رقم ٢٢٢٩ أن عبد الله بن عباس قال أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذي يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال، قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتَخطف الجنُّ السمعَ، فيقذفون إلى أوليائهم، ويُرمَون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق، ولكنهم يَقْرِفُونَ فيه ويَزيدون».

(٥) وفي رواية تسَحَّرَ أو تُسُحِّرَ له، (تَسحر): أي عَمِلَ السحرَ، و(تُسحِّر له): أي عُمَلَ السحرُ بطلبه.

(٦) حديث حسن، أخرجه البزار رقم ٣٥٧٨ والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ١٦٢ =

ـ وإذا ابتلى المسلم بالسحر فليعالج ذلك بالقرآن وقراءته وخاصة سورة البقرة، فهي كما قال النبي ﷺ: «اقرءوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، و تركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة[1]»[2]، وإذا احتاج إلى من يعينه في العلاج فليبحث عن شيخ مؤمن صادق، معروف بالاستقامة والصلاة، بعيد عن المعاصي، يعالج بالقرآن والسنة، فلا يرضى بمعالِجْ إلا بعد أن يثق بدينه ويتأكد من صلاحه، لأن بعضاً ممن يشتغل اليوم بالمعالجة هم من أهل السحر، فربما آذوا الإنسان أكثر مما ينفعونه، عدا عن أنهم يعالجون بالحرام والمعصية، ويأخذون أموال الناس بالباطل.

وقد جعل الله تعالى في تمر المدينة خاصية منع ضرر السحر لمن أكله في كل صباح، قال ﷺ: «من تصبح كل يوم سبعَ تمراتٍ عجوةً لَمْ يَضُرّهُ ذَلِكَ الْيَوْم سم ولا سحر»[3]، وفي رواية لم يقيده بتمر العجوة وحده وإنما جعله في أي تمر من تمر المدينة[4].

ـ ويجب على كل ساحر أو ساحرة أن يتوبوا إلى الله، وتجب التوبة على كل من ذهب إلى ساحر فعمل عنده سحراً، ومن شروط هذه التوبة فك السحر لمن سَحَرْت له، وإخبار المسحور ليسعى في فك سحره إن لم تفكه له، وطلب المسامحة منه لما أصابه من أذى من ذلك.

= رقم ٣٥٥ عن عمران بن حصين رضي الله عنه، وانظر مجمع الزوائد: ٥/ ١٠٣ و١١٧. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان رقم ١١٧٦ من كلام كعب يقول: قال الله عز وجل...

(١) البطلة: هم المبطلون أي السَّحَرة.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٨٠٤ وأحمد رقم ٢٢٢٠٠، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٤٣٦، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم رقم ٢٠٤٧، عن سعد رضي الله عنه.

المبحث السادس

الخمر والمسكرات والمخدرات

من المحرمات والمعاصي الكبيرة: شرب الخمر والمسكر، وقد حرمه الله لما فيه من تغييب العقل واختلاله، وأساس كل صلاح وتزكية وخير إنما يكون من وراء استعمال العقل، وأساس كل شر وفساد غياب العقل، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠].

وقد حرم الله كل مسكر، ولم يبح شرب القليل منه ولو لم يسكِر، قال ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام»(١).

وبين الله تعالى حكمة تحريم الخمر بأنه يبعدك عن مقاصدك التي خلقت لها إذ تغفل به عن الله وتغيب عن أمره، ولا يمكن أن تقوم بأمر وأنت بلا عقل ولا وعي، بل هذه الحالة يمكن أن تجعلك تتصرف بخلاف مراد الله وتفسد في الأرض، قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

الخمر يذهب العقل، ويتلف الأموال، ويضر بالأجساد، ويهدم الأخلاق، فيؤدي إلى العداوات والمفاسد، في الأسرة والمجتمع.

وقد ثبت أن النبي ﷺ حدَّ شارب الخمر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ ضرب في الخمر بالجريد والنعال(٢)، وجلد أبو بكر

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٢٦٤ عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله ﷺ عن البتع وهو نبيذ العسل، وكان أهل اليمن يشربونه، فقال... وروى نحوه مسلم رقم ٢٠٠١.

(٢) الجريد: ورق النخل، والنعال: الأحذية.

أربعين»[1]، ولما كثر الفساق والشاربون رأى أصحاب رسول الله ﷺ أن يزيدوا الحد من باب التعزير، فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: «كنا نؤتي بالشارب على عهد رسول الله ﷺ وإمرة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين»[2]، وقد اجتهد في ذلك بعض الصحابة رضي الله عنهم، لأن مِن أقلِّ ما يفعله السكران أنه يهذي فيقع في أعراض الناس قَذْفاً، فعاملوه بمثل حدِّ القذف.

وقد حذر النبي ﷺ شارب الخمر من نقصان النعيم في الجنة إذا لم يتب، مع ما يستحقه من عذاب، فقال ﷺ: «من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها؛ حُرِمَها في الآخرة»[3].

وإذا آمن الإنسان وقوي إيمانه فإنه لا يتردد في تنفيذ أحكام الله، ولا يتردد في ترك الخمر وسائر المحرمات، فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ كان منهم من يشرب الخمر، فحينما حُرِّمَت لم يترددوا في تركها، وأراقوا جميع آنيتها[4].

ولا شك أن جريمة شرب الخمر والمُسْكِر كبيرة، ذلك أنه يمكن أن يفعل كل كبيرة بسبب سُكْرِه وغِياب عقله، فيمكن أن يقع في الزنا أو يقتل أو يكفر ويسب الله والدين أو يسرق أو يشتم الناس أو غير ذلك.

وكذلك المخدرات التي تذهب بعقل الإنسان ووعيه، لذلك فإنها تأخذ

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٣٩١.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٣٩٧.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٢٥٣ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٤٣٤١ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

حكم الخمر، على الأقل، بل يمكن أن يعاقَبَ عليها بأكثر من ذلك لما يترتب عليها من الفساد، ولأنها مفتاح لكل الموبقات والشرور والجرائم.

وإذا كان شارب الخمر يمكن أن يفعل كل الخبائث إذا شرب، فإن متعاطي المخدرات يمكن أن يفعل كل الخبائث حتى يحصِّل المخدِّرات، فيمكن أن يسرق أو أن يقتل أو أن يزني أو يرتشي أو يعين الكافرين والمجرمين، ليحصل شيئاً من المخدرات، فالخمر والمخدرات تتشابه في أثرها في التمادي إلى المعاصي وفي إيذاء المجتمع وإفساده، وفي تغييب العقل والوعي(١).

والذين يروجون المخدِّرات ونحوِها إنما هم عاملون على إفساد المجتمع المؤمن، حتى ولو لم يتعاطَوْها، لذلك كانت جريمتهم أكبر وعقوبتهم أكبر، تدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وكذلك كل من يعين على شرب الخمر فإنه آثم ملعون، لأنه مشارك في الوصول إلى نتائجها الباطلة الخبيثة، كما قال ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له»(٢).

---

(١) ومن العجيب في زماننا أن كثيراً من دول العالم فرقت بين الخمر والمخدرات، فوضعت قوانين تبيح الخمور والاتجار بها؛ في حين أنها تحكم بالإعدام على تاجر المخدرات، على الرغم من أن الخمور لا تقل ضرراً عن المخدرات، ففي إحدى السنوات جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية أن ٨٦ ٪ من جرائم القتل تمت تحت تأثير الخمر، وأن ٥٠ ٪ من جرائم الاغتصاب كانت تحت تأثير الخمر، بما في ذلك اغتصاب البنات والأخوات والأمهات، وأن الخمر تسبب بما يزيد عن ٥٠ ٪ من حوادث السير.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٣٦٧٤، عن ابن عمر رضي الله عنهما، =

ـ إن أكثر ما يدفع الإنسان إلى شرب الخمر والمخدرات، رغبته في النشوة والتكييف، أو رغبته في الهروب من الواقع وآلامه وبلائه ومشكلاته وتكاليفه، وإذا تربى الإنسان على أن الدنيا دار بلاء واختبار، ودار عمل وطاعة واجتهاد وعبادة، لم يلتفت إلى هذه الأوهام التي تصنعها المخدرات والخمر، بل يرى ذلك من الوهم لأنها لن تذهب بحقيقة البلاء والآلام والمشكلات، بل تبقى وتزداد ويطول أمدها بسبب هروبه من معالجتها علاجاً صحيحاً، وتوقعه في مشكلات جديدة من الآثار السلبية للمخدرات والخمر، كما تفوت عليه نعيم الآخرة وتعرضه لعذاب الله.

ـ والصحبة السيئة تجر الإنسان إلى الخبائث والمعاصي، فلا يجوز للإنسان أن يتهاون في صحبة الأشرار الذي يُغرُون الإنسان بالخمر والمخدرات وغيرها من السيئات.

ومعرفة مخاطر المخدرات ونتائجها السيئة على الجسم والنفس والمجتمع والمال والعرض؛ يشكل مانعاً من السقوط فيها.

ومعرفة الطريق السليم المشروع للترويح عن النفس؛ يغني الإنسان عن أن يبحث عن المخدرات والمُسْكِرات، فالسياحةُ في الأرض والصِّلاتُ الاجتماعية الطيبة بين الأقارب والأصحاب لها من الجمال والنشوة واللذة ما يغني عن التفكير في نشوة الخمر والمخدرات التي يعقبها الآلام والاكتئاب والقلق والجرائم والمصائب والحوادث والفساد والشذوذ والكسل.

= وأخرج نحوه الترمذي رقم ١٢٩٥، عن أنس ﵁، وقال: غريب من حديث أنس، وبيَّن أنه روي عن عدد من الصحابة، والحاكم رقم ٢٢٣٤، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصحح إسناده.

ـ أما الموسيقى الراقصة والأغاني الماجنة التي تدعو إلى الفاحشة والشهوات تشكِّل عوناً ومساعداً ودافعاً إلى المُسْكِرات، لذلك قرن بينهما النبي ﷺ حينما قال: «يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير»(١)، وواجب المسلم أن يستعيض عن هذه الأغاني المحرمة بتلاوة القرآن وتجويده، ولا بأس بسماع الإنشاد الطيب الذي يتضمن معانيَ إيمانية ودعوةً إلى الخير والطاعة.

ـ الدخان والقات:

والمسلم المزكي لنفسه الحريص على طهارتها يتحرز مما هو دون الخمر خوف الوقوع في الخمر والمخدرات، **فالدخان والقات**(٢) وأمثالها؛ بالإضافة إلى ما فيها من الشر والسوء، يمكن أن تكون طريقاً إلى الخمر والمخدرات، والواقع يشهد لذلك.

والتهاون في الأمور الصغيرة قد يقود إلى التهاون في الكبائر، أو يفتح لها الطريق، أو يَستدرِج إليها.

---

(١) حديث حسن، أخرجه ابن حبان رقم ٦٧٥٨ عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) القات: شجرة منتشرة في اليمن وبعض البلاد، تمضغ أوراقها، وتُبقى مخزنة في الفم تحت الخد، تعتبر علمياً وطبياً نوعاً من المخدِّرات، لأنها تنبه الأعصاب، تُذهب النوم وتُشعر بالنشاط وتزيد قدرة الذهن على التركيز إلى حد قد يصل إلى الوهم، تسبب مرض سلسل البول، وقد تؤدي إلى سرطان الرئة، كما تخرب الأسنان، يجتمع الناس على تخزينها في مجالس تستغرق الساعات الطويلة، فهي تقتل أوقات الناس بلا نفع ولا عمل غالباً، كما هي مضرة اقتصادياً، حيث إن الناس يزيلون الأشجار المثمرة والفواكه والخضار، ويزرعون مكانها هذه الشجرة لغلاء أوراقها، مما قد يصل بالبلاد إلى حاجتها يوماً ما إلى استيراد فاكهتها وخضارها، وهذا مقتل اقتصادي كبير.

والدخان(١) يحمل أنواعاً من السموم، ويؤدي إلى عدد من الأمراض والأضرار، وفيه إيذاء للآخرين، ويُنفَق عليه من الأموال يومياً ملايين الدنانير في كل بلد، والقات يؤدي إلى بعض الأمراض، وتضيع كثير من الأراضي الخصبة في زراعة الدخان والقات، كما تُهدَر كثير من الأوقات في مجالس التدخين والقات، في غير نفع ولا خير، كما يُتهرب بها أحياناً من الواجبات والتفكير في بعض المهمات.

ولا يتصور أن يرضى بشيء من هذه الأمور رجل صادق يريد أن يتطهر ويزكي نفسه ويترقى.

فواجب كل مسلم ابتلي بشيء من ذلك أن يسعى للتخلص والتوبة منه، لأن الله تعالى حرّم الخبائث وأحل الطيبات ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ويعدّ الدخان من أخطر الخبائث، والله تعالى حرم كل ما فيه ضرر، والنبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار»(٢)، والدخان والقات ضرر كله وإضرار بالصحة والمال والزرع والوقت، ولا يجوز إتلاف الأموال بلا طائل، والدخان إتلاف للمال.

---

(١) ونحوه النرجيلة والشيشة.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ٢٨٦٧ عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورقم ٢٢٨٣٠ عن عبادة بن الصامت، وأخرجه الحاكم رقم ٢٣٤٥ عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وأخرجه مالك مرسلاً في الموطأ رقم ١٤٢٩.

المبحث السابع

التولي يوم الزحف وهو الهروب من القتال المشروع أو الواجب

حينما يكون الجهاد في سبيل الله فرضاً فليس للمسلم أن يتخلف عنه، ولا أن يبخل بنفسه عن نصرة دين الله وعن الجندية لله، وإذا دخل المسلم معركة مع الكافرين فواجبه أن يسد ثغرة وأن يحمي نفسه وإخوانه، وأن ينوب عن المسلمين في حمايتهم وحماية دولتهم ودينهم، فحينما يتخلى عن هذا الواجب فإنه يعرض إخوانه ودولته ودينه للأذى والهزيمة، وإذا تساهل في هذا أفراد من هنا وهناك يمكن أن يؤدي إلى انهيار الجيش المقاتِل، لذلك حرم الله تعالى هذا الفرار وتوعد عليه بالغضب والعذاب، وعَدَّهُ النَّبيُّ ﷺ من الكبائر المُهْلِكة[1]، فلا يصح للإنسان أن يترك جبهة القتال إلا بقرار سليم حكيم يحقق المصلحة ويراعي الظروف والضرورات، ولا يكون هذا القرار عادة من الأفراد المقاتلين بل يكون من قائد المعركة أو قائد الجيش أو قائد الدولة المسلمة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٥-١٦].

ـ والذي يدعو المقاتل إلى أن يهرب من المعركة هو خوفه من القتل أو الموت أو الأذى، وضعف إيمانه بمعركته ضد الباطل، فحتى لا يقع المسلم في معصية التولي من الزحف لا بد أن يكون على حال قوي من الإيمان برسالته،

(١) وقد سبق ذكر الحديث، أخرجه البخاري رقم ٢٦١٥ ومسلم رقم ٨٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والرضا بما يقضيه الله فيه، وأن يعلم أن الضرر أو الموت الذي يهرب منه سوف يصيبه في المكان الذي هرب إليه؛ إذا كان الله قد قضى عليه ذلك الأمر.

ـ ومثل التولي من الزحف التخلف عن القتال أصلاً حينما يكون فرضاً، وهو من المحرمات الكبائر، وقد ذم الله المتخلفين في آيات كثيرة وتوعدهم بالعذاب، وبين أنهم يتخلفون بسبب ذنوبهم وتعلقهم بالدنيا، قال سبحانه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال سبحانه: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [الفتح: ١١].

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٥-١٦].

المبحث الثامن

الزنا والنظر إلى ما حرم الله وشهوات الفرج

النظر إلى ما حرم الله من أخطر الذنوب، وهو من أكثر الذنوب في هذا الزمان.

وقد نبه النبي ﷺ إلى أن أكثر الذنوب من اللسان والفرج، حينما سُئِلَ عن أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»(١)، فذنوب اللسان وذنوب شهوة الفرج هي أكثر ما يقع فيه الناس ويكون سبباً في دخولهم النار، ومعلوم أن مفتاح الزنا وذنوب الفرج هو النظر المحرم، في الغالب.

وقد بين النبي ﷺ أن من يتجنب الوقوع في هاتين المعصيتين كأنما تحاشا كل الذنوب، فقال ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»(٢).

فمن واجب المسلم أن يعطي اهتماماً كبيراً لغض البصر، ولا يتهاون في هذه المعصية، ولا يسمح لنفسه تقبُّلَها أو التعودَ عليها، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١]، وأنت ترى في الآية كيف جمع الله بين غض البصر وحفظ الفرج، مما يشير إلى التلازم بينهما وأن حفظ النظر سبيل حفظ الفروج، وانظر كيف ربط الله بين التزكية وبين غض البصر بقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾.

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٠٠٤، عن أبي هُريرة رضي الله عنه وقال: صحيح غريب، وأخرجه ابن حبان والحاكم وصحح إسناده وزادا: «الأجوفان».

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦١٠٩، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ولا ينبغي للمسلم أن يَعُدَّ هذه المعصية كسائر المعاصي، فإن الشهوة ولذاتها إذا دخلت القلب أخذت أوقات الإنسان وشغلته عن الطاعات وصرفته عنها، وشغلت فكره عن التفكير الصحيح، وأخذت حضوره فكلما أراد أن يكون خاشعاً نازعته شهواته وصرفته عن الحضور والخشوع والتركيز في صلاته وذكره وتلاوته وعلمه، يضيع وقته وجهده وطاقته وينشغل عن منافعه الحقيقية، وينشغل عن التعلُّم وعن العمل النافع، وكثيراً ما تضيِّع الشهوة مال صاحب الشهوة، إذ يبذله في شهواته والتوصل إليها.

وقد بين النبي أثر الزواج والصيام في تطهير النفس من شهوة النظر والفرْج، فقال: «من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»[1]، أي حافظ، لكن لا بد أن ينتبه المسلم أنه ليس المقصود مجرد الصيام في النهار، ثم يفطر على طعام كثير في الليل، فتثور شهوته وتفور، بل لا بد حتى يتحقق ضمور الشهوة أن يبقى طعامه قليلاً عند فطوره وسحوره، فعندئذ يجد المسلم علاجاً لشهواته في الصيام.

ولا ينبغي أن يستهين المسلم في قضية النظر إلى النساء والتعامل معهن بغير ما أحل الله، فهي أعظم الفتن وأخطرها، وأسرعها دخولاً إلى قلب الإنسان، وأقواها في سَوْق الإنسان إلى المعصية والمُنكَر والفاحشة، قال ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[2]، وشدد النبي ﷺ في التحذير منها بقوله: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفُكم فيها فينظر كيف تعلمون،

(١) أخرجه البخاري رقم ١٨٠٦، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٨٠٨ ومسلم رقم ٢٧٤١ عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»(١)، وقوله «**واتقوا النساء**»، أي اجعلوا بالعفة حاجزاً وواقياً لأنفسكم، حتى لا تُفْتَنوا بالنساء في شهوة محرمة(٢).

وقد حذرنا النبي ﷺ من اختلاط الرجال في مجتمع النساء، فقال ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الْحَمْوَ؟ قالَ: «الْحَمْوُ الْمَوْتُ»(٣)، والحَمْوُ: قَرِيبُ الزَّوْجِ كأَخِيهِ، وابن أخيه، وابْنِ عمِّهِ، الذين يدخلون على المرأة بحجة القرابة، وهم ليسوا من المحارم، فيكون ذلك مفتاحاً من الشيطان للتوصل إلى الفاحشة.

وقد حذرنا الله من الزنا ومن القرب منه ومن أسبابه: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]، فالزنا أمر فاحش كبير وهو طريق سيء غير سليم للوصول إلى الشهوة وقضائها.

وقد شدد الله العقوبة على الزنا، فجعل عقوبة الزاني المتزوج الرجم حتى الموت(٤)، وجعل عقوبة الزاني غير المحصن مائة جلدة ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٧٤٢،عن أبي سعيد الخدري ﵁، وروى البخاري نحوه رقم ١٦٩٩.

(٢) ولا يدخل في هذا التوقي ما كان من شهوة النساء حلالًا، كالزوجة، فلا يُتوقَّى ما أباحه الله منها.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٤٩٣٤ ومسلم رقم ٢١٧٢، عَنْ عُقْبَةَ بْن عَامِرٍ ﵁.

(٤) انظر حديث البخاري رقم ٢٥٤٩ وفيه: «وأما أنت يا أنيس ـ لرجل ـ فَاْغْدُ على امرأة هذا فارجمها، فغدا عليها أنيس فرجمها»، وانظر حديث البخاري ٦٤٣٠ ومسلم رقم ١٦٩٧، وفيه اعتراف أحدهم بالزنا فسأله النبي ﷺ إن كان محصناً فقال نعم، فرجمه، وانظر حديث البخاري رقم ٦٤٤١ ومسلم رقم ١٦٩١ وفيه قول عمر بأن حد الرجم فريضة في كتاب الله إذا ثبت بالبينة أو الحَمْل أو الاعتراف، وأنهم رجموا مع رسول الله ﷺ، وانظر حديث البخاري رقم ٣٤٣٦ ومسلم رقم ١٦٩٩، وفيه رجم الزاني والزانية من اليهود، =

وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

وهذه العقوبات الشديدة كافية لتنبه الإنسان إلى عِظَم جريمة الزاني، حيث يخالف أمر الله، ويعتدي على أعراض الناس، وإنك لتدرك خطورة الزنا حينما تنظر إلى بلاد الكفر الذين استشرى فيهم الزنا فكان سبباً في تفكك الأسرة، وزوال الروابط العشائرية والأسرية حتى بين الآباء وأبنائهم، إذ كيف يرتبط الإنسان بأسرة يشك في أنه منها، ويترتب على تفككِ الأسرِ عدمُ التعاون على الإنفاق وعدم التكافل المالي الذي أوجبه الله بين القرابة، كما تنعدم الخدمة للآباء إذا كبروا في السن أو مرضوا واحتاجوا الخدمة، كما تنقطع صلة الرحم التي يجد فيها الإنسان راحة وتراحماً اجتماعياً وأنساً في الحياة وعوناً على الخير والهداية(١).

= وأنه حدهما في التوراة كذلك. وانظر البخاري رقم ٦٤٤٩، وفيه أنهم رجموا مع رسول الله ﷺ وفيه تساؤل بعضهم هل كان هذا قبل نزول آية النور أو المائدة أم بعده فقال: لا أدري.

(١) ومما ترتب في بلاد الغرب على تفكك الأسر وانفكاك الارتباط بالآباء والأمهات: أن الفساد الأخلاقي قد زاد إلى حد الاعتداء وعدم ضبط النفس، وزادت الجريمة، وخاصة من أولئك المواليد الذي لا يتربَّون في بيوت الآباء والأمهات بل ينشّؤون في الملاجئ، فزادت الجريمة منهم؛ لأنهم لا ينالون حظاً من العاطفة الفطرية البيتية، ولا يتربون على الأخلاق الكريمة، وينقمون على المجتمع الذي لا يجدون منه رحمة ولا يجدون لهم رابطاً فيه ولا عاطفة تجاهه، وبسببٍ مِن زيادةِ الجريمة ارتفعت الضرائب لمواجهة الجريمة ولكفالة الأطفال في الملاجئ، فصار ما يتهرب من إنفاقه الآباء في بيوتهم ينفقونه ضرائب دون أن ينالوا خيراً مقابل ذلك، ودون أن يعيش الأطفال في كنف الآباء والأمهات، ودون أن يستفيدوا من رحمتهم وحنانهم، وإذا علمت أن نصف المواليد في أكثر الدول الغربية هم مواليد زنا؛ فتصور كم هو حجم المشكلة عندهم، ونتيجةَ التواصلِ المحرم انتشرت أمراض وأوبئة، وكل ذلك من العقوبات الفطرية الربانية على مخالفة أمره.

ومِثْل الزنا في خطورته وأثره في هدم طهارة النفس: اللواط بين الرجال، والسحاق بين النساء، أعاذنا الله من كل ذلك، وهذه الأفعال مع حرمتها تتنافى مع الفطرة السليمة، وقد سماها الله فاحشة، فهي من الكبائر، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٢٩].

ومن مقدمات شهوة الفرج التي يجب أن تحذرها المرأة ويحذر منها الرجل: ميوعةُ النساء في القول، الذي يُلِيْنُ قلوب الرجال ويفتنُهم، والتهاونُ في كشف الحجاب، والاختلاطُ بالرجال بلا ضوابط، والخلوةُ بهم وخاصة بالأقارب الذين يحرم النظر منهم، كابن العم وزوج الأخت وأخي الزوج.

ويجب أن يكون الرجل شديداً في رد من يجد منها ميلاً إلى الفاحشة، وكذلك المرأة ينبغي أن تكون شديدة مع من تجد منه رغبة وميلاً إلى الفاحشة، فالخجل في ذلك خطير العاقبة.

المبحث التاسع

ذنوب اللسان

أمرنا الله تعالى بإصلاح اللسان والكلام، وبين أن للشيطان مدخلاً إلى الإنسان بسبب الكلام الباطل والسيء، فقال سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقد نهانا الله عن عصيانه بكلامنا، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَـٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المجادلة: ٩].

والذي يدلك على أهمية اللسان وخطورته أنه هو العضو الذي بكلمات منه تدخل الإسلام، فتستحق الجنة، وبكلمات منه يمكن أن تكفر، فتستحق النار.

بل قد يتكلم الإنسان بالكلمة ولا ينتبه إليها فتكون سبباً في عذابه، قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»(١).

وقد تكفل الله تعالى لمن يتقي الله ويُصلِحُ لسانه أن يُصْلِحَ له سائر أعماله، قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، فقوله ﴿ يُصْلِحْ ﴾ جواب شرط متضمن من معنى الكلام السابق: أي إن تتقوا الله وتقولوا القول السديد يصلحْ لكم أعمالكم.

(١) أخرجه البخاري رقم ٦١١٢ ومسلم رقم ٢٩٨٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه، كما أخرج البخاري عنه رقم ٦١١٣ قال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعُ اللهُ بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم».

ويؤكد النبي ﷺ هذه الحقيقة في أحاديث كثيرة، منها قوله: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[1]، ومعنى الحديث أن من شغل لسانه بالكلام الفاسد اشتغل عقله بالتفكير به، فينحرف الفكر والقلب بذلك، ومن ترك الكلام الفاسد وحرص على الكلام النافع؛ اشتغل عقله وقلبه بالحق والتفكير بالحق، فيصير كلامه طيباً مليئاً بالحكمة مسدداً، وهذا معنى قول السلف الصالحين بأن الصمت يورث الحكمة، والعاقل يحرص على الحكمة، ويحرص على ما يكون سبباً فيها، لأن الله تعالى قال عن الحكمة: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد أكد النبي ﷺ أن اللسان إمام في الجوارح والأعضاء فقال ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[2]، فهذا الحديث يطلعنا على أمر غيبي وهو أن اللسان هو قائد في هذا الجسد، فاستقامته سبب في استقامة الأعمال، وانحرافه سبب في انحرافها، ومما يدلك على صحة هذا الأمر أنه لا تكاد توجد معصية إلا وهي تبدأ باللسان، فالذي يريد أن يزني يمهد لذلك باللسان والقول، والذي يريد أن يشرب الخمر يمهد لذلك بشرائه وقوله، وهكذا، فكان اللسان سبباً ووسيلة من وسائل المعاصي أو مشاركاً فيها.

---

(١) حديث حسن، أخرجه أحمد ١٣٠٧١عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث حسن، أخرجه الترمذي رقم ٢٤٠٧ وأحمد نحوه رقم ١١٩٢٧ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ـ والله تعالى رقيب على كل أعمالنا، ومع ذلك نبهنا إلى رقابته على كلامنا، تنبيهاً لنا وتحذيراً من تجاوز الحدود بالكلام الباطل والسيء، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ومن جعل الله رقيباً عليه يتأدب بلسانه ويحذر في كلامه، ومن حرص على ذكر الله شغله عن الكلام الباطل والسيء واللغو، ومن حرص على نفعه اشتغل بكلام الخير مما يقربه إلى الله من علم وذكر وقرآن ودعوة إلى دين الله، ونحو ذلك، ومن تذكر الآخرة وأنه سيحاسب فيها على كل كلمة وفعل؛ كان حريصاً على إصلاح لسانه، ومن عرف خطورة أمر اللسان كان حريصاً على إصلاحه والعناية به، والحذر من تقليد الناس في كلامهم الذي لا يلقون له بالاً مما يُغضِب الله ونَأْثَم به.

أهم معاصي اللسان وآفاته والتحذير منها

ـ الكذب:

من كبائر اللسان: الكذب، وهو وصف شيء على غير حقيقته.

وقد عدَّ رسول الله ﷺ الكذب من أكبر الكبائر حينما قال: «ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»، وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا **وقول الزور**» فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[1]، وفي رواية: «وشهادة الزور»[2]، فتزوير الحقائق وقلبها، وهو الكذب، من أعظم الذنوب وأكبرها جرماً عند الله، وخاصة إذا ترتب عليه تضييع حقوق الناس، وأكل أموالهم بالباطل، وتحويل الحق إلى غير صاحبه، وذلك ما يفعله شاهد الزور.

والكذاب يغيّر الحقائق ويقلبها، فهو مفسد ومجرم، ويكون إفساده بحسب أهمية تلك الحقيقة التي يكذب فيها، وبحسب خطورتها وما ينبني عليها.

والكذب طريق إلى النار، قال ﷺ: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[3].

ـ الخوض في الباطل:

وذلك كالخوض في أحاديث تكذِّب دين الله وحقائقه أو تثير الشبهات،

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٩١٨ ومسلم نحوه رقم ٨٧ عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٥٢١ عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٧٤٣ ومسلم رقم ٢٦٠٧ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

أو تدعو إلى الفجور والفسق وما يثير الشهوات أو يحبِّب الدنيا، وقد وصف الله تعالى أهل النار بأنهم إذا سئلوا عن سبب دخولهم النار؛ يجيبون بأن من أسبابه هذا الخوض ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٥].

وكما نهانا الله تعالى عن الخوض نهانا عن الجلوس مع الخائضين وعن السماع لهم، وخاصة إذا كان الخوض فيما هو من الكفر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

ـ القذف:

وهو من كبائر اللسان التي يجب تجنبها والحذر منها وتزكية النفس منها، والقذف هو اتهام غيرك بالزنا ـ رجلاً أو امرأة ـ ولم يثبت عليه الزنا بحكم شرعي، وقد أوجب الله على القاذف ثلاث عقوبات: ثمانين جلدة، وعدم قبول شهادته، ووصفه بالفسق، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

والذين يتهمون الناس بالزنا يشيعون الفاحشة ويروِّجونها في المجتمع، وقد حذرهم الله أشد الحذر فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وينبغي أن يتنزَّه المسلم عن تهمة الآخرين ولو بغير التصريح، فلا يصح أن تذكر رجلاً أو امرأة ثم تقول: (لا أضعه أو لا أضعها على ذمتي)، وهذا أسلوب مستعمل في بعض المجتمعات يشيرون به إلى أنهم لا يستبعدون وقوعه أو وقوعها في الفاحشة(١).

(١) وقد شدد المالكية في هذا واعتبروه قذفاً يوجب إقامة الحدّ، فقالوا: =

ولو أن رجلاً رأى ما يشكك بالزنا، كالخلوة التامة؛ فليس له أن يتهم بالزنا، وإنما يجوز أن يشهد بما عرف من وقوع الخلوة فقط، ولا يجوز لنا أن نتهم الفاسقةَ، كتاركة الحجاب والتي تختلط بالرجال وتخلو بهم؛ لا يجوز أن نتهمها بالزنا، بل لو أن رجلاً رأى الزنا بعينيه ولم يكن معه ثلاثة شهود؛ فلا يجوز له أن يشيع ذلك، ولا أن يحدث عما رأى، ويقام عليه حد القذف ما لم يأت بشهود ثلاثة آخرين قد رأوا معه.

والله تعالى أراد بهذه التشريعات أن يُطَهِّر المجتمعَ من ذِكْرِ الزنا وإشاعة سمعته على أحد واتهامِه به.

ـ السخرية والاستهزاء وإلقاء الألقاب القبيحة:

نهى الله تعالى عن ذلك كله، فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١]، وقد وعد الله تعالى من يفعل ذلك بالعذاب: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١]، فلا يجوز من مسلم أن يستهين بأحد من المسلمين و لا يحقره ولا يظهر عيوبه ونقائصه ولا يضحك منها.

وإذا علمت أن أخاك الذي تسخر منه وتستهزء منه قد يكون خَيْراً منك عند الله، وقد يختم الله له بخير مما يختم لك؛ فكيف تسخر منه، فالواجب أن تكون أديباً مع كل مسلم، بل تخاف أن يكون ولياً لله، فتؤذيه فيحاربك الله، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بحرب»(١).

= لو أن رجلاً تشاجر مع آخر، فقال له: (أمي شريفة)، يعتبر عندئذ قاذفاً لأنه كأنه يقول تعريضاً بالآخر: أمك ليست شريفة.

(١) أخرجه البخاري رقم ٦١٣٧ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ.

ـ السبّ والشتم واللعن والطعن في الأنساب والفحشُ في القول والبذاءةُ والفجورُ في الخصومة:

قال ﷺ: «سِبابُ المسلم فسوق وقِتاله كفر»(١).

وقال: «ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء»(٢).

وجعل النبي ﷺ من أوصاف المنافق: «وإذا خاصم فجر»(٣)، فلا يجوز للمسلم أن يلعن إلا من لعنه الله عز وجل ورسوله ﷺ، ولا يجوز للمسلم أن يستعمل الألفاظ النابية البذيئة، ولا أن يجاوز الحد إذا خاصم، فيقول ما ليس بحق، أو يفضح ما يجب ستره، ولا يجوز له أن يطعن في أنساب الناس، فالناس مصدقون في أنسابهم، إلا إذا بان الكذب وترتب على الكذب في النسب مفسدة؛ فيجب بيانه.

ومن اللعن ما يوصل إلى الكفر، كمسبة الرب والدين، فليحذر المسلم منه أشد الحذر.

ومما نراه في الواقع أن أكثر ما يقع فيه الناس من ذنوب اللسان، وتكاد تكرر على ألسنتهم في كل يوم مرات: السب والشتم، فالواجب الحذر من ذلك، وتطهير النفس والمجتمع منه، والتأكيد عليه في التربية، وخاصة في تربية الأبناء، وفي البيئات التي يكثر فيها السب والقول البذيء.

ـ الغِيبة:

وهي أن تذكر أخاك المسلم في غيابه، بما يكرهه، حتى لو كان فيه، أما أن

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٨ ومسلم رقم ٢٣٠ عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، أخرجه الترمذي رقم ١٩٧٧، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال: حسن غريب، وابن حبان رقم ١٩٢، والحاكم رقم ٢٩ وصححه، وروى نحوه أحمد رقم ٣٨٣٩.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٣٤ ومسلم رقم ٥٨، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

يتكلم الإنسان بأخيه المسلم ما ليس فيه فذلك هو البهتان والكذب والإفك وهو أكبر إثماً وجرماً من الغيبة.

قال ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهتّه»(١).

وإذا أردت أن تعرف سوء الغيبة وفسادها، فانظر فيما تريد أن تتحدث به على غيرك من المسلمين؛ لو كان فيك، أتحب أن يتحدث به الناس عنك، فما دمت لا تحب أن يذكروك به، فلا تذكره عنهم.

وقد بين الله كراهة الغيبة وقبحها فقال: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

ويحرم على كل مسلم أن يسيء إلى سمعة أي مسلم، كما قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»(٢)، ومعنى عرضه: أي سمعته.

والمؤمن مشغول بعيوبه عن عيوب الناس، وإذا عرف من عيوبهم شيئاً سترها، واستعمل النصيحة مع الحكمة في إصلاحهم، دون الفضيحة والتشهير.

وإذا علمت أيها المسلم أن الله تعالى ينقل من حسناتك إلى من اغتبته وينقل من سيئاته إليك؛ فيكفيك ذلك رادعاً لك عن الغيبة والكلام في المسلمين.

وواجب المسلم إذا وقع في الغيبة أن يتوب إلى الله ويستغفر، نادماً، وأن يستسمح ممن اغتابه، وأن يعمل على إزالة الصورة السيئة من أذهان من اغتاب أمامهم أخاه المسلم، بإظهار محاسنه الأخرى والاعتذار عنه في خطئه، قال ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم رقم ٢٥٨٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٢٥٦٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

«من كانت عنده مظلمة من أخيه من عرضه أو ماله فَلْيَتَحَلَّلْه اليوم قبل أن يؤخذ حين لا يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مَظْلَمَتِه، وإن لم يكن له أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه»(١).

ـ وقد يكون هناك ضرورة شرعية لذكر عيوب أحد من المسلمين، فتجوز الغيبة عندئذ، ولا يكون المتكلم بذلك آثماً، وذلك في الحالات الآتية وأمثالها:

كأن يضطر المسلم لرفع قضية إلى القضاء، يشكو فيها ظلماً من أحد الناس أو خيانة أو رشوة.

أو يتحدث عن منكر يفعله مسلم؛ يتحدث به لبعض الدعاة أو الحكام أو أو الآباء أو غيرهم، ليستعين بهم على إزالة المنكر وتغييره، ورَدِّ العاصي إلى الصلاح.

أو يستفتي في مسألة فيضطر أن يذكر ما فعله غيره من عيب أو منكر لتتضح الصورة للمفتي، وإذا استطاع أن يستغني عن ذكر اسم أخيه الذي يغتابه، فالواجب أن لا يذكره في هذه الحالة.

أو يُحذِّر المسلمين من شر مبتدع يدعو لبدعته، أو فاسق يروج الفساد والفسق بين الناس.

أو يَذكر مسلماً معروفاً بلقب كالأعرج أو الأحدب أو الأعمى، أو يكون معروفاً بوصف كالقصير أو الطويل، فيذكره بلقبه وصفته للتعريف، لا بقصد الذم.

أو يتحدث عن مجاهِرٍ بالفسق والمعصية، فلا حرمة للمجاهِر، فقد أسقط حرمة نفسه، وإذا كان في غِيبته إشاعة للفاحشة أو مفسدة أخرى فلا يجوز غيبته.

---

(١) أخرجه البخاري ٢٣١٧ وأحمد رقم ١٠٥٨٠، واللفظ له، عن أبي هريرة ﷺ.

ـ النميمة:

وهي نقل الحديث بين الناس، على وجه يسبب الفساد بينهم، فإذا نقل كلاماً لا يحب متكلمه أن يُنقَل إلى الآخر، أو يكره السامع أن يَسمعه فذلك من النميمة، وهي من أسباب إيغار الصدور وإثارة الحقد والخصومات والقطيعة بين المسلمين، وقد حذر النبي ﷺ منها أشد الحذر فقال: «لا يدخل الجنة نمام»[1]، وذم الله أصحابها في كتابه في مثل قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

ومن ينم الحديث وينقله على وجه يفسد بين المسلمين فهو فاسق لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، فسمى الله من ينقل الحديث فاسقاً حتى لو كان صادقاً، ثم طالبنا بالتبين والتأكد من صدقه.

ـ تضييع الوعد والعهد والعقد والأيمان والنذور:

فمن صفات المنافق أنه «إذا وعد أخلف»[2]، فالمؤمن يحرص على وعده، ولا يتأخر عنه، لما في ذلك من الكذب، وإيذاء الناس بتضييع أوقاتهم ومصالحهم، كما لا يخلف عهده مع الله والخلق، ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩٦]، ولا يحنث في نذره ويمينه تعظيماً لله ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة: ٨٩]، ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسان: ٧]، ويبقى وقافاً عند العقد فلا يخون ولا يُخْلِف ولا يتهرَّب، ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٧٠٩ ومسلم رقم ١٠٥، عن حذيفة ﷺ، ولفظ البخاري: «قتّات»، وهي رواية عند مسلم أيضاً.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٣٢٧ ومسلم رقم ٥٨، عن عبد الله بن عمرو ﷺ.

ولا يحلف المؤمن يميناً كاذباً غموساً، تغمسه في نار جهنم، فلا يستعمل اليمين لنصرة الباطل والشهادة بالكذب، فذلك من الكبائر، «عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ الله، مَا الكَبائِرُ؟ قالَ: الإِشْرَاكُ بِالله، قالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، قالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قالَ: اليَمِينُ الْغَمُوسُ، قُلتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ؟ قالَ: الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ»(١).

ـ الجدال والمراء:

حذرنا النبي ﷺ من الجدل، ونهانا عنه، وأعلمنا أن الله يبغض أصحابه، فقال ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الأَلَدُّ الخَصِم»(٢).

وإنما ينتج الجدل عن كلام الإنسان كلاماً غير واضحٍ ولا مقنعٍ أو كلاماً بغير حجة، ومن الجدل محاولة إظهار الخلل في كلام الناس أو في ما يقصدون في كلامهم، ومن الجدال أن يحاول الإنسان أن يظهر أن غيره على خطإٍ بغير حجة ليَظهَر أنه أعلمُ منه، لذلك بين النبي ﷺ أن وجودَ الجدل علامةٌ من علامات الانحراف والضلال، فقال ﷺ: «ما ضلَّ قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]»(٣).

وإذا جادلك الآخرون بكلام لا يتضح ولا يظهر دليله؛ فعليك أن تقول الحق وتوضحه، وتبين دليله، ولا تزد على ذلك، ولا تشغل نفسك بالمجادلة

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٥٢٢.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٣٢٥ ومسلم رقم ٢٦٦٨ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) حديث حسن، أخرجه أحمد رقم ٢٢٢١٨ والترمذي رقم ٣٢٥٣ عن أبي أمامة ﷺ، وقال الترمذي: حسن صحيح.

والأخذ والرد، فإن من أراد الحق؛ لا بد أن يرجع إليه إذا كنت قد بينت الحق، ومن لم يرد الحق؛ فمهما زدت من الكلام مع ما بينت له من حجة فلن يرجع إلى الحق، فلا تتعب نفسك بالكلام الكثير، الذي تضيِّع به وقتك ووقت غيرك، ونَبِّهْهُم إلى طلب الحق والرجوع إليه، وارجع إلى الحق إذا بان لك واتضح، ولا تجادل ولا تُمارِ فيه.

وهذا كله فيما كان من أمور الدين، أما أمور الدنيا فلا تستأهل أن يتعب الإنسان نفسه فيها، فما لم يترتب على السكوت عنها ضرر فالسكوت فيها أولى.

ولا يشترط في الجدال أن يكون كلاماً كثيراً، وإنما إذا كان الكلام على غير وجهه الصحيح ولو كان قليلاً فهو جدال، يدل على ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طَرَقَه[1] وفاطمةَ بنت النبي عليه السلام ليلةً، فقال: ألا تصليان؟ فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا[2]، فانصرف حين قلنا ذلك، ولم يرجع إلي شيئاً، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»[3].

ولا يتم علاج الجدل إلا بالعلم وبيان الكلام وقوة الدليل، كما لا بد لعلاج المجادِل من خلق التواضع الذي ينفي حب الظهور على الآخرين وإظهار المزية عليهم.

ـ كثرة المزاح والنُّكَت والطُّرَف:

من هدي النبي ﷺ جواز المزاح القليل الصادق، الذي يتألف نفوس

---

(١) طرقه: أي أتاه ليلًا.

(٢) أي إذا شاء أن يوقظنا من النوم أيقظنا.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٠٧٥ ومسلم رقم ٧٧٥.

الناس ويطيبها، ويزيل الهيبة والحواجز من قلوبهم، ونهى عن الإكثار منه، لما قد يخالطه من غفلة أو كذب أو إفساد للعلاقات وجرح للآخرين، وقد نهينا عن المزاح فيما يمس الدين.

وكيف يكثر المسلم من المزاح وإضحاك الناس، ورسول الله ﷺ يقول: «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً»(١).

والمزاح والنكتة فيما يمس عقيدة المؤمن قد يصل إلى الكفر، وصاحبه لا يشعر، فليحذر المسلم منه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

والذي يحرص على المزاح والنكت في كل وقت يصير قلبه مشغولاً بغير الخير، فينصرف بذلك قلبه ولسانه عن ذكر الله وطاعته، ولو لم يكن في المزاح إلا هذا العيب لكفى سبباً لتركه والتخلص منه.

- الكلام فيما لا يعني:

نبهنا الله تعالى إلى أن أكثر كلامنا ليس في خير ونفع: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [النساء: ١١٤].

وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»(٢)، فندبنا النبي ﷺ إلى ترك الكلام فيما لا يعني الإنسان ولا يهمه، لأنه قد يسبب الخوض في

(١) أخرجه البخاري رقم ٩٩٧، عن عائشة رضي الله عنها، وهو جزء من حديث، وأخرج مسلم نحوه رقم ٤٢٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) حديث صحيح، أخرجه أحمد رقم ١٧٣٧ عن الحسين بن علي رضي الله عنهما، والترمذي رقم ٢٣١٧، وقال الترمذي: غريب، وابن حبان رقم ٢٢٩، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ما لا ينبغي، ويفوت على الإنسان كلام الخير والذكر، وقد يُحرج الآخَرين، وقد يسبب كراهيةً وخصومات، وقد يكون فيه إظهار لما ينبغي ستره وإبقاءُ خصوصيته من الأمور الشخصية في العبادة والعلاقات وغيرها.

والكلام الذي لا يعني: هو الكلام الذي إذا سكت عنه الإنسان لا تفوته فائدة ولا مصلحة، له وللسامعين، ولا يكون سكوته عنه سبباً في إثمه.

ولا ينبغي للمؤمن أن يسأل عن أشياء لا يستفيد من جوابها ولا يعنيه معرفتها، وقد يكون الجواب مؤذياً له، وقد نهى النبي ﷺ عن كثرة السؤال[1] وقال الله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

والسكوت عن الكلام الزائد الذي لا فائدة منه، مع الحرص على عدم تقلب القلب في الخواطر السيئة؛ لهما أثر كبير في طهارة القلب ونور البصيرة[2].

ـ الإكثار من الشعر والتغني:

يقول النبي ﷺ «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيْهِ[3] خير له من

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٦٣٠، ومسلم رقم ٥٩٣، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وأخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً.

(٢) قد يستأنس لذلك بحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ٢٢٣٤٦ والطبري في صريح السنة رقم ٤٠، وهو حديث ضعيف حسنه بعض العلماء، أن النبي ﷺ قال: «لولا تَمَزُّعُ قلوبِكم وتزيدُكم في الحديث لسمعتم ما أسمع» ولفظ الطبري: تمريج في قلوبكم.

(٣) يريه: من الوَرْي، أي الدَّاء، وَرَى يُورَى فهو مورى؛ إذا أصاب جوفه الداء، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير ٥/ ١٧٧، وفيه إشارة إلى هوى النفس في الأمر، وهو ما نلاحظه على بعض الملتزمين الذين تعلقوا بالإنشاد فيسمعونه في كثير من أوقاتهم حتى مع العمل ومع الدراسة.

أن يمتلئ شعراً»[1]، وهذا النص محمول على الشعر الفاسد المعنى الذي يدخل في اللغو والباطل، وهو الذي ذم الله أصحابه بقوله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟﴾ [الشعراء ٢٢٤-٢٢٧].

أما إذا كانت معاني الشعر صالحةً طيبة، فهي التي استثناها الله في آخر الآية من قول المؤمنين الصالحين الذي ينتصرون لدينهم الحق ويذكرون الله، وهو الذي مدحه النبي ﷺ من الشعر حيث قال: «إن من الشعر حكمة»[2]، فلا بأس بالشعر وغنائه في معاني طيبةٍ تُذَكِّر بالله وصفاته وتعظيمه وحبه، أو تذكِّر بوصف رسوله ﷺ وبيان قَدْرِه ووجوب حبه وطاعته، أو تذكِّر بواجبات المؤمن وصفاته، ونحو ذلك.

وقد أمر النبي ﷺ حسان بن ثابت أن يقول الشعر في الدفاع عنه ﷺ، وكان يقوله في المسجد[3]، ولهذا يحُمل الحديث الذي ينهى عن قول الشعر في

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٨٠٢ عن ابن عمر رضي الله عنهما ورقم ٥٨٠٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم أرقام ٢٢٥٧ و ٢٢٥٨ و ٢٢٥٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه وسعد رضي الله عنه وأبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٧٩٣، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٣) أخرج مسلم رقم ٢٤٨٥ عن أبي هريرة «أن عمر مرَّ بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد فلحظ إليه، فقال: قد كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: أجب عني، اللهم أيده بروح القدس، قال: اللهم نعم» وأخرجه البخاري رقم ٤٤٢ مختصراً، وليس فيه ذكر المسجد، لكن جعل ترجمة الباب: «باب الشعر في المسجد». وفي رواية عند الترمذي رقم ٢٨٤٦ وأبو داود رقم ٥٠١٥ والحاكم رقم ٦٠٥٨ عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ...».

المسجد[1]، على أنه نَهْيٌ عن الشعر الباطل والمؤدي إلى اللهو وتضييع الوقت واللغو.

ومع جواز الشعر الطيب فلا ينبغي للمسلم أن يكثر من الشعر والغناء والإنشاد على حساب القرآن والعلم والذكر، فإنه يصير مذموماً إذا ضيع به الإنسان واجباً أو مندوباً.

ـ وذنوب اللسان التي ورد النهي عنها كثيرة جداً، وقد سبق ذكر أهمها في بداية هذا الكتاب.

ومن أخطر ذنوب اللسان غير ما ذكرنا: الحكم بغير ما أنزل الله، سب الصحابة رضي الله عنهم، التألي على الله، فضيحة المسلم، تحريف كتاب الله، الفتوى بغير علم، الهجاء، الدعاء إلى بدعة، جحد الحق، أن يقول: مطرنا بنوء كذا، أن يقول لمسلم: يا كافر، الحَلف بمخلوق أو بغير الله وأسمائه، القدح في العلماء، الكلام في خطبة الجمعة، النهي عن المعروف[2].

---

(١) وقد أخرجه الترمذي رقم ٣٢٢ وغيره عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ أنه «نهى عن تناشد الأشعار في المسجد، وعن البيع والاشتراء فيه، وأن يتحلق الناس يوم الجمعة قبل الصلاة»، وأخرجه أبو داود رقم ٤٤٩٠ عن حكيم بن حزام بلفظ: «نهى رسول الله ﷺ أن يستقاد في المسجد، وأن تنشد فيه الأشعار، وأن تقام فيه الحدود».

(٢) وبعض معاصي اللسان نتحدث عنها في مباحث أخرى، كقول كلمة الكفر، وسب الوالدين وانتهارهما، والمجاهرة بالمعصية، والبهتان، فتأتي في مباحث أخرى ألصق بها.

المبحث العاشر

المال الحرام

أسبابُ اكتسابِ المالِ الحرام التي يجب اجتنابُها كثيرةٌ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۞ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩-٣٠]، وكلها لها أثر سيء على المسلم، فهو يأكل في جوفه خبيثاً باطلاً، فكيف يطمع أن يصدر من هذا الجسد خير وقد غذاه بالحرام، قال ﷺ: «إن الله أبى أن يُدخِل الجنةَ لحماً نبت من سحت، فالنار أولى به»(١)، والسحت هو الحرام، وما ليس بحق، وقال ﷺ: «وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُه حَرامٌ، ومَلْبسُهُ حرامٌ، وغُذِيَ بِالْحَرامِ، فَأَنَّى يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟»(٢)، فالمال الحرام يحول دون تزكية الإنسان نفسه.

وعلينا أن نربي أنفسنا وأبناءنا ومجتمعنا على الحذر والخوف من أكل مال الحرام، خاصة في زماننا الذي كثر فيه المال الحرام، وقد حذر من ذلك النبي ﷺ فقال: «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أَمِنْ حلالٍ أمْ مِنْ حرام»(٣).

---

(١) حديث صحيح، أخرجه الحاكم رقم ٧١٦٢ عن عبد الرحمن بن سمرة ﵁ وصحح إسناده، وأخرجه الحاكم أيضاً نحوه رقم ٧١٦٣ عن جابر ﵁، وأخرجه أحمد بنحو هذا اللفظ رقم ١٤٤٨١ عن جابر ﵁، وأخرجه الترمذي رقم ٦١٤ نحوه عن كعب بن عجرة ﵁، وابن حبان رقم ١٧٢٣ عن جابر ورقم ٥٥٦٧ عن كعب أيضاً.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٠١٥ عن أبي هريرة ﵁.

(٣) أخرجه البخاري رقم ١٩٧٧، عن أبي هريرة ﵁.

ومما يدخل في المال الحرام: السرقة والربا والرشوة وأكل مال اليتيم، وأكل الميراث بغير حق، وأكل الدَّين مع القدرة على سداده، والقمار، واليانصيب[1]، والغش في المبيع، والنجش، وغير ذلك.

(١) والميسر الذي أمرنا باجتنابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]؛ يدخل فيه القمار واليانصيب.

أهم المعاصي التي يتوصل بها إلى المال الحرام

ـ السرقة:

السرقة من الكبائر التي شرع الله عليها حداً كبيراً، إذ جعل عقوبتها قطع يد السارق، وذلك يدل على عِظَم جريمة السرقة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

ولخطورة السرقة كان النبي ﷺ يبايع المؤمنين رجالاً ونساءاً على عدم السرقة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «أتبايعونني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا، وقرأ آية النساء[(١)]... فمن وَفَّ منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئاً من ذلك فستره الله فهو إلى الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية[(٣)]: ﴿لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] قالت: وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها[(٤)].

---

(١) يعني آية بيعة النساء التي سبق ذكرها.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٤٦١٢ ومسلم رقم ١٧٠٩ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) وهي الآية المذكورة آنفاً.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٦٧٨٨ وبمعناه في مسلم رقم ١٨٦٦.

ـ والسارق مطرود من رحمة الله مهما كانت سرقته قليلة، قال ﷺ: «لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»(١)، ولا ينبغي للمسلم أن يتهاون في سرقة القليل ولو كان مما لا يقام عليه الحد، فإنه يخون بذلك نفسه وإخوانه، ويعصي ربه، ويقوده ذلك إلى التهاون في الكبير.

وحينما يتورع الإنسان عن حَبَّة التمر وعن الدِرْهم وعن أمثالهما؛ فسيكون بإذن الله أكثر احتياطاً مما هو فوقها، فكلما كان الإنسان متورعاً أكثر عن مال غيره وعما لا يحل له؛ كان أبعد عن الحرام.

ـ وتأتي خطورة السرقة من كون السارق يقطعُ الأمن في المجتمع، ويجرِّئ الناس على الباطل وأكلِ المال الحرام، وعملية السرقة وإن كانت طلباً للمال فهي تعرِّض الناس للقتل، فإذا أقمنا حدَّ الله فيها عاش المجتمع في أمن، فيخاف كل من يحب السرقة من العقوبة فتكون زاجراً له عن ارتكاب معصيته، فهي تحقق الأمن له أيضاً، ويحصل بذلك حفظ أموال الناس.

ـ إن الأساس النفسي الدافع إلى السرقة: حب المال وحب الدنيا، حباً يطغى على حكم الله وحب الله، فلا بد من تزكية النفس بإخراج عظمة الدنيا من القلب، حتى نكون مترفعين عن الحرام والسرقة.

ومن دوافع السارق إلى السرقة أحياناً: الخوف من الفقر، وهو ناتج عن عدم الثقة بالله بما تكفل من رزق العباد، وناتج من سلوك السبيل غير المشروع في معالجة الفقر، وناتج من تقصير بعض الأغنياء في حق الفقراء، فلا بد في معالجة السرقة من معالجة الأمر الأول بالإقناع الفكري السليم، ومن معالجة الأمر الثاني ببيانِ الأحكام الفقهية في كيفية دفع الفقر، ومعرفةِ متى يجوز للإنسان أن

(١) أخرجه البخاري رقم ٦٤٠١ ومسلم رقم ١٦٨٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

يسأل الناس، ومن معالجة الأمر الثالث بِحَثِّ الأغنياء على تقديمِ المال للفقراء والبحثِ عنهم وإعطائهم ما يغنيهم.

ـ ومن صور السرقة:

ـ سرقة أملاك الآخرين ونسبتها إلى نفسك: قال ﷺ: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً؛ فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين»(١).

ـ الأخذ من نتاج ممتلكات الآخرين بغير إذنهم: ومنه حلب حليب المواشي بغير إذن أصحابها، وقال ﷺ: «لا يحلُبَنّ أحدٌ ماشية امرئٍ بغير إذنه، أيحب أحدكم أن تؤتى مَشْرُبَتَه فتكسَر خِزانته فيُنتَقَل طعامُه؟ وإنما تَخْزُنُ لهم ضُروعُ مواشيهم أطْعِماتهم، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه»(٢).

ـ الغلول: وهو ما يأخذه الولاة والموظفون من الأموال العامة بغير حق، ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، وقال ﷺ: «يا أيها الناس من عمل منكم لنا على عمل فكتمَنا منه مِخْيَطاً فما فوقه فهو غلّ يأتي به يوم القيامة»(٣)، وقال ﷺ: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً فما أَخَذ بعد ذلك فهو غلول»(٤).

ـ التطفيف في الميزان: وهو أن يُنْقِصَ في وَزْن المبِيعات أو كَيْلِها خيانة، بأن يجعل الكفة راجحة له، فإذا بين البائع للمشتري أن سعر (الكِيلُو غرام)

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٣٠٢٦ ومسلم رقم ١٦١٠، عن سعيد بن زيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٣٠٣ أخرجه مسلم رقم ١٧٢٦، عن ابن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم رقم ١٨٣٣ وأحمد ٤/ ١٩٢ وأبو داود رقم ٣٥٨١، عن عدي بن عَميرة رضي الله عنه، واللفظ لأحمد وأبي داود.

(٤) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٢٩٤٣ وابن خزيمة رقم ٢٣٦٩ والحاكم رقم ١٤٧٢ وصححه، يَرْوونه عن بريدة رضي الله عنه.

درهماً مثلاً، فينبغي إذا دفع له المشتري درهماً أن يجعل له في الميزان كيلو كاملاً، لا ينقص منه شيئاً قليلاً ولا كثيراً، ولا يتلاعب بكفة الميزان بحيث تُظهِر ما هو أقل من كيلو على أنه كيلو كامل، فيكون سارقاً وظالماً عندئذ، وإذا وزن المشترِي السلعةَ فلا ينبغي له أن يزيد عن كيلو ثم يدفع ثمن كيلو واحد، فيكون سارقاً لما زاد عن الكيلو.

ـ الربـا:

الربا من الكبائر فقد نهى الله عنه وهدد فاعله بالحرب من الله ورسوله ﷺ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، وحرب الله للإنسان قد تكون بصرفه عن طاعة الله أو عن الإيمان، وقد تكون بالإمهال ليزداد إثماً، وقد تكون بسوء الختام، وقد تكون بإفقاره بعد الغنى، وغير ذلك، أعاذنا الله من غضبه وحربه.

والربا من أكثر أبواب المال الحرام انتشاراً في زماننا، ومن أكثر ما يستهين به الناس، فإن السارق أو المرتشي أو الآكل لمال اليتيم يشعرون بأنهم مجرمون، لكننا نجد أكثر المسلمين الذين يقعون في الربا اليوم لا يشعرون بالذنب، أو لا يعرفون أنهم يقعون في كبيرة وجريمة وظلم، وقد سمي الربا بغير اسمه كاسم الفائدة والتجارة ونحو ذلك، فسَهَّل بذلك ارتكابه، وقد رَدَّ الله عليهم تشبيههم الربا بالبيع، بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[البقرة: ٢٧٥].

ومن واجب كل مسلم أن يتعلم من فقه المعاملات ما يعرف به الحرام من الحلال، وعليه أن يسأل عن معاملاته التي يتعامل بها، ليعرف الحرام والربا منها، فيجتنبه، فالجهل بالربا قد يكون سبباً في وقوع الإنسان في الربا من

حيث لا يشعر، ومن أكبر أسباب انتشار الربا وتهاون الناس فيه؛ أنهم يجهلونه ويجهلون أحكام معاملاتهم.

وقد أشار الله إلى أثر الربا في صرف المرابي عن الهداية والحق، فيصير كأنه مخبوط من الشيطان، يمشي على غير هدى، ولا يدري حقاً من باطل، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وإذا كان مقصودُ الناس من الربا زيادةَ المال، فقد عامل الله المرابي بعكس ما يريد، فجعل الربا سبباً في محق المال ومحق بركته، قال عز وجل: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

فبادر أيها المسلم الذي وقع في الربا إلى التوبة النصوح منه، ولا تتم التوبة حتى ترد المال الذي أخذته بالربا إلى من أخذته منه، فإن لم تعرفه تتخلص من هذا المال في وجوه النفع العامة، ولا تأكله ولا تدخله في بطنك، ولا تستفد منه لنفسك، عسى أن يتوب الله عليك، ويهديك إلى الصلاح فيما بقي من عمرك.

وإذا مات المرابي فلا يجوز لورثته وأبنائه أن يرثوا أمواله الربوية، لأنها مال حرام دخل على أبيهم، وليست ملكاً له، وعليهم أن يردوا المال الربوي إلى أصحابه الذين أُخِذَ منهم، فإن لم يعرفوهم وجب التخلص منه.

ـ **أكل مال اليتيم والضعيف**: وهذا نجده مستهاناً به فيه في مجتمعاتنا، فكم من وَصِيٍّ، وكم من عمٍّ أو جدٍّ يأكل مال أيتامه أو بعضها، أو يسيء التصرف فيها، أو يبخل عليهم بأموالهم وحقوقهم، وينمِّيها لنفسه.

وقد حذر الله من ذلك أشد الحذر فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠]، وقال سبحانه:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا (١) كَبِيرًا ﴾ [النساء: ٢].

وعلى الوصي في مال اليتيم أن يتعلم أحكام وصايته فيعرف ما يجوز له أن يأخذ وما لا يجوز، وعليه أن يبالغ في رعاية حقوقهم والحرص على عدم الاعتداء عليهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال: ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٦].

ـ **أكل الدَّيْن**: كثيراً ما ترى من يأخذ ديناً ولا يرده، ويتهاون في ردّه وهو مستطيع ردّه، ويستفيد من مال غيره وصاحبه محتاج إليه يطالبه به وهو أولى بأن يستفيد منه عندئذ، وقد نهى النبي ﷺ عن تأخير سداد الدين إذا حل أجله أو طالب به صاحبه، وبين أنه ظلم، فقال: «مطل الغني ظلم»(٢) وقال ﷺ: «لَيُّ الواجد(٣) يحل عرضه وعقوبته»(٤)، وقوله: يحل عرضه أي يجيز للإنسان أن يفضحه ويشهر بسمعته ويقول له: مطلتني، «وعقوبته»: أي تعزيره وسجنه ونحو ذلك.

---

(١) حوباً: أي إثمًا.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢١٦٦ ومسلم رقم ١٥٦٤، عن أبي هريرة ﵁.

(٣) أي مطل ومراوغة من يجد سداد الدين ولا يسده.

(٤) حديث صحيح، أخرجه أبو داود رقم ٣٦٢٨ وابن حبان رقم ٥٠٨٩ والحاكم رقم ٧٠٦٥ وصحح إسناده. رووه عن الشريد ﵁، وقال أبو داود: قال ابن المبارك: « يحل عرضه: يغلظ له، وعقوبته: يحبس له» ورواه البخاري في عُنوانٍ قبل حديث ٢٢٧١ وقال: «باب لصاحب الحق مقال، ويذكر عن النبي ﷺ: لي الواجد يحل عقوبته وعرضه، قال سفيان: عرضه: يقول: مطلتني، وعقوبته: الحبس.

كما بين النبي ﷺ حالة التزكية التي يجب أن يكون عليها من يحتاج إلى الدين، فلا يطلب ديناً إلا وهو ينوي سداده، فقال: «من أخذ أموال الناس يريد أداءَها أدّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»(١)، وهذا تحذير للمسلم بالعذاب والإبعاد والإهمال، إذا اعتدى على أموال الناس، أو نوى أن يعتدي على أموالهم.

ونُذَكِّر المسلم الذي سُرِق من مالِه أو أكلَه عليه المدين؛ أنه لا ينبغي أن يحزن على ذلك، فإن الله تعالى يكتب له هذا المال المسروق صدقة، فيفرح بها يوم القيامة ويجدها خيراً، فهي لم تَضِعْ بالنسبة له، قال ﷺ: «وما سُرق منه له صدقة»(٢).

ـ **أخذ الرشوة**: وهذا مما يكثر في زماننا بصور شتى، وصاحبه ملعون، يجب عليه أن يتوب، ويرد الحقوق إلى أهلها، قال ﷺ: «لعن الله الراشي والمرتشي»(٣).

والذي يأخذ الرشوة يأكل مالاً حراماً بغير حق، وفُشُوُّ الرشوة بين الناس سبب في عدم أداء حقوق الناس إلا بباطل وحرام، فالرشوة تفسد ضمير المسؤولين والموظفين وتجعلهم يهضمون الحقوق الخاصة والعامة، إذ يقدمون مصلحة الراشي الذي يعطيهم الرشوة، ويؤخرون مصالح غيره من الناس ويضيعون مصالح الدولة.

ومعالجة الرشوة في أي مجتمع تتوقف على العدالة والكفاية في رواتب الموظفين والعمال، فما دامت رواتب الموظفين والعمال دون حد الكفاية،

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٢٥٧، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ١٥٥٢ عن جابر رضي الله عنه.

(٣) حديث صحيح، أخرجه الترمذي ١٣٣٦ و١٣٣٧ وأبو داود ٣٥٨٠ وابن حبان رقم ٥٠٧٧ والحاكم رقم ٧٠٦٦، عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

مع القدرة على إعطائهم كفايتهم؛ فسيجعل بعضهم لنفسه من ذلك مبرراً للرشوة.

ـ ومن الرشوة أن **يقبل الهدايا التي تأتيه بسبب وظيفته لا لشخصه**، فعن أبي حُمَيد عبد الرحمن بن سعد الساعدي قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى بن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم، وهذا هدية، فقال رسول الله ﷺ: «فهلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك، إن كنت صادقاً» ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل ممّا ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هديّة أهديت لي! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً، والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعْرِفَنّ أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعَر[1]، ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه فقال: اللهم هل بلغت؟»[2].

فالموظف الذي يأخذ هدايا وأموالاً على عمل عام استعمل فيه، سيأتي يوم القيامة يحملها، وهي في معنى الرشوة، لأن الذي أعطاه إياها ما كان ليعطيه إياها إلا ليتوصل إلى ما لا يحق له، أو يطلُبُها الموظف ليخدم ويقدم غير مستحق على مستحق، أو يكون الموظف نائباً عن الدولة في إجراء عقود وشراء لوازم؛ فلا يبحث عن الأنفع والأرخص للدولة ولا يبحث عن المواصفات التي تريدها الدولة، بل يجري العقد مع من يعطيه هدية أو رشوة، فإن لم يعطه هديةً لم يجرِ العقد معه ولو كانت مواصفاته مطابقة، وإذا وجد أكثر من واحد مواصفاتهم

(١) الرُّغاء: صوت الإبل، والخُوار: صوت البقر، واليُعار: صوت الغنم.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٦٥٧٨ ومسلم رقم ١٨٣٢، وهذا لفظ مسلم.

مطابقة قدم من يعطيه أكثر، وهذا مال حرام يأخذه الموظف بغير حق، سيحمله يوم القيامة، وكم من الناس اليوم يُهدَى إليه سيارات وكمبيوترات وساعات وحلويات وأموال وغيرها، سيحملها على ظهره.

ـ **القمار**: وهو من الميسر الذي حرمه الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

والمقامرة والمراهنة تعرِّض الإنسان ليخسر ماله بغير فائدة، أو ليأخذ مال غيره بغير حق، فإما أن يعطي حراماً أو يأكل حراماً.

وما دام الإنسان قد قَبِلَ لنفسه أن يدخل في احتمال خسارته لهذا المال بغير حق ولا فائدة، فلْيَتَخَلَّ عن هذا المال بما ينفعه في آخرته وينفع غيره في دنياه، لذلك قال رسول الله ﷺ: «من حَلَف فقال في حَلْفه: واللات والعزى؛ فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامِرْك فليتصدق»(١).

وقد صارت أنواع القمار وصوره في هذه الأيام كثيرة، منها ما يسمى باليانصيب الخيري، وهو أن يدفع الإنسان مبلغاً من المال صغيراً ويعطَى بطاقة فيها رقم، يسمونها ورقة اليانصيب، وقد يشتري أكثر من ورقة، ثم يُرصَد جزء من الأموال التي حُصِّلت لجهة خيرية كالفقراء أو المرضى أو المحتاجين أو الأيتام، ويرصد جزء من الأموال لصاحب البطاقة التي تفوز بالقرعة أو بالحظ عند السحب على الجوائز، وهذا من القمار، وهو حرام، على

(١) أخرجه البخاري رقم ٤٥٧٩ ومسلم رقم ١٦٤٧ عن أبي هريرة ﷺ، وقال الخطابي في شرحه: فليتصدق بقدر ما جعله حظاً في القمار.

كل من شارك فيه، ومال حرام لمن أخذه، وأكثر الناس لا يدفعون أموالهم رغبة في عون المحتاجين، بل طمعاً في هذه الجوائز، ويأخذها واحد منهم بالحظ، وبغير حق شرعي.

ومن صور القمار أن يشتري بطاقة لدعم المباريات الرياضية، وترصد الأموال لدعم الرياضة وجزء منها لمن يفوز بالحظ.

ومن صور القمار ما تفعله شركات الاتصالات بالهواتف النقالة، إذ يبعث الناس رسائل بسعر معين، تكون بعض أموالها لجهة معينة، وجزء منها لشركة الاتصالات، وجزء منها لمن يفوز بالحظ، وهو قمار ومال حرام.

ومن صور القمار بيع سلع بأغلى من سعرها مقابل بطاقة مع السلعة، يفوز واحد من المشترين بمبلغ كبير، ويربح أصحاب السلعة أرباحاً كثيرة من وراء ذلك، ويتشجع بعض الناس لشراء هذه السلع على الرغم من أنها بأسعار غالية رغبة في احتمال الفوز بالربح والقمار، مما يشكل أيضاً منافسة غير شريفة في الأسواق، فبدلاً من أن يسارع الناس إلى السلعة الأجود يسارعون إلى السلعة التي تقترن بالقمار ولو كانت أقل جودة.

ـ **الاحتكار**: وهو أن يحبس سلعة يحتاجها الناس حتى يغلو سعرها لقلة وجودها في السوق، ثم يبيعها بسعر غالٍ مستغلاً حاجة الناس، فما يأكله من مال زائد عن سعرها الطبيعي حرام، وهو آثم بحبس السلعة عن الناس وهم يحتاجونها، قال ﷺ: «من احتكر فهو خاطئ»(١) أي عاصٍ.

ـ **الغِشّ**: وهذا مما يكثر في البيوع والمعاملات، وقد حذرنا منه النبي ﷺ

(١) أخرجه مسلم ١٦٠٥ عن معمر، أما حديث: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون» فإسناده ضعيف، أخرجه ابن ماجة ٢١٥٣ والدارمي رقم ٢٥٤٤ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فقال: «من غشنا فليس منا»(١)، فمن يرضى غش أخيه المسلم فقد نزل عن رتبه المسلم وأخلاقياته، وانحط في نفسه ودساها.

ولا ينبغي لمسلم أن يبيع شيئاً معيباً لا يرتضي هو أن يشتري مثله، أو لا يرتضي من بائع أن يخبئ عنه عيبه، فإذا بعت شيئاً فأَعْلِمْ أخاك المسلم ما فيه من العيب، ولا تكتم، فتكونَ ممن طمع بالدنيا وقدمها على آخرته وتزكيته، فالمال الذي يدخل عليك من الغش مال حرام وظلم.

ـ **الاستغلال**: ومنه استغلال حاجة العمال، وحاجة الموظفين والموظفات إلى الوظيفة، وتشغيلهم بأسعار وأجور زهيدة، على الرغم من قدرة صاحب العمل على إعطائهم أجوراً تكفيهم وتسد حاجاتهم، وعلى الرغم من أن أرباحه التي ينالها من عملهم هي كثيرة جداً، فإذا كان صاحب العمل يعطي رواتب وأجوراً دون الكفاية وهو يربح أرباحاً كبيرة خيالية يستطيع معها أن يربح ربحاً عظيماً حتى بعد إعطاء عماله كفايتهم؛ فإن ما يمنعه من أجور الموظفين التي يستحقونها فوق رواتبهم هو مال حرام يأكله، قال رسول الله ﷺ: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمْ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ؛ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ يُكَلِّفُهُ مِنْ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ»(٢).

ـ **منع الزكاة**: أوجب الله إخراج نصيب من المال زكاةً للفقراء والمساكين والمستحقِّين، وحينما يجب إخراج هذا المال يصير حقاً للفقراء والمستحقين، ولا يعود هذا المال لصاحبه، فإذا مَنَعَهم إيّاه وأَكَلَه فقدْ أكل مالاً حراماً(٣).

(١) أخرجه مسلم رقم ١٠١ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٥٧٠٣ ومسلم بنحوه رقم ٤٤٠٣ عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(٣) وقد ذكرت آيات وأحاديث تدل على وجوب إخراج الزكاة وعقوبة تاركها؛ عند الحديث عن عبادة الزكاة.

ومن أُعطِي مالَ الزكاة فأخره عن المستحقين؛ فإنه ينال إثماً بقدر تأخيره، فلا يجوز تأخير مال الإنسان مع القدرة على تسليمه إياه، كما لا يجوز تأخير الدين عن الدائن إذا قدرْتَ على سداده وصاحبه محتاج إليه.

- **منع الميراث عن بعض الورثة**: حدد الله تعالى أصحاب الميراث وفرض لكل نصيباً، ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧]، ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]، وبعد أن ذكر الله أهم أحكام الميراث وأنصبتَه؛ هدد الذي يعصون الله ويخالفون حدوده فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ *وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وبعض الناس يأكلون ميراث إخوانهم، وبعض الناس يأكلون ميراث أخواتهم وميراث النساء، وبعض الناس يأكلون ميراث الصغار والأيتام، وكل ذلك أكل للمال الحرام، وسرقة لحقوق الآخرين، فيجب إعطاء كل ذي حق حقه، فإن سامح بعد ذلك بطيب نفس منه فلا بأس أن يأخذ الإنسان منه بغير حياءٍ ولا إجبار ولا تحايل.

وبعضهم يمنع الميراث عن النساء المتزوجات، بحجة أنه لا يريد أن يعطي المال للغريب، حتى لا يصل المال إلى زوجها، وتراه ينفع زوجته من مال الميراث وهي غريبة، ولا يرى في ذلك حرجاً، وكأن هذا البائس المحتال المخادع يظن أن الله حينما شرع هذه الأحكام لم يكن يعلم أن من النساء المستحقات للميراث من ستكون متزوجة!!

ولا يجوز تأخير توزيع الميراث، فإن مال المتوفَّى يصير ملكاً للورثة بوفاته، فيجب أن يُعطَى كل وارث نصيبه من غير تأخير، ولا يجوز لأحدٍ مِن الورثة أن ينتفع من حصص الورثة من مال الميراث وينميه من غير موافقتهم، وإذا نمّاه فعليه أن يعطيهم حصتهم من الأرباح.

ـ **أكل مهر المرأة**: جعل الله للزوجة عند عقد زواجها حقاً من المال مهراً من زوجها، وأوجب إعطاءها إياه، فهو حق لها وحدها، ولا يجوز أن يطالب الأب أو الأعمام أو الأخوال بنصيب من المال حتى يزوجها، فإن لم يعطهم الزوج لم يقبلوا تزويجه، فما يأخذونه من مال لقاء ذلك فهو مال حرام، ولا يجوز للزوج أن يأكل هذا المهر ويأخذه من زوجته بعد أن أعطاها إياه، إلا إذا تبرعت له بشيء من ذلك من غير إحراج ولا استحياء وإنما عن رضا منها، وإذا أعطته إياه على سبيل الدين فعليه أن يرده إليها، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤].

وبعض الرجال إذا كره امرأته وأراد أن يتزوج زوجة ثانية؛ يدفع زوجته الأولى إلى طَلَبِ الطلاق والفسخ، على الرغم من أنه يريد تطليقها لأمرٍ عندَه، لا بسبب منها ولا بإساءة منها، فيؤذيها ويضيع حقوقها حتى تطلب الطلاق وتتنازل عن المهر، ولا يفعل ذلك إلا بخيل كذاب خسيس النفس قليل المروءة، ومن يفعل ذلك يكون قد أكل مالاً حراماً يأثم به، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

ـ **وصور المال الحرام** التي يمكن أن يقع فيها الإنسان أو يأكلها حراماً كثيرة.

منها: أن يطالب بحق الشفعة وهو لا يريدها، وإنما يتوصل بذلك إلى إرضائه بمبلغ من المال، فهو حرام يأكله.

ومنها: أن يكلف بعمل فلا يقوم بحقه ولا يُتقِنُه، فيأكل بعض أجرته مالاً حراماً بغير حق، لأنه إنما استحق الأجر على تمام العمل، وهو لم يتم العمل، بل قصر فيه وأساء وغشّ.

ومنها: النصب والاحتيال لأخذ أموال الناس بغير حق، كأن يشترك معهم في تجارة ثم يسرق منها، أو ينكر أن لهم حقوقاً مالية معه، ويكون قد رَتَّبَ أمورَه بطريقة لا تدينه قانوناً.

ومنها: أن يشتري ما يعلم أنه سرقة، أو ما يعلم أن فيه حقاً لغيره، فيشتريه وقد لا يستطيع صاحبه أن يصل إلى ماله بعد ذلك.

ومنها: ما يدخل على الإنسان من مال نتيجة بيعٍ مكروه أو محرَّم، باطل أو فاسد، من البيوع التي نهى عنها النبي ﷺ، كبيع الإنسان لما لا يملك، وبيع الملامسة والمنابذة، وبيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، وبيع النجش، وبيع الغرر، والبيع مع الجهالة في الثمن أو المثمن جهالة تؤدي إلى النزاع والخلاف، وغير ذلك[1].

ومنها: أن ينشغل المسلم بطلب المال المباح عن إقامة فريضة الصلاة والجهاد وصلة الرحم ونحو ذلك من الفرائض العينية أو الفرائض الكفائية إذا تعيَّنت عليه، فإذا انشغل بطلب المال المباح في هذه الحالة وهو يجد الحد الأدنى الذي يعيش به؛ فإنه يكون قد أدخل على نفسه كسباً حراماً لأنه

(١) وسيأتي تفصيل في هذه الأمور في باب الأخلاق والآداب من هذا الكتاب.

شغله عن واجب من غير ضرورة، وترك الواجب حرام، وما يؤدي إلى الوقوع في الحرام أو يشغل عن الواجب فهو حرام.

ـ الإنفاق المحرم:

وقد يقع الإنسان في الإثم نتيجة سوء التعامل مع المال، حتى ولو لم يأكل منه لنفسه، والله تعالى كما يحاسب أحدنا عن المال من أين اكتسبه، كذلك يحاسبه فيم أنفقه، ومن ذلك:

ـ التصرف في المال العام بغير حق:

بأن يأخذ من المال العام ما لا يحق له، أو يتصرف به على غير وجهه، أو يمنعه من يستحقه، أو يعطيه لمن لا يستحقه، أو ينفقه في شيء غيرُه أنفع للمسلمين، قال ﷺ: «إن رجالاً يتخوّضون في مال الله بغير حق؛ فلهم النار يوم القيامة»[1].

ـ إنفاق المال في مباح مع ترك الواجب الذي عليه في ذلك المال:

من وجب عليه في ماله واجب شرعي أن يؤديه؛ ثم لا يؤديه يكون قد أكل ما ليس له، فهو عاصٍ لله، وآكِلٌ لمال حرام، كمن لا يعطي من ماله لقريب تجب نفقته عليه، أو يمتنع من إعطاء مريض لإنقاذه، حينما يكون المريض معرَّضاً للهلاك إن لم يعط هذا المال، أو يبخل بما وجب عليه من دفع

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٢٩٥٠ عن خولة بنت ثامر الأنصارية رضي الله عنها. ونصه عند الترمذي رقم ٢٣٧٤ «إن هذا المال خضرة حلوة من أصابه بحقه بورك له فيه، ورب متخوض فيما شاءت به نفسه من **مال الله ورسوله**، ليس له يوم القيامة إلا النار» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

مال للجهاد في سبيل الله، أو للإعداد للجهاد، عندما تكون الأمة محتاجة إلى ماله ومال أمثالِه، ولم يوجد من يتصدق، وليس للأمة والدولة دخل تقيم به الجهاد المفروض فرضاً عينياً أو كفائياً؛ ففي هذه الحالات وأمثالِها إذا أنفق الإنسان هذا المال الذي وجب عليه أن يتصدق به، إذا أنفقه على نفسه أو غيره في مباح؛ صار هذا المباح حراماً، لأنه ضيع حق الله، وأكل مالاً وجب لله فيه حق.

وحينما وجب لله حق في المال؛ فقد صار هذا المال لغير صاحبه، صار إلى من أوجب الله الإنفاق عليهم منه، ولم يعد مقدارُ هذا الحق لمالكه، ولا يباح له أن يستعمله وأن يأكله لنفسه كما يريد.

قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

فالذي يرى في الأمة حاجة إلى إيجاد علماءَ ودعاةٍ، لتعليم الناس فرائض دينهم ولدعوةِ الكافرين إلى الإسلام دينِ الله الحق، ويجد غيره ممن يملك مالاً يمتنع من البذل فيه، وهو أيضاً لا يدفع من ماله الزائد عن حاجته في هذا؛ يكون قد أثم هو وكل قادر على الصدقة والبذل فيما وجب.

وتجد مثل هذا الغني قد يبني قصراً بمليون دينار، وهو لا يتصدق لتعليم الناس فرائضهم ودعوة الكافرين إلى الإسلام بمائة دينار، فهل يكون ما بَناه حلالاً أم بَناه من مال حرام، قد أوجب الله عليه إخراجه لفريضة من فرائضة الكفائية؟!

وأبواب المال الحرام كثيرة غير ذلك، وإنما ذكرت أخطرها وأكثرها وقوعاً، فلنتق الله في أنفسنا، ولنحذر مما يفسد قلوبنا وإيماننا وتزكيتنا.

المبحث الحادي عشر

السماع المحرم والغناء الفاحش

السمع كغيره من نعم الله على الإنسان هو محل للتكليف، وعلى الإنسان أن يزكيه، والله تعالى يَسأل العبد عما سمع وكيف تعامل مع ما سمع: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقد حرم الله تعالى علينا سماع الباطل واللغو واللهو، كما حرم علينا إقراره إن استطعنا رده على صاحبه ونهيه ونصيحته، وأوجب علينا القيام من مجلس الباطل إن لم نستطع إصلاحه، قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٤٠].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: ٥٥]، وإذا كان المؤمن مطالَباً بالإعراض عن اللغو وهو الكلام الذي لا نفع فيه؛ فكيف بالكلام الباطل المحرم، والآية تشير إلى أن ما حَرُمَ كلامُه حَرُمَ سماعُه والجلوسُ في مجلسه.

وقال سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦].

الغناء والمعازف

ومما يدخل في اللهو الصارف عن ذكر الله وعن سبيل الله: الغناء الماجن الفاحش، والغناء الذي يكون على حساب قراءة القرآن وأداء الطاعة وإقامة الفرائض.

وقد أسرف الناس في معصية سماع الغناء الماجن، فصار يدخل في أوقات الناس كلها، ويلتصق بأحاديثهم ومناسباتهم وأخبارهم، فضلاً عن تخصيص أوقات له واجتهاد في نشره في المجتمعات.

ورافقه غالباً المعازفُ والموسيقى، ورافقه أحياناً الرقص وكشف العورات وإثارة الغرائز والشهوات الفاحشة.

والذي عليه جمهور علماء المسلمين حرمة المعازف، لقول النبي ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب عَلَم[١] يروح عليه بسارحة[٢] لهم يأتيهم يعني الفقير لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله، ويَضَعُ العَلَم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة»[٣]، واستثنى بعض العلماء الدف في الفرح ونحوه، وقد وردت في ذلك أحاديث مقبولة، وأجاز بعضهم الطبل في المعركة.

ومن المتفق عليه أن الأغاني والمعازف إذا كانت تثير الرقص وتحرك النفس إلى الحرام والشهوة والخمر ونحوها فهي محرمة.

ومن المتفق عليه أنه لا يجوز أن تغني النساء للرجال، لأنه نوع من الخضوع بالقول يدخل الشهوة على القلوب قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وكثير من الغناء اليوم كلام فاحش يزين الشهوة والفاحشة، ويدعو إلى علاقات محرمة، أو على الأقل يصف حالات من الحب يستحيي أن يقولها

---

(١) أي جبل.

(٢) بغنم يرعَونها.

(٣) أخرجه البخاري رقم ٥٢٦٨ عن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

الرجل لزوجته أمام الناس، وإذا بالمغني أو المغنية تقولها بلا خجل أمام الملايين من خلال التلفاز والراديو والمهرجانات وغير ذلك، ولا يخجل الناس من سماعها ولا ينكرونها ولا يقومون عن مجلسها أو لا يغلقونها.

إنه إذا جاز للمؤمن أن يسمع بعض الغناء المباح، الذي يُذَكِّر بالله ورسوله وحبهما وطاعتهما ونحو ذلك، وأن يسمع نقر الدُّفَّ، على ما في جوازه من خلاف بين العلماء، فإن ذلك لا يجوز أن يكون على حساب الفرائض والواجبات، ولا أن يكون سبباً في التأخير عنها، ولا يجوز أن يكون على حساب قراءة القرآن وذكر الله ودراسة العلم ومجالس الخير.

بعد أن أسلم البراء بن مالك ﷺ وكان شاعراً رآه أخوه أنس بن مالك يدندن بالشعر، وهو لم يترنم بحرام، ومع ذلك قال له: (يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به القرآن)[1].

فإن كان أحدنا سامعاً ولا بد من النشيد الإسلامي النزيه، الطاهر المعاني، فلا يكثر من ذلك، بل يجعله قليلاً في حياته وأوقاته، كالملح للطعام.

وكلما كان الإنسان أحرص على تزكية نفسه؛ كان أحرص على وقته، وكان أحرص على أن يقضيها في النفع، بل في الأنفع.

وإذا كان بعض العلماء قد اختلفوا في المعازف وحرمتها، فعلى المؤمن المزكي لنفسه أن يكون بعيداً عنها قدر الإمكان، حتى وإن ترجح لديه جواز بعضها، يبتعد عنها من باب ترك الشبهاتِ، ومن باب الحذرِ مما لا بأس به خوفاً من أن يؤدي إلى ما فيه بأس، وحتى لا يشغل نفسه بها عن ذكر الله والطاعات.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١/ ١٩٨.

وحتى الغناء الطيب والإنشاد الإسلامي لا ينبغي للمسلم أن يكثر منه، فيكون على حساب القرآن والعلم والذكر، فإنه يصير مذموماً إذا ضيع به الإنسانُ واجباً أو مندوباً.

المبحث الثاني عشر

البدع

من المعاصي والذنوب التي يجب البعد عنها: الابتداع في دين الله.

والبدعة هي نسبة ما ليس من الدين إلى الدين[1]، فما أحدث من الأعمال ونسب إلى الدين وُجُوْبُه أو نَدْبُه، ولا يدل على ذلك دليل في دين الله وشرعه، لا من دليل خاص، ولا من نص عام، ولا من قاعدة عامة مستنبطة من الشرع؛ فهو من البدع التي نهينا عنها وحذرنا منها النبي ﷺ.

يجب على المسلم في علمه كلِّه أن ينطلق من الكتاب والسنة وأن يتبعهما، كما يجب عليه في عمله أن يكون وفق ذلك العلم الذي يأخذه من الكتاب والسنة، فلا ينبغي للمسلم أن يبتدع عملاً ليس فيهما وينسبه إلى الدين ما لم يكن مستنبطاً منهما أو راجعاً إليهما ولو على وجه عام.

وما دلت عليه أصول الشريعة وأدلتها العامة يكون من الشريعة ما لم ترد نصوص صحيحة صريحة تخالف تلك القواعد وتدل على استثناء أمر معين تخرجه من الشريعة، وقد حذرنا النبي ﷺ من هذه البدع وهذا الاستحداث، فقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[2].

(١) مجرد النسبة يعد ابتداعاً في الدين حتى ولو لم يعمل بهذا العمل الذي أدخله في الدين، وقد يعمل هذا العمل المخالف للدين ولا ينسبه إلى الدين؛ فهو عاص، ولكنه لا يسمى مبتدعاً، وإذا اجتمعت معصية الفعل مع معصية الابتداع؛ صارت معصيتان، فيشتد الإثم والحرمة.

(٢) أخرجه البخاري رقم ٢٥٥٠، ومسلم رقم ١٧١٨ عن عائشة رضي الله عنها.

وقال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»(١).

ومما عليه أمر الشارع ومما هو من الشرع ما ورد في فروع الأدلة وأصولها، فما شهد له أصل من أصول الإسلام على الجملة؛ لا يجوز أن يعتبر من البدعة، كما أن ما خرج عن أصول الشريعة وفروعها يكون من البدعة إذا نُسِب إلى دين الله.

وقد حذر النبي ﷺ أشد الحذر من الابتداع في دين الله، فكان ﷺ «إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبَّحكم مسَّاكم، ويقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»(٢).

ويجب على كل مسلم ـ ولا سيما العالم ـ أن يدرك حقيقة البدعة حتى لا يصف بعض الأمور التي تشهد لها الشريعة وأدلتها العامة بأنها بدعة، فما دل عليه دليل تفصيلي أو عام من أدلة الشريعة ولو كان ظنياً أي يغلب على الظن أنه

---

(١) أخرجه مسلم رقم ١٧١٨ عن عائشة رضي الله عنها، وأخرجه البخاري معلقاً بغير إسناد بصيغة الجزم عن رسول الله ﷺ في ترجمتين من عناوين صحيحه.

(٢) أخرجه مسلم رقم ٨٦٧ في صحيحه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وتتمة الحديث: «ثم يقول: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ»، وروى البخاري رقم ٦٨٤٩ الجزء الأول من الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ولم يرفعه إلى النبي ﷺ ولفظه: «قال عبد الله: إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور مُحدَثاتُها، و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤]».
ومعنى قوله: (الهدي): السمت والطريقة، ويرويها بعضهم: (الهدى): وهو ضد الضلال، (شر الأمور): أسوؤها. (ومحدثاتها): جمع محدثة، والمقصود بها البدعة، (بمعجزين): بفائتين من العذاب.

صحيح، أو أنه يدل على ما استنبطه منه؛ فإنه يخرج الأمر عن أن يكون بدعة(١)، لا سيما إذا قال به إمام مجتهد أو عالم من علماء المسلمين الموثوقين، فمثل ذلك يعد من الخلافيات، ولا يصح اعتباره بدعة نذم بعضنا عليها.

وإنه كما لا ينبغي للمسلم أن يُدخِل في دين الله ما ليس منه؛ لا يجوز أن يخرج من دين الله ما هو منه، فكلاهما في الحكم سواء، وكلاهما يحتاج إلى تثبت من الحكم وورع فيه، مع علم واسع في الشريعة وأدلتها، فالمحدثة التي تدل عليها أصول الشريعة، وتدل على دخولها في الشرع في الجملة؛ تكون من الدين، بالقدر الذي أدخلها الدين فيه، فإن جعلها الدين مباحة فهي مباحة، ومن جعله سنة بغير دليل واجتهاد صحيح أو مقبول؛ فقد ابتدع، وإن جعلها الدين سنة فجعلها أحدنا واجبة بغير دليل واجتهاد مقبول؛ فقد ابتدع، وإن جعلها الدين فرضاً أو واجباً فجعلها أحدنا سنة أو مباحاً بغير دليل ولا اجتهاد مقبول؛ فقد غير في الدين وابتدع، ونَسب إليه ما ليس منه.

ـ والبدعة تتفاوت بين بدعة في الاعتقاد قد تصل إلى الضلال والكفر، وبين بدعة كبيرة تكون محرمة، وبين بدعة صغيرة تكون أشبه بالمكروهات.

فالبدع ليست كلها في مستوى واحد، كما أن المعاصي منها ما هو كفر

---

(١) مثال ذلك: من يفتي ببدعية الإكثار من صيام شعبان، وقد ثبت صيام النبي ﷺ لشعبان كله أو أكثره في صحيح البخاري، ومثال ذلك: من يفتي بعدم جواز الثبات على عدد معين من الأذكار، من غير أن ينسب هذا العدد إلى السنة، وقد ثبت في البخاري ومسلم أن النبي ﷺ حث على الدوام على الأعمال، فبين أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، والأعمال هنا تعني كل ما يرضاه الله وكل ما هو من طاعته سواء كان مما حددته السنة أم لم تحدده فيجوز لك أن تحدده بنص هذا الحديث وتداوم عليه، لكن لا يجوز أن تعتبر العدد الذي تداوم عليه سنة بذاته، وإنما مداومتك على أي عدد كانت؛ هي السنة التي سنها هذا الحديث وندب إليها وأحبها الله.

ومنها ما هو كبائر ومنها ما هو صغائر، فلا ينبغي أن يُظَنَّ بأن كل البدع تُخرِج عن الدين، بل قليل منها ما يكون صاحبها كافراً أو ضالاً ضلالاً يخرج عن الملة، فقد تكون البدعة في الاعتقاد، وقد تكون مخرجة عن الملة وقد تكون ضلالاً لكنها غير مخرجة عن الملة، وقد تكون البدعة معصية محرَّمة وانحرافاً كبيراً وفسقاً، وقد تكون البدعة دون ذلك فتكون في مستوى المكروهات، وقد تكون البدعة فعلاً جائزاً لا حرج في فعله، لكنه صار بدعة حينما اعتقد صاحبها أنها سنة، فالبدعة كانت في ظنه واعتقاده الخاطئ لا في ذات فعله، فلا بد أن يفرق المسلم بين هذه المستويات، ولا يجوز أن نُسَوِّيَ بينها في نظرتِنا إلى المُبْتَدِعِيْن وتعاملِنا معهم.

والحكم بالابتداع على فعل؛ هو من وظيفة العلماء، ويحتاج إلى علم واسع وفقه كبير، واطلاع واسع على السنة، ومن عادة الفقهاء السابقين أن يحذروا من البدع في كل باب من أبواب العبادات، لكن أكثرهم لم يكن يسميها بدعة، وإنما ينظر ما هو حكم ذلك الفعل المبتدَع فيقول: هذا الفعل حرام، وهذا الفعل مكروه، وهكذا، لأن البدعة لا تخرج عن الأحكام الشرعية المعروفة.

ولما كان أكثر العامة لا يستطيعون تمييز البدعة عن الأمر الاجتهادي الذي يسوغ فيه الخلاف، والذي يُعذَر صاحبه بالمخالفة فيه، فواجب العامة أن لا يصِفوا بعضهم بالبدعة إذا رأوهم على عمل يخالف ما تعلَّمُوه.

وواجب العلماء أيضاً أن ينبهوا طلابهم إلى المسائل التي تحتمل الخلاف، حتى لا يتجرأ طلابهم على وصف المخالِفين بالبدعة ومخالفة السنة، بغير حق.

المبحث الثالث عشر

المجاهرة بالذنوب وإظهارها

من الذنوب التي تكثر في زماننا المجاهرة بالذنب وإظهاره، بل تصل أحياناً إلى حدِّ التبجح به والعياذ بالله.

والمجاهر بالذنب يخشى عليه أن يخرج من رحمة الله وعافيته، فلا يوفق إلى تزكية ولا إلى خير، فعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»(١).

والمجاهرون هم الذين يُظهرون معاصيهم ويتحدثون بها، فيفضحون أنفسهم أمام الناس، ومن المجاهرة إفشاء ما يكون بين الزوجين من المباح بينهما.

ومن لم يجاهر بمعصية فهو **مُعافى**، أي أن الله يعفو عنه ويعافيه، فيستره الله كما ستر على نفسه، وتكون نتيجته إلى التوبة والنجاة.

والمجاهر بذنبه يجمع إلى ذنبه ذنوباً أخرى، فهو يُشِيعُ الفاحشةَ والمعصيةَ في المجتمع، ويُحَرِّكُ الرغبةَ إلى الشر والمعصيةِ عند من يسمعه يذكر معصيته، وفي هذا جرم عظيم حيث يكون سبباً في انتشار المعصية، ويكون عليه إثم كل من تابعه فيها بسبب إشاعته لتلك المعصية.

وفي إفشائه لذنوبه تجرّؤٌ على الله تعالى، فإن الله نهاه عن المعصية وهو يفتخر بها أمام الناس، فهو يُغضِب الله تعالى بوقاحته وقلة حيائه واستخفافه بأمر الله.

---

(١) أخرجه البخاري رقم ٥٧٢١ ومسلم رقم ٢٩٩٠.

كما أنه يستخف بنعمة الله إذ ستر عليه، فلا يبالي بهذه النعمة ويجحدها بعدم الشكر عليها.

كما أنه يفوت على نفسه كرم الله في الآخرة، لأن من ستر على نفسه في الدنيا لم يفضحه الله في الآخرة.

ثم إن في كشفه لعيوبه وذنوبه إذلالاً لنفسه، واستحقاقاً للعقوبة بإقامة الحد عليه والتعزير فيما يستوجب ذلك.

وإذا كان الحديث بالمعصية على سبيل السؤال والاستفتاء لأهل العلم؛ فلا يدخل ذلك في المجاهرة، لكن الأولى بالسائل أن لا يصرح للعالِم بأنه فاعل الذنب، بل يسأل السؤال من غير أن ينسبه إلى فاعله، إلا عند الضرورة، ومن واجب العالم والمربي أن يصرف السائل عن التصريح باسم فاعل المعصية، تعليماً لهم أن يستروا على أنفسهم.

خاتمة الفصل

أيها المسلم: كن مع الله عبداً مستسلماً لحكمه، ملبياً لأمره، مستقيماً على شرعه، لا تنحرفْ، ولا تفكرْ أن تنحرف، لا تقبل من نفسك العصيان لخالقك، كن شاكراً لفضله وعطائه، بإحسانك بين يديه.

كل معصية تجعلك مستحقاً لعقاب الله وإبعاده وسخطه، كل معصية تفسد حالك، وتُخَرِّب جمالك، فالله لم يشرع لك إلا ما يُجمِّلك، وما فيه مصلحتك، ولم يَنْهَك إلا عما يَشِينُك، وما فيه مفسدتك ومضرتك.

وتَرْك فرائض الله عليك من أعظم المعاصي، فلا تقل قلبي طاهر وأنت تترك الصلاة، فلو كنت طاهراً لطهرت أعمالك ولأطعت ربك وإلهك، ولا تبخل على الله فيما أوجب عليك من زكاة ومال، ولا تشغل نفسك عن الحج إلى بيت الله بدنيا زائلة تزداد منها، ولا تؤثِر أكلة تفسِد بها صياماً أوجبه الله عليك، وفتح لك به أبواب جِنانه، فتغلقَ بإفطارك وعصيانك باب الجنة وتفتح باب النار، لا تترك قولة الحق التي أمرك الله بها، تخاف من الخلق؟ فأين خوفك من الخالق؟ احرص على تعلم أحكام دينك أكثر مما تحرص على أحكام دنياك، لا تهجر كتاب ربك، ولا تغفل عنه.

فهرس الموضوعات

المرحلة الأولى مرحلة الطالبين

الباب الثالث

تزكية الجسد العملية بإقامة العبادات وترك المعاصي

الفصل الأول

التزكية بالأعمال الصالحة الفرائض والنوافل

العبادات

وكيف تؤدى على وجه يزكي النفس

الفصل الثاني

تزكية النفس من المنكرات والمعاصي الكبيرة والصغيرة